PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

DUE JUN 15, 1994

اسرار الآیات

تألیف

صدرالدین محمد بن ابراهیم الشیرازی

با مقدمه و تصحیح

محمد خواجوی

انجمن اسلامی حکمت و فلسفه ایران

تهران ۱۳۶۰

Sadr al-Din Shirazi

اسرار الآیات

تألیف

صدرالدین محمد بن ابراهیم الشیرازی

با مقدمه و تصحیح

محمد خواجوی

انجمن اسلامی حکمت و فلسفه ایران

تهران ۱۳۶۰

2272
.68942
.M91
.314
1981

وزارت فرهنگ و آموزش عالی
انتشارات
انجمن اسلامی حکمت و فلسفه ایران
شماره ۶۹
آبان ۱۳۶۰ هجری شمسی
محرم الحرام ۱۴۰۲ هجری قمری
چاپخانه وزارت فرهنگ و آموزش عالی
قیمت ۴۰۰ ریال

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR
32101 011421235

فهرس الموضاعات

الموضوعات	الصحيفة
المقدمة فی بیان طریق السالکین و منهج الراسخین فی العلم و فیها قواعد	٢
قاعدة فی ان رأس السعادات هو اکتساب الحکمة	٢
قاعدة فی ان الجهل بهذه المعارف رأس الشقاوات	٤
تنبیه فی ان الکفر الذی هو منشأ العذاب هو ضرب من الجهل	٦
تنبیه فی ان محبة الدنیا و الکفر متلازمان	٨
قاعدة فی ان منهج التوحید هو مسلك جمیع الانبیاء و الاولیاء	١٠
قاعدة فی نعوت القرآن و اسامیه	١٢
قاعدة فی وجوه الفرق بین کلام الله وکتابه	١٦
دقیقة کشفیة فی انه قد یکون شیء واحد کلاماً و کتاباً باعتبارین	١٧
قاعدة فی وجوه الفرق بین انزال کلام الله علی قلب النبی (ص) و بین انزال الکتب السماویة	١٨
قاعدة فی الاشارة الی عمدة مقاصد الکتاب الهی واصول معاقده واحکامه	٢١
الطرف الاول فی علم الربوبیة. وفیه مشاهد. المشهد الاول فی معرفة الحق الاول و وحدانیته	٢٦
وفیه قواعد. قاعدة فی اثبات وجوده تعالی	٢٦
قاعدة فی تحقیق الایمان بالله و بالیوم الاخر	٢٧
قاعدة فی ان الایمان ایمانان تقلیدی و کشفی	٢٨

الموضوعات	الصحيفة
قاعدة فی توحیده تعالی و احدیته و صمدیته	٣٢
قاعدة فی توحیده تعالی فی الالهیة	٣٤
قاعدة فی توحیده تعالی فی حقیقة الوجود	٣٥
تنبیه مشرقی فی ان وجوده تعالی وجود کل شیء	٣٧
المشهد الثانی فی صفاته و اسمائه وفیه قواعد: قاعدة فی توحید صفاته الکمالیة	٣٨
قاعدة فی تحقیق اسمائه تعالی	٤٠
قاعدة فی تعیین الاسم الاعظم و مظهره	٤٣
قاعدة فی علمه تعالی بذاته وبغیره	٤٥
قاعدة فی مراتب علمه بالاشیاء اجمالا و تفصیلا	٤٦
قاعدة فی ان صدور الاشیاء المکونة عن علمه تعالی	٤٨
قاعدة فی شمول قدرته و انبساط وجوده وسعة رحمته علی الاشیاء	٥٠
قاعدة فی تحقیق کلامه تعالی	٥٢
قاعدة فی دوام امره و خطابه للمکونات	٥٤
قاعدة فی السر الحروف المقطعة القرآنیة	٥٦
قاعدة فی ان العالم الربوبی و الصقع الالهی عظیم جداً	٥٨
فاعدة فی ان صور الممکنات الموجودة فی هذا العالم مرتسمة متمثلة فی نفوس السموات و قواها المنطبعة علی الوجه الجزئی	٦٠
فاعدة فی کیفیة نزول القضاء من عند الله و بروز احکامها فی عالم الشهادة	٦٢
عقدة و حل	٦٤
وهم واثارة	٦٥
حکمة عرشیة فی ان لکل من الافلاك، نشأتان عقلیة و نفسانیة	٦٧
تعلیم تمثیلی فی ان صورة العالم کصورة الانسان	٦٨
المشهد الثالث فی دوام الهیته وجوده ورحمته وکیفیة صنعه وابداعه وفیه قواعد : قاعدة فی نقل کلام بعض المتکایسین و تزییفه	٧١
قاعدة فی تحقیق کلماته التامات	٧٤

الموضوعات	الصحيفة
قاعدة فی ان الله سبحانه فاعل لماسواه و موجد لماعداه علی اربعة انحاء	٧٦
قاعدة فی عالم امره تعالی	٧٨
قاعدة فی ان جمیع الموجودات متوجهة نحو الخیر الاقصی و المبدأ الاعلی	٨٠
الطرف الثانی افعاله سبحانه و کیفیة صدورها عنه و رجوعها الیه و فیه مشاهد	٨٤
المشهد الاول فی حدوث هذا العالم	٨٤
حکمة ایمانیة وحجة قرآنیه فی ان الکتب الالهیة ناطقة بان العالم باسرها حادث زمانی	٩٠
قاعدة فی خلق العالم الکبیر و بعثه کخلق العالم الصغیر و بعثه	٩٣
المشهد الثانی فی تحقیق الانقراض و النهایة	٩٥
تنبیه فی ان لکل من الروح و الجسد و القلب و القالب قبراً حقیقیاً	١٠٢
تنبیه آخر فی موت الانسان الکبیر	١٠٣
قاعدة فی الخلق و الامر	١٠٤
قاعدة فی کیفیة البدو و الاعادة	١٠٧
قاعدة فی تحقیق الخلافة الالهیة	١٠٨
قاعدة فی الحقیقة المحمدیة (ص) و مظهر اسم الله الاعظم	١١٠
قاعدة فی حقیقة الدنیا و الاخرة	١١٢
قاعدة فی اللوح و القلم	١١٧
قاعدة فی العرش و الکرسی	١١٨
المشهد الثالث فی احکام المخلوقات الواقعة فی سلسلة العود الی الله وفیه قواعد :	١٢٠
قاعدة فی المرکبات الناقصة	١٢٠
قاعدة فی خلق انواع المعادن من المرکبات التامة	١٢٢
قاعدة فی خلقة النبات و الحیوان و الانسان	١٢٣
قاعدة فی ان الغرض من هذه الموجودات و قواها الطبیعیة و النباتیة و الحیوانیة کلها خلقة الانسان	١٢٤
قاعدة فی خلقة الانسان	١٢٦

الموضوعات	الصحيفة
قاعدة فى ذكر العناصر التى منها تكون الانسان	١٢٨
قاعدة فى فضل معرفة الانسان نفسه	١٣١
قاعدة فى قوى الاشياء التى جمعت فى الانسان	١٣٤
قاعدة فى ذكر تكون الانسان شيئاً فشيئاً حتى يصير انساناً كاملا	١٣٥
قاعدة فى تفاوت افراد الناس	١٣٩
تذكرة فيها تبصرة فى ان تفاوت الناس فى الصنايع و الاغراض على امور سبعة	١٤٠
قاعدة فى ان افراد البشر ذوات نفوس حيوانية جزئية مجردة كلها عن البدن الطبيعى لاعن الصورة المثالية	١٤٢
قاعدة فى ان افراد الانسان تصير متخالفة الحقايق و الماهيات فى آخر الامر	١٤٢
قاعدة فى ان الروح الناطقة باقية بعد خراب البدن	١٤٤
قاعدة فى بطلان التناسخ	١٤٨
كشف خفاء لبسط ضياء فى مانسب الى قدماء الحكماء هو بعينه ماورد فى الشرايع الحقة	١٤٩
تذكرة قرآنية فى ان جميع افراد الناس متوجهون بحسب ما اودع الله فى غرائزهم نحو المبدء الاعلى	١٥٢
المشهد الرابع فى بيان النبوة و احكامها و فيه قواعد: قاعدة فى اثبات الشجرة النبوة و فضلها على جواهر ساير البرية	١٥٤
قاعدة فى هداية الله تعالى الاشياء الى مصالحها	١٥٥
قاعدة فى تحقيق قوله تعالى انك ميت و انهم ميتون و بيان ان الموت حق	١٥٨
قاعدة فى الكشف عن ماهية الانسان الحقيقى مظهراً لاسم الله و خليفة الرحمن	١٥٩
تنوير تمثيلى فى ان نسبة الانسان الى ساير المخلوقات كنسبة القلب الى سائر الاعضاء	١٦٢
تبصرة اخرى فى تأويل آية الامانة	١٦٤
الطرف الثالث فى علم المعاد و بيان حشر النفوس و الاجساد	١٦٦
المشهد الاول فى بيان الفطرة الاولى للانسان و العود اليها و فى التقابل بين مراتب البدو و مراتب النهاية	١٦٦
المشهد الثانى فى الاشارة الى علم الساعة و سر القيامة وفيه قواعد: قاعدة فى معنى الساعة	١٦٩

الموضوعات	الصحيفة
قاعدة فى سر القيامة و زمانها و مكانها	١٧١
تبصرة عقلية فى ان الدنيا كون ناقص وفيها اكوان ناقصة	١٧٣
حكمة كشفية فى ان القيامة قيامتان الصغرى و الكبرى	١٧٤
قاعدة فى معرفة طريق الاخرة و منشأ اعراض الخلق عن سلوكها	١٧٥
قاعدة فى نتايج الاعراض عن سلوك سمت المعاد	١٧٨
المشهد الثالث فى القبر وعذابه وثوابه	١٧٩
المشهد الرابع فى البعث و الحشر: قاعدة فى البعث	١٨٤
تنبيه استبصارى فى ان الانسان لو علم ذهاب بدنه وقلد طبيعته فى السلوك الى الكمال سيبلغ اقصى الغايات	١٨٦
قاعدة فى الحشر	١٨٧
اعلام كشفى فى ان حشر الخلايق على انحاء مختلفة	١٨٨
بصيرة برهانية فى ان تكرر الافاعيل من الانسان يوجب حدوث وملكات واخلاق فى نفسه	١٨٨
المشهد الخامس فى الصراط	١٩٠
مشاهدة قلبية فى ان هذا الصراط يظهر يوم القيامة على الابصار	١٩٢
بصيرة كشفية فى ان النفس الادمية السعيدة صورة صراط الله المستقيم	١٩٣
زيادة كشف و توضيح فى اعتقادنا فى الصراط انه حق و انه جسر جهنم	١٩٣
المشهد السادس فى نفخ الصور	١٩٦
تنوير و تذكير فى ان من الناس من يرى امور القيامة بعين البصيرة	١٩٨
قاعدة فى احوال تعرض يوم القيامة	١٩٩
المشهد السابع فى الاشارة الى نشر الصحائف	٢٠٢
المشهد الثامن فى الميزان و الحساب	٢٠٧
تبصرة ميزانية فى كيفية الموازنة بين الامور الدنيوية و الاخروية	٢١٢
تذكير فى انك مسافر من الدنيا الى الاخرة و انت تاجر	٢١٢
قاعدة فى الحساب	٢١٤

الموضوعات	الصحيفة
قاعدة فى الاشارة الى طوائف الناس من جهة الحساب	٢١٥
المشهد التاسع فى الجنة و النار	٢١٧
تنبيه فى ان باطن الانسان فى الدنيا هو ظاهره فى الاخرة	٢١٩
المشهد العاشر فى الاشارة الى الزبانية و عددها	٢٢٢
المشهد الحادى عشر فى الاشارة الى درجات الجنان و دركات النيران	٢٢٤
المشهد الثانى عشر فى سر شجرة الطوبى و شجرة الزقوم	٢٢٧
قاعدة فى كيفية تجدد الاحوال و الاثار على اصحاب الجنة و اصحاب النار	٢٣٠

تمت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً ازلياً بابديته و ابدياً بازليته، حمداً للذى تفرد بالسرمدية، و جعل العقل قطرة من قطرات جبروته، و النفس شعلة من شعلات ملكوته، المتجلى لخلقه بخلقه، الظاهر فى الافاق بمظاهر اسمائه و صفاته، الذى هو اختفى لفرط نوره، الظاهر الباطن فى ظهوره، و الصلوة و السلام على انوار خير بريته، محمد المصطفى لاسيما وصيه وخليفته، على المرتضى و ذريته، من الصلوات ازكاها و من التحيات انماها.

فبعد: لما ختم طبع المجلد الاول من التفسير على القرآن الكريم للفيلسوف الالهى و الحكيم الربانى، حجة الحكماء الاسلاميين و خادم شريعة سيد المرسلين و قرة عيون السالكين محمد المعروف بصدر المتألهين قدس الله سره العزيز من قبل هذا فى بضعة من الزمان، و كان فى قصدى ان اشرع فى طبع المجلد الثانى من التفسير، ولكن طوارق الحدثان و عوايق

الزمان كانت تعوقنى عن هذا الامر العظيم، حتى يكاد ان لايمكن طبعها، كما لايخفى على من ورد فى هذا المشرع، او يطلع على مايمضى فى المطبع، و كان مشوقى فى تلك الفترات الماضية و الازمنة القاضية فى تصحيحه و تنقيحه و تصديره على المجلدات الباقية استاذى الكبير و الحبر المنير السيد جلال الدين الاشتيانى مدظله العالى حتى بلغ الكتاب اجله، فبينما اصاب السيد الاستاذ عارضة حتى طالت الى الان و منعه عن طبع ذلك السفر النفيس، ولكن كلما لايدرك كله لايترك كله.

فحينئذ شرعت فى طبع واحد من كتبه الشريفة الذى هو قرة عيون اولى الالباب المسمى باسرار الايات و انوار البينات، فى العلوم القرآنية و العجايب التنزيل الربانية، و هى هذا الكتاب الذى انفتح بها باب نزول البركات، و تواتر الرشحات، و قطرات امطار الرحمة من بحار خزائن المكاشفات على الدوام على القارىء العزيز ان كان من المؤمنين الموحدين، و مرض لقلوب الجاحدين ان كان من المنكرين، فيها هدى للمتقين «كما قال و عمى و غشاوة على ابصار المنافقين المتكبرين» يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً، وما يضل به الا الفاسقين.

و عندى اربعة نسخ، واحدة منها المطبوعة المعروفة التى طبعت فى سنة ١٣١٩ طبعة حجريه ، و الثانية و الثالثة نسختان مخطوطتان من متملكاتى، و الرابع صورة فتوغرافية لمكتبة المجلس، اما النسخة المطبوعة فيها اغلاط و سقطات لاتحصى، و يكاد ان لايستفاد منها، و مشوبة بالتصحيفات و التحريفات الى درجة فظيعة، و ان بعض الكلمات و الجمل ممسوحة

تماماً، و بالنسختين المخطوطتين مع الصورة فتوغرافية تم تصحيح الكتاب، و انى لاادعى فى طبع هذا التأليف الشريف الا ان اقول: لايجد القارى والمستبصر الخبير فيه غلطاً ولا سقطاً الا مازاغ عنها البصر ولايغير المعنى المقدر، و ذلك فضل الله العلى العظيم.

و اما شرح حاله و ثقافته و اساتذته و آرائه الخاصة مضبوطة فى كتب السير، لاسيما فى اوائل مؤلفاته المنيفة التى طبع فى هذه الاواخر.

و للاستاذ الجليل والحبر النبيل السيد جلال الدين الاشتيانى دام افاضاته العالية تأليف جمع فيه آرائه و حققها مع شرح حاله و سيرته، و للاستاذ الفقيد الشيخ ابى عبدالله الزنجانى تغمده الله برحمته ايضاً كتاب سماه «الفيلسوف الفارسى الكبير» استوعب فيه آرائه مع سيرته من نشوه الى وفاته، و انى اطردت فى مقدمة التفسير الكبير لهذا الفيلسوف الالهى التى طبع قبل ست سنين كل مقال قيل فيه و يليق بمقامه الشريف، فمن شاء فليراجع اليه.

و للحكيم الالهى و العالم الربانى على بن جمشيد النورى قدس الله سره القدوسى على هذا الكتاب تعليقات متفرقة ونظرات عالية، انتخبنا بعضها ووضعناها فى مواضعها.

واعلموا يا اخوانى الالهيين واخلائى المؤمنين، انى القيت اليكم الكتاب الكريم، و جئتكم بالنباء العظيم، و آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون، تعالوا الى كلمات طيبة ايمانية و تلقوها، فان الايمان يمان و الحكمة يمانية، او قدت من النفس الرحمانى على شجرة مباركة الهية، لاشرقية ولاغربية.

قل للاولی فاقوا الوری و تقدموا
قدماً، هلموا شاهدوا المتأخرا

و لیست داعیتی علی طبع هذا الکتاب المستطاب الا ان اتشبه بهذا القوم، کما قیل: من تشبه بقوم فهو منهم.

سالکی را گفت آن پیر کهن
چند از مردان حق گوئی سخن
گفت خوش‌آید زبانرا بر دوام
تا بگوید حرف مردانرا مدام
گرنیم ز ایشان از ایشان گفته‌ام
خوشدلم این قصه از جان گفته‌ام

و لعمری هذا الکتاب الذی قال احد من الحکماء فی اطرائه: یقذف بالحق و ینطق بالصدق، مشتملا علی اصول کافیة، ینکشف بها رموز الدقایق، و یزول بنورها ظلمة الشك و الریب، محتویاً علی قواعد ینجلی بها الانوار الجلیة، و مسائل یعلن بها الواردات القلبیة، من الاصول الحکمیة و العلوم الالهیة و الفنون البرهانیة و المعالم الدینیة و المسالك العرفانیة و المعارف الربانیة، بعبارات لطیفة یفصح عن بدایع الاسرار، و کلمات رشیقة تنبیء عن لطایف الافکار، مع ما اندرجت فیها من رموز الفصاحة و فنون البلاغة، و لطایف الحکمة و سرائر المعرفة، قل من یهتدی الی رشحة من رشحات زخار بحارها، او یطلع علی لمعة من لمعات مطالع اسرارها، اللهم الا الالمعی الفطن الذکی، الذی اشرق عقله و تنور قلبه و استنارت سریرته و استضائت بصیرته، مع ریاضات علمیة و مجاهدات نفسانیة، و مع اهمیته و ندرته و کثرة طالبیه لم یقدر له ان یطبع مرة اخری، ولذا قام بطبعها مجمع

الفلسفة الاسلامية **(انجمن اسلامی حکمت و فلسفه ایران)**، و نرجو من الله تعالى ان يوفقنا لطبع بقية المجلدات من التفسير الكبير لصاحبنا قدس سره.

و الرجاء من قراء هذا السفر النفيس و العاملين عليه، لاسيما اولى الالباب و البصائر النافذة الدعوة الحسنى، و ان ينظروا فى تصحيحه و تنقيحه بعين العناية و الرضا، لان: عين الرضا عن كل عيب كليلة، و الله ولى الحق و المدافع عن الذين آمنوا وهو يهدى السبيل، و انا احوج خلق الله الى رحمة ربه البارى، محمد الخواجوى، احسن الله حاله فى الايام و الليالى، آمين.

و كانت الفراغة عن تحرير هذه المقدمة فى ثلث آخر ليلة القدر من شهر رمضان المبارك سنة اربع مأة بعد الالف من الهجرة النبوية على هاجرها آلاف الثناء و التحية.

محمد خواجوى

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يامن بيده ملكوت الارض والسماء واليه يتشوق ويدور الاشياء ياحى ياقيوم اياك نروم ولك نصلى ونصوم انت قيام الوجود وفايض الخير والجود ومنزل البركات والخيرات وغاية الميول والحركات ومبدء الاشراق ومنتهى الاشواق ومدبر الامور ونور النور وواهب حيوة العالمين و جاعل السموات والارضين ايدنا بانوار كلماتك ونور قلوبنا باسرار كتابك وآياتك وطهر نفوسنا من غسق الطبيعة والجهالة واخرجنا من رجس عالم الظلمات الى مشاهدة انوارك ومعاينة اضوائك ومجاورة مقر بيك ومصاحبة سكان ملكوتك ومسبحيك واحشر نامع النبيين والصد يقين سيما محمد المبعوث الى كافة الخلايق اجمعين و اهل بيته الاطهرين الانجبين عليهم اشرف صلوة المصلين وازكى تسليمات المسلمين.

امابعد فيقول انزل خلق الله واحوجهم الى كرامة رب العالمين «محمد المدعو بصدر الدين» هذا بيان للناس و هدى و رحمة للمتقين هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين»، هذه انوار علوم الهية و اسرار مسايل ربانية و مقاصد قرآنية مستفادة من آيات الكتاب المبين النازل الى الخلق من عند رب العالمين، وهى مفاتيح ينفتح بها باب الجنة و الرضوان ويظهر بها كنوز خزاين الرحمن ويعاين بها جواهر عالم الملكوت وينكشف بها انوار عالم الجبروت فيها قرة عيون السالكين و شفاء صدور المؤمنين الموحدين و مرض لقلوب الجاحدين المنكرين وفيها

هدی للمتقین و عمی و غشاوة علی ابصار المنافقین المتکبرین، یضل به کثیرا و یهدی به کثیرا وما یضل به الا الفاسقین و سمیتها «باسرار الایات و انوار البینات» و جمعتها فی مقدمة و اطراف مشتملة علی مشاهد.

المقدمة

فی بیان طریق السالکین الی الله و منهج الراسخین فی العلم وفیهاعدة قواعد.

قاعدة

فی ان رأس السعادات و رئیس الحسنات هو اکتساب الحکمة الحقة، اعنی: العلم بالله وصفاته وافعاله وملکه وملکوته، والعلم بالیوم الاخر و منازله و مقاماته من البعث والحشر والکتاب والمیزان والحساب والجنة والنار وهی الایمان الحقیقی والخیر الکثیر والفضل العظیم المشار الیه فی قوله تعالی «ومن یوتی الحکمة فقد اوتی خیراً کثیراً» وقوله تعالی: «هو الذی بعث فی الامیین رسولا منهم یتلوا اعلیهم آیاته و یزکیهم، الی قوله والله ذوا الفضل العظیم و قوله تعالی: «آمن الرسول بما انزل الیه من ربه،...» الی آخر الایة، والاشارة الی ان الکفر والضلال مقابل هذا العلم، اعنی الجهل بهذه المعارف. قوله: «ومن یکفر بالله وملائکته وکتبه ورسله والیوم الاخر، فقد ضل ضلا لابعیداً» فظهر ان الاعتقاد بهذه الامور هو الایمان الحقیقی وبه یحصل الکرامة عندالله والزلفی لدیه. وذلك، لان الانسان باکتساب هذه العلوم الالهیة یصیر من حزب الملئکة المقربین بعد ما کان من جنس الحیوانات المبعدین، لماتقرر فی مقامه بالبرهان: ان النفس الناطقة یترقی فی الاستکمالات العلمیة من حد العقل الهیولانی الذی هو جوهر نفسانی بالفعل، لکنه مادة روحانیة

الى حدالعقل بالفعل، وهوجوهر عقلى نورانى فيه صورجميع الموجودات على وجه مقدس، وهونوريترا آى فيه الاشياء كماهى وانمايحصل له هذا العقل البسيط والنور الشريف بالنظر فى حقايق الموجودات والتد برفى آيات الله الكاينة فى الارض والسموات لابالاعراض عنها كماقال : «وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون» ومما يدل على وجوب النظر والتفكر واكتساب الحكمة والمعرفة. قوله: «قل انظر واماذا فى السموات والارض» و قوله : «اولم ينظر وافى ملكوت السموات والارض ما خلق الله من شئى و ان عسى ان يكون قداقترب اجلهم فباى حديث بعده يومنون» وفى هذه الاية دلالة على ان حيوة الانسان بعدالموت والمفارقة عن هذه النشأة الزايلة بالمعارف والتصديق بحقايق الاشياء كماهى، وقوله : «قل سيروا فى الأرض فانظر واكيف بدء الخلق ثم الله ينشاء النشأة الاخرة» .

وهذا السير المأمور به ليس الا السير الفكرى والحركة المعنوى دون تعب الجوارح، وستعلم بيان ما اشرنا اليه من ان بناء النشأة الاخرة للانسان و عمارتها انما هى بما يتقرر فى نفسه من صور الاعتقادات، و قوله : «اولم يروا كيف يبدء الله الخلق ثم يعيده» ثم انه قد مدح الله الناظرين فى ماهيات الاشياء والمتفكرين فى خلق السموات والارض والذاكرين لله من ملاحظة آثار صنعه وجوده فى مواضع كثيرة : كقوله «ويتفكرون فى خلق السموات والارض» وقوله تعالى «والذين يذكرون الله قياماً وقعوداً، وعلى جنوبهم، ويتفكرون فى خلق السموات والارض» والاشارة الى العروة الوثقى والعمدة العظمى فى التقرب الى الله والفوز بالسعادة الاخروية، هى اقتناء العلم و المعرفة دون مجرد العمل والطاعة، وان كان العمل الصالح وسيلة اليه، و انها هى الثمرة والغاية والعمل كالزرع وهى النتيجة و العمل كالمقدمة وهى المخدومة والسلطان، والعمل كالخادم والعبد والاجير، قال: «اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» وقال: «ليس البران تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملئكة والكتاب والنبيين» وقال تعالى : «اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر» .

فقيه اشارة الى ان فعل الصلوة وفعل الحج الذين هما عمدتا الاعمال البدنية والطاعات ليسا مثل الايمان واليقين بالامور المذكورة. وقال «المومنون كل آمن بالله وملئكته وكتبه» هذا تعريف المومن، ولم يدخل فى حده الا هذه المعارف الحقيقية لاشىء من الاعمال، فلو فرض حصول هذه المعارف على وجهها فى قلب احد من الادميين من دون عمل حسناً كان او قبيحاً ، لكان مومناً حقاً فائزاً بالسعادة الحقيقية من غير قصور وخلل فى ايمانه. وهذا وان كان مجرد فرض لكن الغرض التنبيه على ان العرفان هو الاصل والعمود والعمل فرع له. وقدحث سبحانه عباده فى كثير من الايات على اكتساب العلم بالنظر والاعتبار والتامل فى افعاله والتد برفى آياته وآثاره، مثل قوله : «فاعتبروا يا اولى الابصار» و قوله: «اولم ينظروا، اولم يتفكروا» و قوله: «ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب» و قوله: «ان فى خلق السموات والارض لايات لاولى الالباب» و قوله: «و فى الارض آيات للموقنين و فى انفسكم افلاتبصرون» .

قاعدة

فى ان الجهل بهذه المعارف الالهية و جحودها مع وجود الاستعداد وقوة التعلم ومكنة التحصيل رأس الشقاوات والعقوبات وانه مادة كل مرض ونفاق نفسانى ومغرس كل شجرة ملعونة وشجرة خبيثة فى الدنيا والاخرة وهو منشاء العذاب الاليم والخسران العظيم والحسرة والندامة يوم القيامة.

قوله تعالى : «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم و اولئك هم الغافلون، لاجرم انهم فى الاخرة هم الخاسرون» وقوله تعالى : «ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى قال: رب لم حشرتنى اعمى وقدكنت بصيراً، قال : كذلك اتتك اياتنا فنسيتها فكذلك اليوم تنسى» وقوله استحوذ؛ اى غلب عليهم الشيطان، فانساهم ذكر

الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون. و الوجه فى ان من نسى ذكر الله يكون من اهل العذاب و انه يحشر اعمى و اصم، ان بناء الاخرة على المعرفة و الذكر، لانها نشأة ادراكية و دار حيوانية كما سنبين، فعمارتها بالاعتقادات و العلم و النيات الصالحة و الادراكات الخالصة، و بنآء الدنيا على الظلمة المادية و عمارتها بالامور الشهوية و الامانى الباطلة. لانها نشأة كدرة جرمانية «فمن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى و اضل سبيلا» ثم ان من جهل بالله جهل بالاشياء كلها، لما تقرر من ان العلم بذات السبب لايحصل الامن جهة العلم بسببها، ومن جهل بالاشياء كان من الهالكين فى الاخرة، لمامر من ان وجود الاخرة وجوداد راكى فيكون منسيا عندالله اذلو كان مذكوراً كان موجوداً فى نفسه اذالمعلومية لاينفك عنه الموجودية فى الامور التى وجودها وجودادراكى وصورتها صورة ادراكية، وقال ايضاً: «نسوا الله فنسيهم» وهذا بمنزلة عكس النقيض لقوله: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» على ماوضحناه قوله تعالى: «ان الذين لايرجون لقائنا و رضوا بالحيوة الدنيا و اطمئنوا بها، والذينهم عن آياتنا غافلون، اولئك مأويهم النار بماكانوا يكسبون» جعل الله سبحانه الجهل بالله و اياته منشاء الرجوع الى نارالجحيم والعذاب الاليم؛ وذلك لان نفوس الجهال ابداً متوجهة نحو لذات الاجسام واغراض الدنيا وشهواتها، اذلا تعرف غير هذه الامور. و اما العارف الربانى فنفسه لاجل الاستكمال بالعلم و الاعراض عن الامور الدنيوية الجسمانية، متوجهة دايما نحو العالم القدس الالهى، راغبة الى قربه تعالى، لان من احب شيئاً كان حشره الله اليه والجاهل لا يحب الا الامور الباطلة والامانى العاجلة الزايلة . ولاشك ان الدنيا وشهواتها امور باطلة وهمية، فكان حشره الى عالم البوار والشرور والظلمات، فمآله الى نارالجحيم ونصيبه العذاب الاليم. قوله تعالى : «ويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة، و يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً اولئك فى ضلال بعيد».

تنبيه

اعلم ان الكفر الذى هومنشاء العذاب الاليم الشديد هوضرب من الجهل اعنى المركب مع الاعتقاد المشفوع بالاستكبار والعناد، لامجرد الجهل البسيط بالمعارف ولذلك وصف الله تعالى اولئك الكافرين بمحبة الدنيا والصد عن سبيل الله وطريق الحق والضلال والاعوجاج عن سبيله. قوله تعالى: «و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات، ان لهم اجراً كبيراً و ان الذين لايومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما» قوله تعالى: «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموماً مدحوراً» ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها و هومومن فاولئك كان سعيهم مشكوراً، الى قوله: «ولاتجعل مع الله الهاً آخر فتقعد مذموما مخذولا» قوله تعالى: «ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة» اى معرفة الحق لذاته وعمل الخير لاجله «ولاتجعل مع الله الهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً» قوله تعالى: «فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم، و يزيد الله الذين اهتدوا هدى، و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً و خير مرداً، يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً، ونسوق المجرمين الى جهنم وردا» اى غاية سكون العارفين ومايؤل اليه سعيهم هو الله وغاية مسلك الجهال المنهمكين فى الدنيا وشهواتها الى النار.

واعلم ان الوصول الى الله خير من كل نعيم وسعادة؛ لان كل خير وكمال ونعيم وسعادة فى الدنيا والاخرة رشح من بحر وجوده وفيض من نور شهوده. وقوله تعالى: «انه من يأت ربه مجرماً، فان له جهنم لايموت فيها ولايحيى» اذليس له الحيوة الدنيوية الحسية، لانها بطلت، ولا الحيوة الاخروية اعنى حيوة العلم والمعرفة، لانها ماحصلت، ولاما اكتسبت. قوله تعالى: «ومن يأته مومناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى الى قوله: وذلك جزاء من تزكى» اى تجردت نفسه عن الهيآت الدنية والاغراض الدنيوية، ومن اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة

حملا. لاشبهة فی ان هذه الاوزار والاحمال التی یثقل ظهر القلب ویمنع النفس عن الصعود الی الدرجات العلی لیست اجساماً ثقیلة محسوسة بل هی من باب الهیآت النفسانیة و الاعراض التعلقیة التی تجر النفس عن عالم النور الی عالم الغرور من سلاسل الشهوات واغلال التعلقات. قوله تعالی : «فالذین کفروا قطعت لهم ثیاب من نار» لمابین فی موضعه من ان الاخلاق والملکات ستصیر صوراً جوهریة یتصور بها النفس الانسانیة و یتلبس بها فی الاخرة، فیکون لها شعاراً ودثاراً .

ثم ان الهیآت المتمکنة فی نفوس الاشقیاء المبعدین من دار الکرامة هی من باب الشهوات الدنیویة واللذات الحیوانیة والاغراض البهیمیة ،فهی حاصلة من القوی العمالة للاجرام السفلیة بالتقطیع والجمع والتفریق والتحلیل والترکیب یصب من فوق رؤسهم الحمیم، ای ینزل علیهم من القواهر العلویة مایتسخن به ابدانهم، و یصهر به مافی بطونهم والجلود ولهم مقامع من حدید، من قوة قویة لفاعل غلیظ شدید یدعوهم الی الاعمال الطبیعیة وخدمة الشهوات الشیطانیة و اشتعال النیرانات الکامنة. و یقمعهم عن المیل الی جهة السعادة و جانب القدس، ویردهم الی الجحیم التی وردوها اولا، کلما ارادوا ان یخرجوا منها بواسطة سماع وعظ اونصیحة اوقرائة آیة اوروایه حدیث او صحبة عالم، اعید وافیها، لغلبة دواعی سلطان الطبیعة علی قلوبهم القاسیة واستیلاء النفس الامارة بالسوء علی نفوسهم. قوله تعالی : «اولئك الذین طبع الله علی قلوبهم و سمعهم و ابصارهم و اولئك هم الغافلون لاجرم انهم فی الاخرة هم الخاسرون» فدلت الایة علی ان الغفلة والجهالة صارت سبباً لخسران الاخرة، و قدمر بیانه. قوله: «واذا تتلی علیهم آیاتنا، ولی مستکبراً، کأن لم یسمعها کأن فی اذنیه وقراً، فبشره بعذاب الیم» قوله : «ویل لکل افاك اثیم یسمع آیات الله ثم یصر مستکبراً کأن لم یسمعها فبشره بعذاب الیم» قوله تعالی: «و اذا علم من آتنا شیئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهین، من ورائهم جهنم، ولایغنی عنهم ماکسبوا شیئاً ولاما اتخذوا من دون الله اولیآء ولهم عذاب عظیم، هذا هدی والذین کفروا لهم عذاب من رجز الیم» فهذه الایات دلت علی

ان رأس الشقاوة ومنشاء العذاب الاليم، هوالكفر الذى ضرب من الجهل والاحتجاب عن الحق بمايلزمه من الاعمال والملكات المؤدية الى البعد عن دار الكرامة ومعدن الرحمة والانغمار فى بحر الظلمة الجرمية والهوى فى الهاوية السفلية و القرية الظلمانية الظالم اهلها، كما ان اصل كل سعادة وبهجة هو الايمان بالله وكلماته وآياته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر و الخروج من هذه النشأة الدنية المظلمة والصعود الى عالم الطهارة والقدس والنور من عالم الطبيعة ومعدن الرجس والظلمة والدثور .

تنبيه

اعلم ان محبة الدنيا والكفريتلازمان ويتسبب احد هما بالاخر ، ولهذاوردفى الكتاب الالهى تعليل العذاب الاخروى والشقاوة تارة بهذا وتارة بهذا كمافى قوله تعالى: «و لكن من شرح بالكفر صدراً، فعليهم غضب من الله و لهم عذاب عظيم، ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة و ان الله لايهدى القوم الكافرين» دلت على ان محبة الدنيا مغرس الكفر ومنبت النفاق، لكن نتيجة محبة الدنيا هى العذاب العظيم، الحاصل عن مفارقتها يوم القيامة، و نتيجة الكفر هى غضب الله فى يوم القيمة. ولاشك عند العارف المحقق ان عذاب الغضب اشدمن عذاب النار، لان الاول عذاب روحانى، والثانى جسمانى حسى، و الجحيم صورة غضب الله، كما ان الجنة صورة رحمة الله وكما ان لذة رضوان الله ـ اكبر من لذة نعيم الجنة من الحور والقصور والانهار والاشجار وغيرها، كما قال : «ورضوان من الله اكبر» فكذا الم الحجاب عن الحق اشد من الم النار، ولذلك وقع مقدماً فى الذكر فى قوله تعالى: «كلا انهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون، ثم انهم لصالوا الجحيم».

ومما يدل على ان الجهل بالمعارف الالهية يوجب السقوط عن الفطرة ويؤدى الانسان الى ان يصير مرآة قلبه مكدرة مظلمة بالغواشى والظلمات الى حد يفسد ظاهرها وباطنها، قوله تعالى: «بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون»

و قوله: «بل طبع الله عليها بكفرهم»، و قوله: «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم، و اتبعوا اهوائهم» و قوله تعالى: «و جعلنا قلوبهم قاسية».

وتوضيح ذلك بالبيان الحكمى : ان الروح الانسانية من جهة ان من شأنها ان يتجلى فيها الاشياء مشابهة للمرآة، لكن هذه الحالة فى اول الفطرة للنفس امر بالقوة لكل احد من الناس ثم يصير بمزاولة الاعمال والافعال خارجة من القوة اما الى الفعل والكمال، اوالى البطلان والزوال. فاذا وقع الانسان فى السلوك العلمى والرياضة الدينية والتكاليف الشرعية التى هى بمنزلة تصقيل المرآة يخرج النفس من القوة الى الفعل و يصير عقلا بالفعل بعدما كانت عقلا بالقوة، فيكون كمرآة مجلوة يترا اى فيها صور الموجودات على ماهى عليها، واذا لم يقع فى هذه الطريقة وهى الصراط المستقيم المذكور فى القرآن ولم يخرج ذاته فى طريق الاخرة بالتصفية والرياضة والتطهير و التنوير من القوة الى الفعل، بل سلك مسلك الدنيا وصارت نفسه متد نسة بدنس الشهوات، متنجسة برجس الفسوق والسيآت، بطلت فيه القوة الاستعداد، لان يصير منورة بانوار العلوم، ولان يتجلى فيها حقايق الامثال والرسوم، ولان يكون عقلا و معقولا بالفعل لابالقوة. و بالجملة، قدبطلت القوة و زالت الفرصة بالكلية وصارت النفس حسا بالفعل بعدما كانت عقلا بالقوة، وظلمة بالفعل بعد ماكانت نوراً بالقوة، وبهيمة اوشيطاناً بالفعل بعد ماكانت ملكا بالقوة؛ كحديد كان اولا قابلا للاذابة والتصقيل لتظهر فيها مثل المحسوسات فاذا غاص فى جرمه الرين والنداوة والوسخ، بطل استعداده فى كونه مرآتاً، فكذلك اذابطل استعداد النفس لان يكون جوهراً ادراكيا ووجوداً علمياً، صارت جوهراً من جواهر الدنيا بالفعل، و كل ماكان الشىء جوهراً دنيويا ظلمانياً بالفعل، يحترق فى الاخرة بنار السعير، اذ الدنيا ومافيها يجأبها يوم القيمة بصورة نارجهنم وشرارتها وظلماتها فيحترق بمن فيها، كما فى قوله تعالى: «وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان و انى له الذكرى» وقوله: «والذين كفروا الى جهنم يحشرون، ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً، فيجعله فى جهنم». وقوله : «ولوكنا

نسمع اونعقل ماكنا فى اصحاب السعير» وقوله : «ذلكم بانكم اتخذ تم آيات الله هزواً وغرتكم الحيوة الدنيا، فاليوم لايخرجون منها ولاهم يستعتبون» وقوله : «والذين كفرو ايتمتعون و ياكلون، كما تا كل الانعام والنار مثوى لهم» وقوله : «وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً الذين كانت اعينهم فى غطآء عن ذكرى، وكانوا لايستطيعون سمعاً»، وقوله : «ومن كان يريد الحيوة الدنيا و زينتها نوف اليهم اعمالهم فيها و هم فيها لايبخسون، اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار، وحبط ماصنعوا فيها، وباطل ماكانوا يعملون» الى غير ذلك من الايات الدالة على ان الامور الدنيوية لايمكن ان يكون لها وجود يوم القيامة، وان النفس الادمية مادامت من جنس هذه الاكوان الدنيوية، فهى حطب جهنم وصلى النار، كماقال: «انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» وانما يستحق النعيم ويستأهل لجوار الله والجنة من تبدل وجوده، وصار جوهراً علمياً بعد ماكان جوهراً دنيوياً؛ وذلك بمزاولة اكتساب العلوم وملكة التجريد. فظهر ان محبة الدنيا منشأ الكفر والاحتجاب ومادة الشقاوة والعذاب، وان بناء التنعم فى الاخرة والحيوة الدائمة على العلم والمعرفة، اذا مالم يصر جوهر الانسان جوهراً ادراكياً علمياً لم يجعل من جنس الجواهر الحية القريبة من الله و دار كرامته المرتفعة عن عذاب النار و منزل البوار المنتعمة بنعم دار الحيوان المنسرحة فى طبقات الجنان .

قاعدة

فى الاشارة الى ان هذا المنهج اعنى: منهج التوحيد وهو طلب العلم بالله و آياته وملكه وملكوته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر هو مسلك جميع الانبياء و الاولياء عليهم السلام، و ان لاخلاف بينهم فى شىء من العلوم الالهية والاصول الايمانية، وان طريقتهم فى العلم واحد ودينهم دين واحد، وانما الخلاف بين شرايعهم فى المسائل الفرعية العملية التى قد يختلف باختلاف الازمنة والاوقات ، قوله تعالى و ما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى

اليه انه لا اله الا انا فاعبدون. و قوله تعالى: «كذلك يوحى اليك و الى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم» و قوله تعالى: «شرع لكم من الدين، ما وصى به نوحاً و الذى اوحينا اليك و ما وصينا به ابراهيم و من الدين، ما وصى به نوحاً و الذى اوحينا اليك و ماصينا به ابراهيم و موسى وعيسى، ان اقيموا الدين ولا تتفر قوافيه» وقوله: «انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده، واوحينا الى ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وايوب ويونس وهرون وسليمان ....» وقوله: «مايقال لك الاماقد قيل للرسل من قبلك، قل: هاتوابرها نكم، هذا ذكر من معى و ذكر من قبلى ،بل اكثرهم لا يعلمون الحق وهم معرضون» وقوله: «اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء عن عباده، و لواشر كوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون» و قوله: «ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى».

واعلم ان هذا المنهاج العلمى والايمان الحقيقى فى غاية الندرة و الشذوذ ولايوجد منهم فى كل عصر الاعدد قليل كواحد او اثنين كماقيل: «جل جناب الحق من ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد...» وذلك لان علم التوحيد والايمان الحقيقى نوريقذ فه الله فى قلب من يشاء من عباده، ليس تحصيله بمجرد اقرار بالشهادة ولابحث وتكرار، او تلفيق ادلة كلامية، كما هوشأن اكثر المنتسبين الى العلم المشهورين بالافادة و التدريس، و اكثر اهل الاسلام ظاهراً هم اهل الكفر و الاشراك باطناً، كما قال تعالى: «وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين» و قوله: «وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون» وقوله: «يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله...» و المراد: يا ايها الذين آمنوا ظاهراً و لفظاً، آمنوا ضميراً وعلماً، و قوله: «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا و لمايدخل الايمان فى قلوبكم» و قوله: «يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها و اكثرهم الكافرون».

ومما يد لعلى ان المومنين بالحقيقة هم الراسخون فى العلم الكاملون

فی الحکمة والمعرفة، قوله : «لکن الراسخون فی العلم منهم والمومنون ، یومنون بماانزل الیك وما انزل من قبلك» وقوله : «ویری الذین اوتوا العلم الذی انزل الیك من ربك هوالحق ویهدی الی صراط العزیز الحمید...» هذه الایة دالة علی ان غیر هولاءالقوم لایشهد حقیةالرسول ولایعلم حقیقة انزال الکتاب الهادی الی صراط التوحید. و بالجملة ان المؤمنین بالحقیقة هم العلماء بالله و الیوم الاخر، وهذاالعلم نورعزیز المنال وفضل رفیع المثال لایوجد بمجرد القیل والقال والبحث والجدال، اوروایةالحدیث وحفظ الاقوال.

قال بعض العارفین : «اخذ تم علمکم میتاً عن میت واخذنا علمنا عن الحی الذی لایموت» وهذا العلم المشار الیه، هوعلم الوراثة لاعلم الدراسته یعنی ان علوم الانبیاء علیهم السلام لدنیة، فمن کان علمه مستفاداً من الکتب والروایة والدراسة فلیس هومن ورثة الانبیاء لان علومهم لایستفاد الامن الله، کما قال تعالی: «و ربك الاکرم الذی علم بالقلم، علم الانسان مالم یعلم».

ولاتظن، ان التعلیم من عندالله یختص بهم لایتجا وزغیرهم فقد قال تعالی : «فاتقوالله ویعلمکم الله» فکل من وصل الی حقیقة التقوی فلابد ان یعلمه الله مالم یعلم ویکون معه، کما قال ان الله مع الذین اتقوا والذینهم محسنون .

قاعـدة

فی نعوت القرآن و اسامیه

اعلم ان القرآن فی اللغة بمعنی الجمع، کماان الفرقان بمعنی الفرق والتفصیل، قال الله تعالی: «ان علینا جمعه و قرآنه، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم ان علینا بیانه» .

والاول اشارة الی العلم الاجمالی المعروف عندالعلماء بالعقل البسیط وهوالعلم بجمیع الموجودات علی وجه بسیط اجمالی وذلك العقل هوفعال

تفاصيل العلوم النفسانية .

والثانى، اشارة الى العلم النفسانى المتكثر بصور عقلية حاصلة فى النفوس الفاضلة، وربما يحصل الثانى دون الاول لكن الاول لاينفك عن الثانى، فكل قرآن لاينفك عن الفرقان دون العكس، ونفس نبينا، صلى الله عليه وآله، فى مقام ـ قاب قوسين اوادنى ـ عقل بسيط قرآنى متحد مع المعقولات كلها، وهو قلم الحق الاول، وكلامه بوجه وهو كلمة الله التامة التى فيها جوامع الكلم، كمافى قوله، صلى الله عليه وآله : «اوتيت جوامع الكلم» وفى مقام آخر لوح نفسانى فيه تفاصيل العلوم وصور الحقايق المرسومة فيه من قبل قلم الحق الفعال لصور العلوم، وتلك الصور اومحلها هو الكتاب الفرقانى، فهذا المصحف الذى بين اظهرنا قرآن بوجه وفرقان بوجه، وهو كلام الله بوجه وكتابه بوجه، وسينكشف لك وجوه الفرق بين كلام الله وكتابه، وان المنزل على سائر الانبياء كتابه لاكلامه، وان ذلك فرقان لا قرآن. اذا علمت هذا فاعلم، ان من اسمائه نور، لانه نور عقلى ينكشف به احوال المبدء والمعاد، يترا آى به حقايق الاشياء، ويهتدى به فى سلوك يوم القيامة وطريق الجنة، كما قال تعالى : «ماكنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى طراط مستقيم» وقال : «قدجائكم من الله نور وكتاب مبين، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم» فقوله : «نور» اشارة الى مرتبه العقل القرآنى البسيط. وقوله : «كتاب» اشارة الى مرتبة العلم التفصيلى، كما قال : «كتاب فصلت آياته» وقال: «كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» وقال : «تفصيل الكتاب لاريب فيه». ومن اسمائه العظام الحكمة، كما فى قوله: «و آتيناه الحكمة وفصل الخطاب» فان الموجودات اعنى الممكنات متميزة حال عدمها الكونى فى علم الله الواحد ويعلم الله تعالى بعلم واحد بسيط صور جميع الاشياء، ويراها ويأمرها بالتكوين بأمر واحد هى كلمة كن الوجودى، فما عند الله اجمال، بل الامر كله فى نفسه، وفى علم الله مفصل، وان كان كله معلوماً بعلم واحد لكن معلوماته كثيرة؛

كثرة لاتحصى، وانما وقع الاجمال فى حقنا. فمن كوشف بالتفصيل فى عين الاجمال علماً او عيناً اوحقاً، فذلك العالم الذى اعطاه الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب، وليس ذلك الا الانبياء عليهم السلام والورثة لهم من العلماء الراسخين. واما الفلاسفة المشهورون فليسوا من هذا المقام فى شى، ولايعلمون التفصيل فى عين الاجمال، كمايراه صاحب هذا المقام الذى اعطاه الله الحكمة وفصل الخطاب، و هذه الحكمة عناية ربانية و موهبة الهية لايؤتى بها الامن قبله تعالى، كما قال يؤتى الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً. و ما يذكر الا اولوا الالباب.

فهذه الاية تدل على ان الحكمة من مواهب الله التى لاتحصل بمجرد السعى، بل حصولها بالمشية الربانية لاغير. ولاجل ذلك ذكرانه من فضل الله فى قوله تعالى: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذوا الفضل العظيم» بعد قوله : «ويعلمهم الكتاب والحكمة» .

وفى هذه الاية اشاره الى ان هذه الحكمة المعبر عنها تارة بالقرآن، وتارة بالنور وعندالحكماء بالعقل البسيط، هومن فضل الله وكمال ذاته ، اتاها الله لمن اختاره واصطفاه من خواص عباده ومحبوبيه، كملك من الملوك يعطى خلعته ولباسه المخصوص لمن احبه من مقربيه لان الحكمة الحقة من صفاته الذاتية، ولاينا لها احد من الخلق الابعد تجرده عن الدنيا وعن نفسه بالتقوى والزهد الحقيقى، والفناء من شوائب الخليقة والانخراط فى سلك المهيمين من ملائكته و عباده المقربين حتى يعلمه الله من لدنه علماً و يؤتيه حكمة و خيراً كثيراً و فضلا عظيماً و يحييه حيوة طيبة، و جعل له نورا يمشى به فى ظلمات الدنيا وبرازخ القبور، كما فى قوله تعالى: «افمن كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها» فقوله: «كان ميتاً فاحييناه» اى فانياً عن غير الله باقياً به. والنور الذى يمشى به فى الناس هو نور الله، كما فى قوله صلى الله عليه وآله : «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله». و من اسمائه الروح، قوله، «تعالى يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق» و قوله تعالى

«وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا» ومن نعوته، الحق، قوله تعالى: «قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا، بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما اتاهم من نذير». و قوله: «تلك آيات الكتاب و الذى انزل اليك من ربك الحق، و لكن اكثر الناس لايؤمنون» و قوله: «افمن يعلم انما انزل اليك من ربك كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب». ومن القابه الشريفة الهدى، لانه يهدى الى الحق بل هوالحق. قوله تعالى: «ذلك هدى الله يهدى به من يشاء» وقوله: «هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب». و من القابه الذكر، لانه يتذكر به الامور الاخرة و احوال المبدأ و المعاد «فاستمسك بالذى اوحى اليك انك على صراط مستقيم، و انه لذكر لك و لقومك و سوف تسئلون» و منها الشفاء، لان به يقع النجاة عن الامراض النفسانية والاسقام الباطنية والا لام الاخروية من الجهل والحسد و الكبر و الريا و النفاق و الرعونة و الشهوة و الغضب و حب الجاه وساير المهلكات والامراض التى اذا استحكمت اعيت الاطباء الروحانيين عن علاجها. قوله تعالى: «قل هو للذين آمنوا هدى و شفاء، والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى، اولئك ينادون من مكان بعيد» يعنى: ان القرآن هدى وشفاء بالقياس الى قوم، وهم الذين لم يفسد قرايحهم، ولم يتغير فطرتهم الاصلية التى فطرهم الله عليها، وهو بعينه ضلال بالقياس الى من فسدت قريحته وتغيرت فطرته، كما ان نور الشمس يقوى للابصار وهو عمى للخفافيش، كما فى قوله تعالى: «فى قلوبهم مرض، فزاد هم الله مرضاً ولهم عذاب اليم» و قوله: «يضل به كثيراً و يهدى به كثيراً و ما يضل به الا الفاسقين» و منها الهدى والرحمة، قوله: «وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه و هدى و رحمة لقوم يومنون». وصفات القرآن ونعوته كثيرة يؤدى ذكرها الى الاطناب فاكتفينا بما ذكر، لانه كاف للمتدبر المستبصر.

قاعدة

فی وجوه الفرق بین کلام‌الله و کتابه

الفرق بین کلامه تعالی و کتابه، کالفرق بین البسیط والمرکب کمامر. وقدقیل: ان‌الکلام من عالم الامر، والکتاب من عالم‌الخلق، وان الکلام اذا تشخص صار کتاباً، کما ان‌الامر اذا تشخص صار فعلا، کما قال «الله الذی خلق سبع سموات و من‌الارض مثلهن یتنزل الامر بینهن» وقوله: «انما امره اذا اراد شیئاً ان یقول له کن فیکون».

فالفرق بین الکلام والکتاب بوجه، کالفرق بین الامر والفعل، فالفعل زمانی متجدد کما ستعلم، و الامر بریء عن التغیر و التجدد، والکلام غیر قابل للنسخ والتبدیل، بخلاف‌الکتاب: «یمحوالله‌مایشاء ویثبت، و عنده‌ام الکتاب».

فصحیفة وجود العالم الفعلی الخلقی هی کتاب‌الله عزوجل، وآیاته اعیان الموجودات «ان فی اختلاف اللیل و النهار... لایات لقوم یتقون».

و اما کلمات الله التامات، فهی‌الهویات العقلیة‌النوریة التی وجودها عین الشعور والاشعار والعلم والاعلام، وکما ان کتاب الله‌مشتمل علی‌الایات «تلك آیات الکتاب المبین» فکلام‌الله مشتمل علی‌الایات «تلك آیات الله نتلوها علیك بالحق».

واعلم ان الامر منه تکوینی ومنه تشریعی، والامر التکوینی‌موجب للطاعة والقبول کاطاعة الملك والملکوت، بخلاف الامر‌التشریعی لانه امر بالواسطة، فتطرق الیه الاباء والعصیان والطاعة والاتیان «فمنهم من اطاع ومنهم من عصی».

و اعلم ان النازل علی‌اکثر‌الانبیاء، علیهم‌السلام، من‌الله هوالکتاب دون کلام‌الله. و هذاالقران الذی انزل علی محمد، صلی‌الله علیه‌وآله، کلام الله و کتابه جمیعاً باعتبارین، واما سائر‌الکتب السماویة المنزلة علی سائر-

المرسلين، سلام الله عليهم اجمعين، فانها ليست بكلام الله، بل كتب يدرسونها، و يكتبون بايديهم. فهذا المنزل بما هو كلام الله نور من انوار الله المعنوية النازل من عنده على قلب من يشاء من عباده المحبوبين «و انك لتلقى القران من لدن حكيم عليم» و قوله: «ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا» قوله: «نزل على قلبك بالحق» و قوله: «بالحق انزلناه و بالحق نزل».

وهو بما هو كتاب نقوش وارقام و صور و الفاظ و فيها آيات احكام نازلة من السماء نجوماً على صحايف قلوب المحبين والواح نفوس الطالبين، وغيرهم يكتبونها فى صحايفهم و الواحهم الحسية بحيث يتلوها كل تال و يقرأها كل قار، ويتكلم بها كل متكلم، وبها يهتدون وبما فيها يعملون، ويتساوى فى هديها الناس العوام و الخواص والانبياء و الامم، كقوله: «هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان» و قوله: «وانزل التورية من قبل هدى للناس» و قوله: «وعندهم التورية، فيها حكم الله».

و اما القرآن العظيم الكريم، ففيه عظايم الامور الالهية التى لايصل الى دركه الا اهل الله خاصة، لقوله: «وعلمك مالم تكن تعلم، و كان فضل الله عليك عظيماً» و فيه كرايم اخلاق الله التى تخلق بها رسول الله، صلى الله عليه وآله لقوله: «و انك لعلى خلق عظيم» و كان خلقه القرآن، كما نقل. و يدل على ذلك قوله «هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور»

بيان ذلك: ان القرآن نور كما مر من قوله: «قد جائكم من الله نور» فاذا خرجت به نفوس أمته من الظلمات الى النور، صاروا متصفين بالنور متخلقين به، فاذا كان حال الامة هذا الحال، فما ظنك بحال نبيهم، صلى الله عليه وآله.

دقيقة كشفية

و اعلم انه قد يكون شيء واحد كلاماً و كتاباً باعتبارين لما علمت،

ان الامر كلام، والفعل كتاب، و ان القايم بالمتكلم كلام، والصادر منه كتاب. فالانسان مثلا لكونه ذا درجات بحسب النفس والبدن وهو بحسب كل مقام غير خارج عن الهوية الانسانية اذا تكلم بالفاظ و حروف مسموعة، فاذا نسبت تلك الالفاظ والحروف الى نفسه، كان كتاباً له وفعلاً صادراً عنه صنعه و كتبه فى لوح الهواء و فى مخارج الحروف من الاعضاء، و اذا نسبت الى شخص بدنه كان كلاماً قائماً بشخصه، لا كتابة صادرة عنه. وكذا القياس اذا تحدث بحديث النفس، كان باعتبار نسبته الى عقله المجرد بالصدور كتاباً، و من حيث قيامه بالنفس واتصافها به كلاما لها، فهو كتاب لعقله و كلام لنفسه. و كذا الحال فى الكتابة الموجودة فى لوح و قرطاس يمكن اعتبار الحالين فيها بالصدور والقيام ولو بتعمل. تأمل فى ذلك فانه دقيق لطيف يرفع به الخلاف بين الطائفتين.

قاعدة

فى وجوه الفرق بين انزال كلام الله على قلب النبى، صلى الله عليه و آله، و بين انزال الكتب السماوية و تنزيلها الى سائر الانبياء عليهم السلام.

قوله تعالى: «نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه» اى نزل على قلبك حقايق القرآن و انواره متجلية بسرك، لا صورة الفاظ مسموعة او مكتوبة على الواح زمردية مقروة لكل قارء.

دليل ذلك قوله تعالى: «و بالحق انزلناه و بالحق نزل» يعنى نزل بالحقيقة لا بالتصوير والحكاية. و قوله: «ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا» يعنى ما كنت تكتسب بالدراية والفهم صورة ما فى الكتب العلمية، و لست تتعلم الايمان من معلم غير الله، ولكن جعل الله قلبك نوراً عقليا تتنور به حقايق الاشياء ويهتدى بها الى ملكوت الارض و السماء. و قوله: «وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون، بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم» وقد

وقعت الاشارة الى ان تعليم القرآن من قبل الله بان يتجلى بنور الحكمة الذى هو حقيقة الكلام و نور الايمان على قلب من كان من عباده الكرام واحبائه العظام. وبالجملة، القرآن خلق النبى، صلى الله عليه وآله، كما مر و سائر الكتب ليست كذلك. و بالجملة من علمه الله القرآن بهذا التعليم، كان عليه من الله فضلا عظيماً، كما قال لحبيبه، صلى الله عليه وآله: «و علمك مالم تكن تعلم، و كان فضل الله عليك عظيماً».

بل نقول التعليم على ثلاثة اقسام: تعليم بشرى، وتعليم ملكى، و تعليم الهى. والاول، كما لساير الناس، والثانى، كما لساير الرسل «عليهم السلام»، كان يمثل لهم الملك و يعلمهم الكتاب، والثالث، كما لخواص الانبياء و عظماء الاولياء عند عروجهم المعنوى الى الله. و الى هذه الاقسام الثلاثة اشار بقوله: تعالى: «ما كان لاحد ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب، او يرسل رسولا» فالاول هو التعليم الالهى، والثانى هو الملكى، والثالث هو البشرى، فافهم ان كنت من اهله. ولا يفهم هذه الرموز الا من خرج طاير روحه الامرى من قالبه البشرى و نفسه فانه منطق الطير، و انت بعد بيضة محبوسة فى القشر الصورى، لست من السيارين فى ارض الملكوت ولا من الطيارين فى جو الجبروت.

وجه اخر من الفرق، انه قال تعالى: «وآتينا موسى الكتاب و جعلناه هدى لبنى اسرائيل»

و قال: «و انزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس» و قال فى حق القرآن: «ذلك الكتاب لاريب فيه، هدى للمتقين» و الفرق ظاهر بين كتاب فيه هدى للناس ويستوون فى هداه الانبياء والامم، وبين كتاب فيه هدى الانبياء والمتقين من هذه الامة المخصوصين بالعناية، كما قال: «ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا»

وجه آخر، قال: «و كتبنا له فى الالواح من كل شىء موعظة» و قال فى حق القرآن: «فاوحى الى عبده ما أوحى» و قال: «يا ايها الناس قد جائكم برهان من ربكم و انزلنا اليكم نوراً مبينا».

والفرق عظيم بين الكتابة والوحى، و كذا بين الموعظة والبرهان،

ثم انه جعل الله تشریف سائر الانبیاء علیهم السلام، مثل تشریف هـذه الامة – المرحومة لمحمد صلی الله علیه و آله، حیث قال لهذه الامة : «اولئك کتب فی قلوبهم الایمان»، فشتان بین نبی تشرف بکتابة الموعظة له فی الالواح، وبین نبی تشرف امته بکتابة الایمان لهم فی قلوبهم.

وجه آخر: القرآن تنزل علی قلب الرسول، و سائر الکتب نازلة علی صدر الانبیاء، وفرق بین تعلمهم الکتاب وبین تعلم نبینا الکتاب، فکانوا یتدارسون الکتب، و خاتمهم صلی الله علیه و آله کان متخلقاً بالقرآن.

وجه آخر فی الفرق بین ما افاده صلی الله علیه و آله، تنزیل الکلام، و بین ما افاده لهم علیهم السلام، انزال الکتب، فان افاد الانزال لهم الحکمة ، فقد افاده صلی الله علیه و آله، ان اوتی جوامع الکلم، و بـه فضل علی الانبیاء علیهم السلام وبخمسة امور اخری، لقوله صلی الله علیه و آله: «فضلت علی الانبیاء بست» و کذا تحقق الفرق بین تصرف تنزیل الکلام علی قلبه و تصرف الانزال علیهم، فان کان انزال الکتب تصرف فیهم بان کان الکتاب مع احدهم نوراً من الله یجیء به الی امته لیکون هدی لهم، کما قال تعالی: «قل من انزل الکتاب الذی جاء به موسی نوراً و هدی للناس»، فان تصرف تنزیل القرآن علی قلبه جعله نوراً من الله یجیء الی الامة ومعه الکتاب لقوله: «قد جائکم من الله نور» وهو محمد صلی الله علیه و آله، و کتاب مبین، فشتان بین نبی یجیء و یکون هو بذاته نوراً و معه کتاب، و بین نبی یجیء و یکون معه نور من الکتاب.

هذا و قد انکشف علیك من تضاعیف ما ذکرناه لك ان الکلام غیر الکتاب وان الحکمة والنور والقرآن والکلام الالهی یجری مجری الالفاظ المترادفة فی لسان هذا الکتاب، و انها جمیعاً عبارة عن مرتبة العقل البسیط الذی فیه حقایق الاشیاء مجملة، وان الکتاب عبارة عن مقام نفسی فیه صور العلوم التفصیلیة ونسبة الاول الی الثانی کنسبة الکیمیا الی الدنانیر و کنسبة البذر الـی الشجرة، بل کنسبة المبدأ الفعال الی مجعولاته.

قاعدة

فى الاشاره الى عمدة مقاصد الكتاب الالهى و اصول معاقده و احكامه

اعلم اولا، ان سر نزول القرآن و مقصده الاقصى و لبابه الاصفى، دعوة العباد الى الملك الاعلى، رب الاخرة والاولى، والغاية المطلوبة فيه تعليم ارتقاء العبد من حضيض النقص والخسران الى اوج الكمال والعرفان وبيان كيفية السفر الى الله طلباً لمرضاته ولقائه ومجاورة لمقربيه، و تنعماً للروح السعيدة بما فى حضرة ملكوته، وانسراحاً للنفس فى روضات جنانه، و نجاتا لها عن دركات الجحيم و مجاورة موذياتها والتعذيب بنيرانها و عقاربها و حياتها، ولاجل ذلك انحصرت فصوله و ابوابه و سوره و آياته فى ثلاثة مقاصد هى كالدعايم والاصول والاعمدة المهمة، وثلاثة اخرى هى كالروادف والمتممات و اللواحق والمعينات.

اما الاصول المهمة فاولها، معرفة الحق الاول و صفاته وافعاله.

و ثانيها، معرفة الصراط المستقيم و درجات الصعود الى الله و كيفية السلوك عليه و عدم الانحراف عنه.

و ثالثها، معرفة المعاد والمرجع اليه و احوال الواصلين اليه والى دار رحمته و كرامته، و احوال المبعدين عنه والمعذبين فى دار غضبه و سجن عذابه، و هو علم المعاد والايمان باليوم الاخر.

و اما الثلاثة الاخيرة، فاحدها، معرفة المبعوثين من عندالله لدعوة الخلق و نجاة النفوس عن حبس الجحيم وسوقهم الى الله، وهم قواد سفر الاخرة و رؤساء القوافل، و المقصود منه الترغيب الى الاخرة و التشويق الى الله.

و ثانيها، حكاية اقوال الجاحدين و كشف فضايحهم وتسفية عقولهم فى غوايتهم و ضلالتهم و تحريهم طريق الهلاك، والمقصود فيه التحذير عن طريق الباطل والتثبت على الطريق المستقيم.

و ثالثها، تعليم عمارة المنازل والمراحل الى الله والعبودية و كيفية

اخذ الزاد والاستعداد برياضة المركب و علف الدابة لسفر المعاد، والمقصود منه كيفية معاملة الانسان مع اعيان هذه الدنيا التى بعضها داخلة فيه، كالنفس و قواها الشهوية والغضبية برياضتها و اصلاحها حتى لايكون جموحاً بل رايضة حمولة يصلح للركوب فى السفر الى الاخرة والذهاب الى الرب تعالى، كما فى قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام: «انى ذاهب الى ربى سيهدين» و هذا العلم يسمى تهذيب الاخلاق. وبعضها خارجة، اما مجتمعة فى منزل واحد كالوالد والولد والاهل والخدم، و يسمى تدبير المنزل، او فى مدينة واحدة اواكثر، و يسمى علم السياسة و احكام الشريعة، كالقصاص والديات والاقضية والحكومات و غيرها، فهذه سته اقسام من مقاصد القرآن و نحن نقتصر فى هذا الكتاب على ايراد القواعد المتعلقة بالثلاثة المهمة التى هى بالحقيقة اركان الايمان واصول العرفان، وقد فتح على الله على قلبنا من ابوابها مالم يذكر فى شىء من المصنفات من اسرار الايات و رموز الكلام الالهى.

و اما قواعد العلوم الفرعية فقد نصب الله لها اقواماً قد استفرغوا جهدهم فى تحصيلها و فنوا اعمارهم فى شرحها و تفصيلها شكر الله حسنات مساعيهم و اثابهم جنات الاعمال جزاء بما كانوا يعملون.

فالمقصد الاول ، و هو المعروف بمعرفة الربوبية مشتمل كما اشرنا اليه على ثلاث مراتب: معرفة الذات الالهية، ومعرفة صفاتها واسمائها، ومعرفة افعالها.

اما معرفة الذات، فهى اضيقها مجالا، وارفعها منالا، وابعدها عن الفكر والذكر، اذ حقيقة الواجب، جل مجده، هوية بسيطة غير متناهية الشدة فى النورية والوجود، و حقيقته عين التشخص والتعين، لامفهوم له، ولامثل ولا مجانس ولامشابه، ولاحد له، ولابرهان عليه، بل هو البرهان على كل شىء فلا اعرف من ذاته ولاشاهد عليه، بل هو الشاهد على الكل «اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، و هو القاهر فوق عباده ، و عنت الوجوه للحى القيوم » و ليس للمعلول المقهور عليه ان يحيط بعلمه العلة له والقاهر عليه، والا، لانقلب المعلول علة، والمقهور

قاهراً، و هومحال «ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد» ولهذا وردالنهى عن التفكر فى ذات الله، لقوله صلى الله عليه وآله: «تفكروافى آلاء الله، ولا تتفكروا فى ذات الله» و لانه تحترق النفس فى ادراك اشعة نور وجهه، فكيف فى نور وجهه؟ فلايمكن الوصول الى معرفة ذاته الابفناء السالك عن نفسه، وباندكاك جبل انيته، حتى شهد ذاته تعالى على ذاته، كما قال بعض العارفين «عرفت ربى بربى، ولولاربى ماعرفت ربى» و عن ابيعبدالله عليه السلام «من زعم انه يعرف الله بحجاب اوبصورة او بمثال فهو مشرك، لان حجابه و مثاله و صورته غيره، و انما هو واحد متوحد، و كيف توحده من زعم انه عرفه بغيره. و انما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه به، فليس يعرفه و انما يعرف غيره» و لاجل ذلك لايشتمل القرآن من معرفة الذات فى الاغلب، الاعلى تقديسات محضة و تنزيهات صرفة و سلوب عن نقايص و امكانات كقوله: «لااله الاهو» و كقوله: «ليس كمثله شىء» و كقوله: «والله الغنى وانتم الفقراء» و كسورة الاخلاص، اوعلى تلويحات و اشارات الى التعظيم المطلق، كقوله: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون» وقوله: «فسبح باسم ربك العظيم، وسبح اسم ربك الاعلى» وقوله تعالى «عمايصفون» اواضافات محضة كقوله: «بديع السموات والارض» وقوله: «وهوالذى فى السماء اله وفى الارض اله».

و اما الصفات، فالمجال للفكر فيها افسح، و نطاق النطق فيها اوسع، لانها مفهومات عقلية يقع فيها الاشتراك، الا انهافيه على وجه اشرف واعلى، و ان مصداقها فى الاول تعالى ذاته بذاته، وفى غيره ليس كذلك. ولاجل ذلك اشتمل القران على ذكر تفاصيلها فى كثير من الايات، كما فى قوله: «وهو السميع العليم» و قوله: «هوالعزيز الحكيم» و كقوله: «الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر» وقوله: «هوالله الخالق البارى المصور له الاسماء الحسنى» و فى هذا القسم ايضا غموض شديد، و تعسر تام، ولايمكن معرفة بعض الصفات، كالكلام والصفات التشبيهية، الا لاهل البصاير الثاقبة، كالسمع، و البصر، و الاستواء على العرش، و الابتلاء، و المماكرة، والتردد، والذهاب، والمجىء، والكراهة، والتأذى، وكالوجه، واليد، والجنب،

والقدم، و غيرذلك مما لايعرفه الاالراسخون فى العلم.

و اما الافعال، فبحر متسع اطرافه، و لكل احدان يخوض فيه ويسبح فى غمراته بقدر غزارة علمه و قوة سباحته، لكن لاينال بالاستقصاء اطرافه ، لانها مرتبطة بالصفات كالصفات بالذات، بل ليس فى الوجود الاذاته و صفاته و افعاله التى هى صوراسمائه و مظاهر صفاته، لكن القرآن مشتمل على الجلى منها، الواقع فى عالم الشهادة تصريحا و تفصيلا، و على الخفى منها، الواقع فى عالم الغيب تلويحاً و اجمالا.

فالاول، كذكر السموات والارض و الكواكب والشمس و القمر و الجبال و البحار و السحب والامطار و ساير اسباب الكاينات، والحيوان ، والنبات. لكن اشرف صنايع الله و اعجبها واعظمها وادلها على جلال الله وعلوه و مجده، ماهو محجوب عن الحس، بل هو من عالم الملكوت، و هى الملائكة والروحانيات والروح والعقل والنفس و اللوح والقلم، بل العرش والكرسى عند بعض، فان هذه كلها خارجة من عالم الملك والشهادة، و من ادانى عالم الملكوت هى الملائكة العمالة الموكلة بعالم الارضين، و منهم كتبة الاعمال، و ملائكة جانب الشمال وكرام الكاتبين. قوله: «مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد، و جائت كل نفس معها سائق وشهيد» فالسايق للعمل والشهيد للاعتقاد، «و قال قرينه هذا مالدى عتيد» وقوله: «وان عليكم لحافظين، كراما كاتبين، يعلمون ماتفعلون» و منهم اعوان ملك الموت و سدنة النيران، «خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه» ومنهم الساكنين فى البرارى والجبال، و دونهم الجن والشياطين المسلطين على جنس الانس الذين امتنعوا عن السجود لادم عليه السلام، و من اعاليهم الملائكة السماويون، اى، الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسجونه وله يسجدون، يسجون له بالليل والنهار و هم لايسأمون. و اعلى منهم حملة العرش والكروبيون، وهم العاكفون فى حظيرة القدس، لاالتفات لهم الى هذا العالم، بل لاالتفات لهم الى غير الله، لذهولهم عن ذواتهم و استغراقهم فى شهود الحضرة الالهية، و هم من اهل الفناء فى التوحيد، ويقال لهم الملائكة المهيمة، ولايستبعدان يكون فى

عبادالله من یشغله مطالعة جلال الله عن الالتفات الی نفسه فضلا عن غیره.

و قد وردفی الحدیث عن رسول الله صلی الله علیه وآله: «ان لله ارضاً بیضاء، مسیرة الشمس فیها ثلاثون یوماً، هی مثل ایام الدنیا ثلاثین مرة، مشحونة خلقاً لایعلمون ان الله یعصی فی الارض، ولایعلمون ان الله خلق آدم وابلیس» واکثر الخلق ادراکهم مقصور علی عالم الحس و التخیل و انهما النتیجة الاخیرة من نتایج عالم الملکوت و هوالقشر الاقصی من اللب الاصفی، و من لم یجاوز هذه الدرجة لایعرف من القرآن الا ماله نسبة القشر الاخیر من الجوز، والبشرة من الانسان. فهذه مجامع القسم الاول من الثلاثة للاصول، وقدانقسم الی ثلاثة اقسام، فهی مع القسمین الاخیرین اللذین احدهما معرفة النفس واحوال الاخرة و کیفیة صعودها الی الله و مرورها علی الصراط المستقیم و سلوکها درجات طریق الحق و هبوطها و انحرافها عن الصراط و سقوطها عن الفطرة، ومرورها علی درکات الجحیم. و ثانیهما، معرفة المعاد و احوال یوم القیامة والبعث والحشر والصراط والمیزان والحساب والکتاب والثواب والعقاب فی الجنة والنار، فالمجموع خمسة اقسام نذکرها فی اطراف ثلاثة.

الطرف الاول فى علم الربوبية وفيه مشاهد:

المشهد الاول

فى معرفة الحق الاول جل ذكره و وحدانيته و فيه قواعد:

قاعـــدة

فى اثبات وجوده «شهدالله انه لا اله الاهو»

اعلم ان اعظم البراهين واسد الطرق وانور المسالك واشرفها واحكمها هو الاستدلال على ذاته بذاته، وذلك لان اظهر الاشياء هو طبيعه الوجود المطلق بماهو مطلق، و هو نفس حقيقة الواجب تعالى، و ليس شيء من الاشياء غير الحق الاول نفس حقيقة الوجود، لان غيره اما مهية من الماهيات، اووجود من الوجودات الناقصة المشوبة بنقص اوقصور اوعدم، فليس شيء منها مصداق معنى الوجود بنفس ذاته، و واجب الوجود هو صرف الوجود الذى لا اتم منه و لاحدله و لانهاية و لايشوبه شيء اخر من عموم اوخصوص، اوصفة غير الوجود بخلاف غيره.

فنقول : لولم يكن حقيقة الوجود موجوداً، لم يكن شيء من الاشياء موجوداً، لان غير حقيقة الوجود اما مهية من المهيات، و معلوم انها من حيث ذاتها غير موجودة، اووجود ناقص غير تام، فلامحالة يلزمه تركيب وتخصيص بمرتبة معينة و حد خاص من مطلق الوجود، فيفتقر بالضرورة الى سبب به يتم

وجوده، و محدد يحدده بحد الخاص، ويخرجه من القوة الى الفعل، ومن الامكان الى الوجوب، اذ كل ما ليست حقيقته حقيقة الوجود فلا يقتضى ماهيته وجود، ولا هويته حداً خاصاً من الوجود، فيحتاج الى قاهر عليه محدد له مفيد لمرتبة المعين فى الوجود، وذلك المقتضى يجب ان يكون مقدما فى الوجود على الجميع تقدم البسيط على المركب، والواحد على الكثير، والتام على الناقص، والغنى على الفقير، والفياض على المفاض عليه فحقيقة الحق الاول هو البرهان على ذاته والبرهان على كل شيء، كما قال جل شأنه: «اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد» فهذه سبيل الصديقين الذين يتوسلون به اليه ويستدلون به عليه و يستشهدون بوجوده على ساير الاشياء لا بوجود الاشياء عليه، كما فى طريقة غيرهم من السالكين الذين يستدلون بوجود الاثر على الصفات وبالصفات على الذات، و هى طرق كثيرة، اجودها منهجان:

احدهما، معرفة النفس الانسانية و فى انفسكم افلا تبصرون، و هذا أجود الطرق بعد طريق الصديقين، لان المسلك هيهنا عين الطالب وفى طريقهم عين المطلوب.

و ثانيهما، النظر فى الافاق والانفس، كما اشار اليه تعالى: «سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق» وفى القرآن آيات كثيرة فى هذا المنهج، قد مدح الله على الناظرين فى خلق السموات والارض، واثنى على المتفكرين فى آثار صنعه وجوده.

قاعدة

فى تحقيق الايمان بالله واليوم الاخر، قال الله تعالى: «آمن الرسول بما انزل اليه والمؤمنون كل امن بالله و ملائكة و كتبه و رسله ...» و قال: «ومن يكفر بالله و ملائكته و كتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا مبينا» دلت الايتان على ان الايمان يحصل بمعرفة هذه الامور و التصديق بها و قال:

«الذین امنو و کانوا یتقون، لهم البشری فی الحیوة الدنیا و فی الاخرة لاتبدیل لکلمات الله ذلك هو الفوز العظیم» و قال: «ان الذین قالوا ، ربنا الله ثم استقاموا، تتنزل علیهم الملائکة، الا تخافوا و لاتحزنوا و ابشروا بالجنة التی کنتم توعدون نحن اولیاؤکم فی الحیوة الدنیا و فی الاخرة» دلت الایتان علی ان المؤمن الحقیقی من یکون قلبه منزل کلمات الله و مورد الملائکة ، و قال تعالی: «الله ولی الذین آمنوا یخرجهم من الظلمات الی النور، والذین کفروا اولیآئهم الطاغوت یخرجونهم من النور الی الظلمات اولئك اصحاب النار هم فیها خالدون» وقال: «هو الذی انزل علی عبده آیات بینات لیخرجکم من الظلمات الی النور» و قال: «یوم تری المؤمنین والمؤمنات یسعی نورهم بین ایدیهم و بایمانهم...» وقال: «والذین امنوا بالله ورسله اولئك هم الصدیقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم و نورهم» و قال: «قد انزل الله الیکم ذکراً رسولا یتلوا علیکم آیات الله مبینات لیخرجکم من الظلمات الی النور» دلت الایات علی ان الایمان نور عقلی یخرج به النفس من القوة والنقص الی الفعل والکمال، و یرتقی من عالم الاجسام والظلمات الی عالم الارواح والانوار ، ویستعد للقاء الله تعالی، و ذلك النور هو المسمی عند الحکماء السابقین بالعقل بالفعل، و قالوا: ان النفس بسبب مزاولة العلوم العقلیة الیقینیة یصیر ذاتها عقلا قدسیاً صایرة نوراً الهیا من حزب الملائکة المقربین.

تنبیـــه

و اعلم ان الایمان ایمانان

احدهما، تقلیدی سمعی، کایمان العوام یصدقون بما یسمعون و یستمرون علیه و به یمتازون عن الحیوانات و فایدته فی الدنیا حقن الاموال والدماء ، و ایمان کشفی قلبی یحصل بانشراح الصدر و تنور القلب بنور الله، کما اشار الله تعالی الیه «افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علی نور من ربه، فویل للقاسیة

قلوبهم عن ذكر الله» و ينكشف بذلك النور حقيقة الاشياء الاصلية على ماهى عليه، فيتضح حينئذ ان الكل من الله ابتداؤه، والى الله مرجعه ومصيره. و هذا الصنف هم المقربون النازلون فى الفردوس الاعلى، و هم على غاية القرب من الحضرة الربوبية. وهم ايضاً على اصناف. فمنهم السابقون، ومنهم من دونهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله وصفاته وافعاله، ودرجات العارفين غير محصورة، كما قال تعالى: «و يرفع الله الذين آمنوا و الذين اوتوا العلم درجات» اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن، و بحر المعرفة ليس له ساحل، فكل له درجة بقدر قوة غوصه وخوضه فيه، واما المؤمن ايمانا تقليدياً فهو من اصحاب اليمين ان كان عمله صالحاً، فهو يثاب فى الاخرة بحسب ميزان عمله و سلامة صدره من الغل والغش، فمن ادى الفرايض واجتنب الكباير، فيدخل فى الجنة، وكذا من اهمل الفرائض وارتكب الكباير، الا انه تاب توبة نصوحاً، فان التايب من الذنب كمن لاذنب له. و اما من لم يتب من الكبائر حتى مات، فأمره خطير، اذ ربما كان موته على الاصرار سبباً لزوال ايمانه، فختم له بسوء الخاتمة، لاسيما اذا كان ايمانه تقليدياً، فان التقليد و ان كان جزماً فانه قابل للانحلال بأدنى شبهة، والعارف البصير ابعد عن ان يخاف عليه سوء الخاتمة، و كلاهما ان ماتا على الايمان يدخلان الجنة ولو بعد حين، ويعذبان عذاباً يزيد على عذاب المناقشة فى الحساب بحسب قوة الاصرار و كثرة مدته و بحسب قبح الكبيرة، الا ان يعفو الله و يتجاوز عنه فانه غفور رحيم. و كما ان الايمان على ضربين، حقيقى و تقليدى، فالكفر ايضاً كفران، كفر عن جحود و عناد و انحراف عن منهج السداد، و هو مضاد الحق، لانه صفة و جودية و جهل مشفوع بالاصرار والاستنكار مركب مع البغض واللجاج، و كفر عن قصور ونقص وعدم استعداد، و كلاهما منشأ الخلود فى النار، الا ان المنافق اشد عذاباً واسوء حالا من الكافر الفطرى لمكنة استعداده و قوة نفسه.

و تفصيل المقام: ان الاشقياء على ضربين، اما المطرودون فى الازل الذين حق عليهم القول، و هم اهل الظلمة والحجاب الكلى لغلظ طبايعهم و كثافتها و انغمارهم فى بحر الطبيعة، فهم المختوم على قلوبهم ازلا، كما قال

تعالى «و لقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس، لهم قلوب لايفقهون بها و لهم اعين لايبصرون بها، و لهم آذان لايسمعون بها، اولئك كالانعام بل هم اضل» و كما قال: «و جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه، و فى آذانهم وقراً، وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذاً ابداً» و فى الحديث القدسى «هؤلاء خلقتهم للنار ولاابالى» و اما المنافقون الذين كانوا مستعدين فى الاصل قابلين للنور بحسب الفطرة والنشأه، و لكن احتجب قلوبهم بالرين المستفاد من اكتساب الرزايل النفسانية الحاصلة من ارتكاب المعاصى و مباشرة الافعال السبعية والبهيمية و مزاولة المكايد الشيطانية حتى رسخت الهيآت الغاسقة والملكات المضلة و ارتكمت على افئدتهم، فبقوا شاكين حيارى تايهين فى تيه الجهالة و ظلمات الحيرة و حبطت اعمالهم و انتكست رؤسهم، فهم اشد عذاباً و اسوء حالا و اردىء مآلا و اعصى جوهراً من الفريق الاول، لمنافاة مسكة استعدادهم لاحوال مآلهم و وبالهم. و الفريقان هم اصحاب النار، لانهم اهل الدنيا، احدهما، اهل الحجاب، والاخرى اهل العقاب. فالفريق الاول ما اشار تعالى اليهم بقوله: «ان الذين كفروا سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون، ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على ابصارهم غشاوة و لهم عذاب عظيم» والفريق الثانى ما اشار اليهم بقوله: «و من الناس من يقول: آمنا بالله وباليوم الاخر وماهم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا، ومايخدعون الا انفسهم و مايشعرون، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً، ولهم عذاب اليم».

فالفريق الاول من الاشقياء الذين هم اهل القهر الالهى، لاينجع فيهم الانذار، ولاسبيل الى خلاصهم من النار «كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا، انهم لايؤمنون، و كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار» و هؤلاء سدت عليهم الطرق «وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لايبصرون» واغلقت عليهم الابواب، لان القلب هو اصل الابواب، و هو المشعر الالهى الذى هو محل الالهامات، و قد حجبوا عنه بختمه، و كذا السمع والبصر اللذان هما بابان للفهم والاعتبار للانسان، و قد حرموا عن جدوا هما، لامتناع نفوذ المعنى فيهما الى القلب، فلاسبيل لهم فى

الباطن الى العلم الكشفى الباطنى و لافى الظاهر الى العلم التعليمى الكسبى، فحبسوا فى سجون الظلمات و عظم عذابهم و حجابهم.

والفريق الثانى من الاشقياء هم الذين سلب عنهم الايمان مع ادعائهم له، لان محل الايمان هو القلب لا اللسان، قال الله تعالى : «قالت الاعراب آمنا، قل لم تؤمنوا، و لكن قولوا اسلمنا، و لما يدخل الايمان فى قلوبكم» و معنى قولهم فيما حكى لله عنهم «آمنا بالله و باليوم الاخر» ادعائهم علمى التوحيد والمعاد اللذين هما اشرف العلوم الالهية واجل المعارف الربانية، فكذبهم الله بقوله : «وماهم بمؤمنين» فاشار الى ان علومهم خدع و تلبيسات يشتبه بها الجهل بالعلم ويظهر بها الباطل بصورة الحق كما هو دأب المغالطين المماكرين على ما قال تعالى: «و مكروا مكراً كباراً، انهم يكيدون كيداً و اكيد كيداً، فهمل الكافرين امهلهم رويداً» لكن اهل البصيرة يعرفون وجوه الخلط والتلبيس، و تدفعون خداع اصحاب الوهم والظلمات، و اوهامهم بانوار الالهامات و اضواء اليقينيات، كما قال : «ولايحيق المكر السيىء الا باهله، و يمحوا الله الباطل، و يحق الحق بكلماته» و فى القران آيات كثيرة مشيرة الى احوال هاتين الطايفتين، اعنى الضالين الغاوين والمضلين المغوين المكذبين، كقوله تعالى : «ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون، ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم، و لو اسمعهم لتولوا و هم معرضون» و قوله: «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين» وقوله: «و منهم من يستمع اليك أفانت تسمع الصم و لو كانوا لايعقلون، و منهم من ينظر اليك، افانت تهدى العمى و لو كانوا لايبصرون».

قاعـــدة

فی توحیده تعالی و احدیته و صمدیته

البرهان علی واحدیته ایضا ذاته، کما دلت علیه آیة «شهدالله» فانك قد علمت انه حقیقة الوجود و صرفه، و حقیقة الوجود امر بسیط لامهیةله ولاترکیب فیه اصلا، فثبت انه احد، صمد، و کلما هواحد صمد فهو واحدفرد لاشریك له و لاتعددفیه، اذلایتصور کثرة فی صرف حقیقة شیء، و کلماهـو حقیقةنفس الوجود الصرف الذی لااتم منه فلایمکن فرض الاثنینیة فیه فضلاعن جواز وقوع المفروض، اذتفاوت الوجودات المحضة والانوار الصرفة بنفس الاتمیة والاشدیة و مقابلهما، فلو فرض و جودان بسیطان، لابد و ان یکـون احدهما اتم واشد من الاخر، فیکون الاخر معلولا، لما مران کل ناقص معلول، اذلو کانا تامین غیر متناهیین فی الشدة، لزم ان یکون کل منهما نفس حقیقة الوجود بلاشوب شیء آخر، فلزم ان یکون حقیقة واحدة من جهة ماهی تلك الحقیقة متکثرة، اذلا ممیز هناك زایداً علی نفس الوجود. و ایضا : کل اثنین فاثنینیتهما اما من جهة الذات والحقیقة، کالسواد و الحرکة، و اما من جهة جزء الحقیقة خارجاً، کالانسان والفرس، اوذهناً، کالسواد والبیاض. او من جهة کمالیة و نقص فی نفس الحقیقة المشترکة، کالسواد الشدید و السواد الضعیف ، اوبسبب امر زاید عارض کالکاتب والامی، و شیء من هذه الوجوه لایتصوران یکون منشأ لتعدد الواجب. اما الاول، فلاتحاد حقیقة الوجود، و اما الثانی، فلبساطتها، و اما الثالث، فلتمامیة الذات الواجبة، و کون کل ناقص محدود معلولا لغیره، واماالرابع، فلاستحالة کون الواجب متأخراً عن مخصص خارجی، بل کل مافرض مخصصا من کم اوکیف اوغیرذلك، یجب ان یکون متأخرالوجود عن حقیقة الوجود، فاذن ذات الواجب یجب ان یکون متعینة بذاتها، فذاته شاهدة علی وحدانیة ذاته.

والایـات الدالة علی وحدانیته تعالی کثیرة، منها قوله : «و قـل

الحمدلله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك» و منها « ذلك بان الله هو الحق، و ان مايدعون من دونه هو الباطل، وان الله هو العلى الكبير» و منها قوله : «سبحان الله و تعالى عمايشركون» و منها قوله : «هو الله لااله الاهو» و قوله : «لاتدع مع الله الهاً آخر، لااله الاهو» و قوله : «قل انما يوحى الى، انما الهكم اله واحد» وقوله: «لاتتخذوا الهين اثنين، انما هو اله واحد فاياى فارهبون» و قوله : «قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون» الى قوله : «افلا تبصرون».

ومن البراهين الدالة على الواحدية والاحدية قوله تعالى: «قل هو الله احد الله الصمد» و قد علمت ان معنى الواحد هو الذى يمتنع من وقوع الشركة بينه وبين غيره، ومعنى الاحد هو الذى لاتركيب فيه ولا اجزاء له بوجه من الوجوه، فالواحدية عبارة عن نفى الشريك، والاحدية عبارة عن نفى الكثرة فى ذاته . و معنى الصمد الغنى الذى يحتاج اليه كل شىء، وهذا دليل على انه احدى الذات، اذلو كان له جزء لكان مفتقر الى غيره فلم يكن غنياً، و قد فرض غنيا، هذا خلف، و كل واحد فردانى لاشريك له، اذلو كان له شريك فى معنى ذاته لكان مركباً عن مابه يمتاز، و مابه يشترك، فيكون مركبا، و لو كان له شريك فى ملكه لم يكن غنياً يفتقر اليه غيره، فصمديته دليل احديته، و احديته دليل فردانيته فى ذاته و ملكه، و قوله: «لم يلد ولم يولد» دليل على ان وجوده المستمر الازلى ليس بقاؤه بالنوع و بتعاقب الاشخاص التى ينحفظ بها بقاء النوع كالانسان الطبيعى المستمر نوعه بتوارد الافراد المتماثلة، و كذا غيره من الامور الطبيعية المستمرة انواعها بتجدد الامثال، و ان كانت على نعت الاتصال. و قوله: «و لم يكن له كفواً احد» دليل على انه لايمكن انه يوجد فى مرتبة وجوده موجوداً، اذكل موجود سواه معلول له مفتقر اليه، متأخر وجوده عن وجوده تعالى، فلامكافىء له ولاند ولاضد له، اذ نسبة الكل اليه كنسبة الاشعة والاظلال الى ذات الشمس المحسوسة لو كانت نوراً قائماً بذاته.

قاعدة

فى توحيده فى الالهية كما فى وجوب الوجود

قال تعالى: «والهكم اله واحد لااله الاهو» اله العالم واحد لا شريك له فى الالهية وبراهينه كثيرة، فمن جملة الطرايق فيه النظر فى وحدة العالم، فانه قدثبت بالبرهان ان العالم كله شخص واحد وحدة طبيعية بعض اجزائه اعلى واشرف من بعض، فالكل حيوان واحد ناطق مسمى بالانسان الكبير، وان عالم الاجسام بمنزلة بدنه وعلنه، و عالم الارواح بمنزلة روحه وسره، والمجموع منتظم فى سلك واحد، ولايمكن تعدد العالم الجسمانى ولا تعدد العالم الروحانى، الا على سبيل احاطة بعضها بعضاً، و علية بعضها لبعض و ارتباط بعضها لبعض كارتباط الجسم بالروح، فاذا كان كذلك ثبت وحدة اله العالم، لان الالهية لايتم الابكون البارى صانعاً للعالم فاذا كان العالم واحداً كان اله العالم وصانعه واحداً لاشريك له فى الالهية كما لاشريك له فى ذاته، كما قال: «افى الله شك فاطر السموات» وقال: «وماكان معه من اله اذاً لذهب كل اله بماخلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عمايصفون، عالم الغيب والشهادة فتعالى عمايشركون، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون لله قل افلاتتقون قل من بيده ملكوت كل شىء و هويجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون، لو كان فيها الهة الا الله لفسدتا» وذلك لان تشخص المعلول بتشخص فاعله المفيض لوجوده، اذالوجود فى كل شئى عين تشخصه، وتشخصه عين وجوده، فمفيض وجوده مفيض تشخصه، وكمالايكون لشىء واحد شخصى وجودان ولاتشخصان، فكذلك لايكون له موجدان مشخصان، لان انحاء الوجود والتشخص متباينة متنافية، والا تصاف بكل منهما يقتضى نفى الاتصاف بغيره، فكذا الحال فى الا تصاف بمبدأ به وجود و تشخص، فاذا فرض لشىء واحد وجودان فهما متفاسدان، اذلاترجيح لاحد هما على الاخر، فهذا معنى الاية لاالذى توهمه

بعضهم من وقوع العربدة والنزاع بين الهين مفروضين، لانه كلام خطابى بل شعرى، جل جناب القرآن عن امثال هذه النقصانات .

و يؤيد ذلك قوله: « امجعلوالله شركاء خلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم، قل الله خالق كل شيء و هو الواحد القهار» .

قاعدة

فى توحيده تعالى فى حقيقة الوجود

قال الله تعالى: «كل شيء هالك الاوجهه» وقال: «الله نور السموات والارض» و النور و الوجود حقيقة واحدة لافرق بينهما الا بمجرد الاعتبار والمفهوم، و كذا الظلمة والعدم، فمعنى نور السموات والارض وجودهما، و قال: «مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم، ولاخمسة الا هو سادسهم، وهو معكم اينما كنتم، ونحن اقرب اليه من حبل الوريد» .

برهان ذلك : ان البارى جل ذكره بسيط الذات احدى الوجود كما مر، وان واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات فلايو جدفيه جهة امكانية فلو فرض فى ذاته فقد شيء من الاشياء الوجودية، او امكان امر من امور الثبوتية، لم يكن واجب الوجود من جميع الوجوه، فيلزم ان يكون فيه حيثيتان مختلفتان، حيثية وجوب وجود شيء و حيثية امكان وجود شيء آخر او امتناعه ، فيلزم التركيب فى ذاته ولو بحسب العقل ، و هو ممتنع ، فلابد ان يكون كل وجود وكل كمال وجمال رشحاً من رشحات بحر جماله ولمعة من لمعات نور كماله ،فجميع الوجودات ثابتة له على وجه اعلى و اشرف و لاسلب له الاسلب الامكان الذى هو معنى سلبى بسيط، فصفاته السلبية كلها راجعة الى سلب النقصان، والسلوب المندرجة كلها تحت سلب الامكان، قال : «لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة» ولم يقل ثالث اثنين، اذلم يصيروا بذلك كفاراً ، بل هو ثالث الاثنين

و رابع الثلاثة و خامس الاربعة و سادس الخمسة و هكذا، كما دلت عليه الاية المذكورة، وهى قوله تعالى: «مايكون من نجوى ثلثة الاهو رابعهم... الاية» و ذلك لان وحدته ليست عددية، بل وحدة اخرى جامعة لجميع الاحاد والاعداد، فلو كانت وحدته عددية لكانت داخلة فى باب الاعداد، فلم يكن حينئذ فرق بين ان يقال ثالث ثلاثة او ثالث اثنين، و لم يكن احد القولين كفراً دون الاخر، بخلاف ما اذا كانت وحدته خارجة عن باب الاعداد، فكان القول حينئذ بكونه ثالث الثلاثة او رابع الاربعة كفراً و باطلا، اذ ثالث الثلاثة داخل فى عدد الثلاثة وكذا رابع الاربعة داخل فى الاربعة وهكذا.

ثم لما كانت وحدته نحواً آخر مغايراً لساير الوحدات و ليست من جنسها، فهى مع كونها مغايرة لها جامعة لها مقومة اياها، فلكونه تعالى كذلك، صح ان يقال: انه رابع الثلاثة، فاذا انضم الى الثلاثة واحد من جنسها، صار هو سبحانه خامس الاربعة، وهكذا الى غير النهاية. وهذا مما يخفى دركه، الاعلى الراسخين « فهو الاول والاخر والظاهر والباطن، و هو بكل شىء محيط». و فى كلام سيد الموحدين امير المؤمنين عليه السلام «مع كل شىء لابمقارنة و غير كل شىء لابمزايلة».

واعلم ان لنا بعدا لكشف والشهود براهين متعددة على هذا المطلب تركنا ذكرها، اذا لاتأثير فى ذكرها لغير ذوى بصائر قلبية و من كان ذابصيرة قلبية يكفيه ما اوردناه من البرهان المذكور، لان من يتنور باطنه بنور الحق الاول، فيشاهد انه مع كونه واحداً غير قابل للتكثير والانقسام، انبسط على هياكل الموجودات، و وسع بجميع ما فى الارض والسماوات، ولايخلو منه شىء من الاشياء ولاذرة من ذرات الكائنات، وهو مع كونه مقوماً لكل وجود، مستغن مقدس عن كل موجود، لايلحقه من معيته لساير الاشياء نقص ولا شين، ولاتغير ولاتكثر وانقسام، كالنور الحسى الواقع من الشمس على الروازن و الثقب و على النجاسات و القاذورات من غير ان يتكثر ذاته ويتلوث بشىء منها اويمتزج بها، فاذا كان حال النور الحسى، هكذا، فما ظنك بحال نور الانوار العقلية فى انبساطه على الاشياء وعدم مخالطته بها.

تنبيه مشرقى

ومما ينبهك على ان وجوده تعالى وجودكل شئى،ان وجوده عين حقيقة الوجود وصرفه من غير شوب عدم وكثرة، فلو لم يكن وجوداً لكل شئى لم يكن بسيطالذات ولامحض الوجود، بل يكون وجوداً لبعض الاشياء وعدماً للبعض، فلزم فيه تركيب منوجود و عدم، وخلط بينامكانو وجوب، وهومحال. فاذن يجب ان يكون وجوده تعالى لكونه صرف حقيقةالوجود، وجوداً لجميع الموجودات «لايغادر صغيرة ولاكبيرة الااحصيها» فلايخرج منكنه ذاته شئى منالاشياء، لانه تمام كل شئى ومبدئه وغايته، وانمايتعدد ويتكثر وينفصللاجل نقصاناتها وامكاناتها وقصوراتها عن درجة التمام و الكمال، فهوالاصل والحقيقة فى الموجودية، وماسواه شئونه وحيثياته، و هوالذات، وماعداه اسمائه وتجلياته، وهوالنور، وماعداه ظلاله ولمعاته، و هوالحق، وما خلاوجهه الكريم باطل «كل شئى هالك الاوجهه، ماخلقنا السموات والارض الابالحق».

المشهد الثانی

فی صفاته و اسمائه و فیه قواعد:

قاعدة

فی توحید صفاته الکمالیة

اعلم ان صفات الله مجردة، ای غیرعارضة لماهیة اصلا، وکل صفة منه حق صمد فردیجب ان یکون قد خرج فیه جمیع کمالاته الی الفعل لم یبق شئی منها فی مکمن القوة والامکان، لانه لاجهة فیه سواه، فکما ان وجوده تعالی حقیقة الوجود من غیرشوب عدم وامکان، فیکون کل الوجود وکله الوجود فکذلک جمیع صفاته الکمالیة التی هی عین ذاته، فعلمه حقیقة العلم، وقدرته حقیقة القدرة، وماهذا شأنه یستحیل فیه التعدد، والا لکان الشیء قاصراً عن ذاته، فیکون علمه علماً بکل شئی وقدرته قدرة علی کل شئی، وارادته ارادة لکل شئی، وهکذا فی جمیع ماله من الصفات. فالعلم هناک واحد و مع وحدته یجب ان یکون علماً بکل شیء. ولایعزب عنه شیء من الاشیاء الکلیة و الجزئیة، اذلو بقی شیء من الاشیاء لایکون ذلک العلم علماً به، ولاشک فی ان العلم به من جملة مطلق العلم ـ فلم یخرج جمیع العلمیة فی ذلک الی الفعل، و قد قلنا ان ذلک واجب ضروری و الا لم یکن صرف حقیقة العلم ، بل علماً من جهة وجهلا من جهة اخری، ففیه شوب ترکیب من علم وجهل ووجود وعدم ووجوب وامکان «فهو تعالی بکل شئی علیم» وکذا قدرته

حقيقة القدرة، فلا يخرج عنها شئى من المقدورات، والا لم يكن قدرة محضة، بل قدرة من وجه وعجزاً من وجه «والله على كل شئى قدير، له مافى السموات و ما فى الارض» و قوله : «والله خالق كل شيء» و قوله: «ومارميت اذرميت ولكن الله رمى» و قوله: «قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم» وهكذا قياس ارادته لقوله صلى الله عليه وآله: «ماشاءالله كان ومالم يشألم يكن» وقوله: «وماتشاؤن الا ان يشاءالله» وقس عليه ساير صفاته الكمالية .

فعليك بهذه القاعدة الشريفة التى علمنا الله بها من لدنه، فانها عظيم الجدوى فى باب التوحيد الخاصى، لكن يجب عليك ان تعلم ان هذه القاعدة انما يجرى فى الحقايق الكلية والمعانى الكمالية العامة التى يعرض للموجود بما هو موجود، ولامدخل فى حدها تخصيص بمادة معينة او استعداد خاص او تجسم او تغير كالانسانية، حيث انها عبارة عن جوهر مخصوص بنمو واغتذاء وحس وحركة، وهو لامحالة مغاير للفلكية والنارية والفرسية و غيرها، فلايمكن ان يكون حقيقة شاملة لكل شيء و يكون انسانية لكل شيء. و كالسواد فانه عرض مخصوص ينفعل عنه البصر الذى هو ايضاً قوة مخصوصة فى مادة وضعية مخصوصة، فلا يمكن ان يكون السواد سواداً لكل شيء. و السر فى ذلك، ان كل حقيقة من هذه الحقايق المختصة ليست محض تلك الحقيقة، بل هى بالضرورة ممتزجة بغيرها من الاعدام والنقايص والمضادات ، فالانسان مثلا لايمكن ان يوجد فى الخارج بصرف الانسانية من غير مخالطة اشياء مباينة له مخالفة لمعناه، فلامحالة يتعين فى ذاته بأن يكون مبايناً لسائر الانواع، و ذلك بخلاف الامور الشاملة، كالوجود والعلم والقدرة والحيوة وغيرها، اذيمكن ان يكون من افراد مفهوم الوجود وجود بسيط، هو محض حقيقة الوجود من غير ان يكون معه شيء مباين للوجود، فيكون لامحالة وجوداً لكل شئى لايعوزه شئى من الاشياء، وكذا من افراد العلم علم هو محض حقيقة العلم لاحيثية له مغايراً للعلم، فيكون علماً بكل شيء، و على هذا القياس القدرة و الحيوة و الارادة.

فان قلت: مفهوم العلم غير مفهوم القدرة و مفهوماهما غير مفهوم

الارادة ومفهومات هذه الثلاثة غير مفهوم الحيوة، فكيف يكون الجميع فى حق الواجب تعالى حقيقة واحدة بسيطة لاتغاير فيها .

قلنا: الاختلاف فى المفهوم لاينافى البساطة الحقة، لان قولنا صفات الواجب عين ذاته، معناه ان وجوده بعينه وجود هذه المعانى، وحيثية ذاته بعينها حيثية ساير الصفات، وهى ليست بامور زايدة من حيث وجودها وحقيقتها على وجود الواجب و حقيقته، وليس معناه ان هذه الالفاظ مترادفة لها مفهوم واحد، والا لم يكن حملها مفيداً. و قول امير المومنين عليه السلام « كمال التوحيد نفى الصفات عنه» ليس المراد نفى معانيها عن ذاته، والا يلزم التعطيل، وهو كفر فضيح، بل معناه نفى كونها صفات زايدة على ذاته بحسب الوجود والحقيقة. فعلى هذا صح قول من قال : ان صفاته عين ذاته، وصح قول من قال : انها غيره. وصح قول من قال : انها لاعينه ولاغيره، لو علم ماحققناه. فكن على بصيرة فى هذا الامر ولا تكن من الغافلين .

قاعدة

فى تحقيق اسمائه تعالى

قال الله سبحانه : «ولله الاسماء الحسنى، فادعوه بها، وذر الذين يلحدون فى اسمائه».

و اعلم ان العلم بالاسماء الالهية علم شريف دقيق و معرفة لطيفة غامضة، وبه فاق ابونا آدم عليه السلام على الملائكة حيث قال: «وعلم آدم الاسمآء كلها، ثم عرضهم على الملائكة، فقال انبئونى باسمآء هؤلاء ان كنتم صادقين، فلما انباهم باسمائهم، قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات و الارض و اعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون» ويستفاد من هذه الايات احكام علمية شريفة.

منها، ان المراد من الاسم ليس كمافهمه المتكلمون من انه لفظ موضوع فى اللغة بازاء معنى من المعانى، يدل على ذلك امور:

احدها، قوله: «ولله الاسماء الحسنى» فوصفها بالحسنى من قبل الله مشعر بانها ليست من قبيل الهيئة العارضة للصوت، اذ لاشرافة معتد بها لبعض الالفاظ على بعض، اذكلها من نوع واحد،فكما لافرق بين لفظ الايمان والكفر و النور والظلمة فى الحسن والقبح من حيث انها هيآت مسموعة، بل فى مدلولاتها و معانيها التى وضعت هذه الالفاظ بازائها.

و ثانيها، قوله تعالى: «سبح اسم ربك الاعلى» اذمعلوم ان الاسم مما يسبح به لا مما يسبح له.

وثالثها، ان الذى صار سبباً لمزية منزلة آدم، عليه السلام، على الملائكة لم يكن مجرد حفظ الالفاظ، بل الاسم هو مايعرف به حقيقته وحده، كمفهوم الحيوان الناطق للانسان، فقد يكون لشىءواحد فى الوجود والهوية والذات مفهومات كثيرة كلها موجودة بوجود واحد، كالجوهر، والجسم، والنامى، والحساس، والناطق، والموجود، والممكن، والمتحيز والمتقدر، والمتمكن، و غيرذلك فى باب الانسان، فانها مع كثرتها بحسب المعنى و المفهوم صارت ذاتاً واحدة موجودة بوجود واحد. فالمراد من الاسم فى عرف العرفاء هوالمعنى المحمول على الذات والفرق بين الاسم والصفه، كالفرق بين المركب والبسيط بوجه، فان الاسم كالابيض والصفة كالبياض، والفرق بين العرضى والعرض عندمحققى اهل النظر، ان المأخوذ «لابشرط شىء» هوالعرضى والمأخوذ «بشرط لاشىء» هوالعرض، فالمسمى قديكون واحداً والاسماء كثيرة وهى محمولات عقلية وليس المراد بها الالفاظ، لانها غير محمولة حملا اتحادياً، وهذه الالفاظ التى هى بازائها اسماء الاسماء عندهم، واماتلك المحمولات فهى بالحقيقة علامات و معرفات للذات الموسومة بها.

واعلم ان عالم الربوبية عظيم الفسحة جدا، فيه جميع ما فى عالم الامكان على وجه اعلى واشرف مع مايزيد عليها مما استأثره الله بعلمه، ومن لم يكن عنده علم الاسمآء، تعذر عليه اثبات عالميته تعالى بجميع الموجودات، لانها بحسب وجوداتها الخاصة متأخرة عن مرتبة ذاته تعالى، مع انه تعالى عالم بجميعها علماً مقدماً على وجوداتها الامكانية، فلو لم يكن الممكنات

على كثرتها و تفصيلها موجودة بوجود واحد فى مرتبة الذات الاحدية، لم يكن علمه تعالى بخصوصياتها وماهياتها مقدماً عليها ثابتاً له قبل وجودها.

و منها، انه وقعت الاشارة الى ماذكرناه من كيفية علمه بالموجودات من جهة اشتمال اسمائه تعالى على كل شيء، بقوله تعالى: «فلما انبئهم باسمائهم قال: الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض، واعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون» كانهم حيث لم يحصل لهم العلم بالاسماء، لم يعرفوا كيفية علمه تعالى بكل خفى وجلى وجزئى وكلى. وسبب اختصاص الانسان بهذا التعليم دون الملائكة وغيرهم، ان حقيقة الانسان مظهر جامع لمظاهر كل الاسماء، بخلاف غيره من الموجودات، فان كل واحد منها مظهر لبعض الاسماء، كالملائكة للسبوح والقدوس والسلام ونحوها، والشياطين للمضل والمتكبر، والعزيز، والجبار ومايجرى مجريها، والحيوانات مظاهر للسميع والبصير والحى والقدير و اشباهها، والنار مثلا للقهار، والهواء للطيف، والماء للنافع، والارض للصبور والادوية السمية للضار، والدنيا للاول، والاخرة للاخر، وعلى هذا القياس، فلو لم يكن الانسان ممايوجد فيه مظاهر جميع الاسماء والصفات لم يكن من شأنه العلم بالاسماء ومعرفة الاشياء كماهى، والملائكة كل منهم له مقام معلوم، فالقايم منهم لايركع والراكع منهم لايسجد.

و منها، ايراد ضمير ذوى العقول فى قوله: «انبئهم باسمائهم» مع ان المراد بها ليس اسماء الملائكة بل الاسماء كلها، كما دل عليه سياق الاية. ففيه اشعار بما ذهب اليه اساطين الحكماء الاقدمون، من ان لكل نوع من انواع الموجودات جوهر نورانى عقلى هو كلى ذلك النوع و تمام حقيقته و مثاله القايم عندالله فهى المظاهر الاولى للاسمآء الالهية والصور النوعية الخارجية، هى المظاهر الثانية ومظاهر المظاهر، كما بين فى مقامه على نحو البيان الحكمى البرهانى، وليس غرضنا فى هذا الكتاب الا اشارة اجمالية الى اسرار بعض آيات القرآن. واما ايراد البراهين على وجه مبسوط مشروح، فهو موكول الى سائر كتبنا و تفاسيرنا سيما كتاب الاسفار الاربعة.

فاذا تقرر ماذكرناه، فنقول: اسماءالله تعالى بالحقيقة هى المحمولات

العقلية المشتملة عليها ذاته الاحدية لايتعلق بها جعل وتأثير، بل هى موجودة باللاجعل الثابت للذات، ولها احكام ثابتة و آثار لازمة هى مظاهرها، وربما يطلق عند العرفاء الاسم ويراد بها المظهر لانه ايضاً فرد من معنى ذلك الاسم، كما فى قوله تعالى : «قل كل يعمل على شاكلته» واليق المجعولات بان يعرف بها ذاته تعالى ويكون مظاهراً لاسمائه وصفاته، هى كلمات الله التامات والارواح العاليات التى هى بمنزلة اشعة نور وجهه وكماله، ومعرفات جماله و جلاله، فهى الاسماء الحسنى، والله اسم للذات الالهية باعتبار جامعيته لجميع النعوت الكمالية، و صورته الانسان الكامل، و اشير بقوله صلى الله عليه و آله : «اوتيت جوامع الكلم» والرحمن هو المقتضى للوجود المنبسط على الكل بحسبما يقتضيه الحكمة ويحتمله القوابل على وجه البداية، والرحيم هو المقتضى للكمال المعنوى للاشياء بحسب النهاية، ولذا قيل : «يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة» بمعنى بسم الله الرحمن الرحيم بالصورة الكاملة الجامعة للرحمة الخاصة والعامة التى مظهر الذات الالهية والاسم الاعظم مع جميع الصفات. والى هذا المعنى اشار النبى صلى الله عليه وآله : «اوتيت جوامع الكلم» و بقوله : « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » اذ الكلمات هى حقايق الموجودات و اعيانها و خصوصاً صورها المجردة، كما سمى عيسى كلمة من الله وسميت المفارقات العقلية كلمات الله التامات، ومكارم الاخلاق كمالاتها وقواها التى هى مصادر افعالها، وجميعها محصورة فى الحقيقة الجامعة الانسانية.

قاعدة

فى تعيين الاسم الاعظم ومظهره

لاشك ان الاسم الاعظم ينبغى ان يكون معناه مشتملا على جميع المعانى للاسماء الالهية على الاجمال، وكذا مظهره يجب ان يكون حقيقة مشتملة على مجموع حقايق الممكنات التى هى مظاهر الاسماء ولايصلح من الاسماء

لهذه الجمعية الاسمائية الا الاسم الله، كما ذكر، وكذلك الحى القيوم، الا ان الاول بحسب الوضع العلمى والثانى بحسب الوضع اللقبى، لاشتماله على جميع معانى الاسماء الالهية تضمناً او التزاماً، ولاجل ذلك كل ذكر او دعاء قيل ان فيه الاسم الاعظم. فهو مشتمل لامحالة على احدهما او عليهما جمعياً، كقوله تعالى : «الله لااله الاهوالحى القيوم» وانما قلنا : ان الحى القيوم مشتمل على جميع الصفات الكمالية و النعوت الالهية، لان اسمه الحى مشتمل على جميع الاسماء الذاتية، فيدل على وجوب الوجود ووجوب الايجاد، ومستلزم من الارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، والقيوم لكون معناه مبالغة فى القيام لادامة الموجودات على وجه التمام عدة ومدة وشدة، فهو مشتمل على جميع الاسماء الفعلية كالخالقية والرازقية والكرم والجود و اللطف والرأفة والرحمة والعطوفة والابداع والتكوين والانشاء والاعادة والتقديم والتاخير والارسال والانزال والبعث وغير ذلك من صفات الفعل. فاذا تجلى البارى بعبد بهاتين الصفتين فالعبد يكاشف عند صفة الحى معانى جميع اسمائه وصفاته الجمالية، وعند تجلى اسمه القيوم معانى اسمائه وصفاته الجلالية، اذ يرى عنده فناء جميع المخلوقات لان قوامها و قيامها بقيومية القيوم الحق لابانفسهم ، فلايرى فى الوجود الا الحى القيوم . و ايضاً قد تحقق و انكشف من قاعدتنا الممهدة المذكورة فى توحيد صفاته، ان حياته حقيقة الحياة، و حقيقة الحياة يجب ان يكون حياة كل شىء، فلو لم يكن كذلك لم يكن حياته صرف الحياة. و كذا قيوميته يجب ان يكون محض حقيقة القيام والاقامة فلاقايم ولامقيم الابقيامه واقامته ، فهذان الاسمان هما الاسم الاعظم لمن تجلى له، فمن ذكرهما بلسان العيان لابلسان البيان فقط، فقد ذكر الله باسمه الاعظم الذى اذ دعى اجاب واذا سئل به اعطى. و كذا الذاكر اذا غاب عن ذاته فعند غيبته عن ذاته و فنائه فى عظمة الوحدانية، بكل اسم دعا ربه يكون الاسم الاعظم. ولذلك لما سئل ابويزيد عن الاسم الاعظم قال : ليس له حد محدود، ولكن فرغ بيت قلبك لوحدانيته فاذن كل اسم هو الاسم الاعظم.

قال صاحب الفتوحات المكية فى الجواب عن اسؤلة الحكيم محمد بن على الترمذى : الاسم الاعظم الذى لامدلول له سوى عين الجمع وفيه الحى القيوم، فان قلت هوالله قلت لا ادرى، فانه يفعل بالخاصية وهذا اللفظ انما يفعل بالصدق اذا صار صفة للمتلفظ به، بخلاف ذلك الاسم. و قال فى موضع اخر منها. و معلوم عند الخاص و العام، ان ثمة اسماء عاماً يسمى الاسم الاعظم و هو فى آية الكرسى و اول آل عمران، و من الاسماء ماهى حروف مركبة ومنها ماهى كلمات مركبة مثل الرحمن الرحيم هو اسم مركب كبعلبك. واعلم ان الحروف كالعقاقير لها خواص بانفرادها ولها خواص بتركيبها .

قاعدة

فى علمه تعالى بذاته و بغيره

كل وجود لايشوبه عدم ولايغطيه حجاب وغشاوة ولا التباس ولايغشاه الظلمات، فهو مكشوف لذاته حاضر غير غائب عن ذاته، فيكون ذاته علماً و عالماً بذاته ومعلوماً لذاته، اذ الوجود والنور شىء واحد ولاحجاب له الا العدم والقصور، فكل وجود بحسب سنخه يصلح ان يكون معلوماً، وانما المانع له ذلك اما العدم والعدمى كالهيولى الاولى لتوغلها فى الابهام، او الخلط بالعدم الذى هو اصل الظلمات، كالجسم ومايحله، اذ كل جزء من الجسم محجوب عن صاحبه غائب عن جزء آخر، و كذا كل بعد و حجم و كل ذى بعد و حجم مكانى اوزمانى، كالحركة و مامعها حكمه هذا الحكم، سواء كان بالذات او بالعرض، كالسواد والبياض وغيرها من الوضعيات المادية، فالكل مما لايتعلق به ادراك، وانما المدرك من كل منها صورة اخرى وجودها غير هذا الوجود المادى الوضعى الواقع فى جهة من جهات هذا العالم، فكل ما وجوده وجود صورى غير منقسم الذات الى امور منفصل بعضها عن بعض ، فهو معلوم الهوية مدرك الذات بالفعل لايمكن انسلاب الشعور عن ذاته، ولايحتاج فى

كونه مشعوراً به‌الى عمل من تجريد او تلخيص، بل وجوده وجود ادراكى، وهو حى بحيوة ذاتية، وهكذا جميع الصور الاخروية سواء كانت محسوسة او معقولة، والواجب جل ذكره لكونه برىء الذات عن شوب العدم والجسمية والتركيب والامكان، فهو فى اعلى مرتبة المدركية والمدركية والعاقلية و المعقولية، ولانه مبدأ وجود العقلاء وفياض الصور العلمية على ذواتهم و واهب الروح والحيوة على الكل، فيكون عاقلا لذاته ولساير الاشياء فان العلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول. قال تعالى: «الايعلم من خلق، وهو اللطيف الخير» قوله: «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض و لا فى السماء ولااصغر من ذلك ولااكبر الا فى كتاب مبين» وقوله: «ولايعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض» الى قوله: «فى كتاب مبين».

قاعدة

فى مراتب علمه تعالى بالاشياء اجمالا و تفصيلا

فمنها، العناية وهى العلم بالاشياء الذى هو عين ذاته المقدسة، وهو العقل البسيط لاتفصيل فيه ولا اجمال فوقه. و العناية علم تفصيلى متكثر، و هى نقش زايد على ذاته تعالى عند اصحاب ارسطاطاليس واتباعه من المشائين. والتحقيق انها غير زائدة على الذات وليس لها محل لما اشرنا اليه سابقاً من ان حقيقة الوجود يجب ان يكون كل الاشياء على وجه مقدس عقلى واليه والاشارة بقوله: «وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو».

و منها، القلم واللوح، فالقلم موجود عقلى متوسط بين الله وبين خلقه فيه جميع صور الاشياء على الوجه العقلى، وهو ايضا عقل بسيط، الا انه دون الحق الاول فى البساطة والشرف. وايضا: الحق الاول واحد حقيقى بسيط من كل وجه والعقول الفعالة متعددة كثيرة. والى تلك الاقلام اشار تعالى بقوله: «وان من شىء الا عندنا خزاينه و ماننزله الا بقدر معلوم» و قوله:

«ولله خزاين السموات والارض» وانما سمى العقل الفعال قلماً، لان شأنه تصوير الحقايق فى الواح النفوس وصحايف القلوب، وبه يستكمل النفوس بالصور العلمية، ويخرج ذاتها من القوة الى الفعل، كما بالاقلام ينتقش الالواح والصحايف و يتصور مادتها بصور الارقام و نقوش الكتابة.

واما اللوح، فهو جوهر نفسانى وملك روحانى يقبل العلوم من القلم، ويسمع كلام الله عنه.

و منها، القضاء والقدر، فالقضاء عبارة عن وجود جميع الموجودات بحقايقها الكلية وصورها العقلية فى العالم العقلى مجتمعة ومجملة على سبيل الابداع، وتلك مرتبطة بالحق الاول، موجودة فى صقع الالهية، لاينبغى عدها من جملة العالم بمعنى ما سوى الله، بل الحق انها معدودة من لوازم ذاته الغير المجعولة، لانها صور علمه التفصيلى بماعداه، ولذلك قال: «وان من شىء الاعندنا خزائنه» فالعالم كله جوده ورحمته وخزائن جوده ورحمته يجب ان يكون قبل الجود والرحمة، فلو كانت تلك الخزائن من جملة جوده، اى من مخلوقاته ومقدوراته، فلابد لها ايضاً من خزائن سابقة عليها، فظهر ان خزائن الله ليست من جملة المصنوعات والافاعيل، بل هى سرادقات نورية و لمعات جمالية وجلالية.

و اما القدر، فهو قدران: قدر علمى، و قدر خارجى، فالاول عبارة عن وجود تلك الاشياء مقدرة مصورة بشخصياتها وجزئياتها فى قوة ادراكية ونفس انطباعية. واما الثانى، فهو عبارة عن وجودها فى موادها الخارجية مفصلة واحداً بعد واحد مرهونة باوقاتها وازمنتها، موقوفة على موادها و استعداداتها، متسلسلة من غير انقطاع، كما قال تعالى: «و ان تعدوا نعمة الله لاتحصوها» وقال: «وما ننزله الا بقدر معلوم» واشار الى القدر العلمى بقوله «انا كل شىء خلقناه بقدر» وقوله: «يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب» و سيأتى لك مزيد توضيح و تفصيل لهذا المقام.

قاعدة

فى ان صدور الاشياء المكونة عن علمه تعالى

فالذى يعقله العاقلون ويعرفه الحكماء الالهيون فى كيفية صدور الاشياء المتجددة عن علمه ، ان الرحمة الالهية والعناية الربانية لما لم يجز انقطاعها على عدد، و لم يمكن وقوفها عند حد يبقى ورائه الامكان الغير المتناهى على القوة والكمون من غير ان يخرج الى الوجود والظهور، و عالم الاجسام المادية عالم ضيق قصير الفسحة قليل الوسعة، اذ لا يسع الصور الغير المتناهية دفعة، بل المكان الواحد لا يسع الجسمين ولا المادة الواحدة لصورتين فى زمان واحد فضلا عن غير المتناهى، قدر بلطيف قدرته وعلمه زماناً غير منقطع الطرفين، ومادة ذات قوة انفعالية غير متناهية فى الانفعال التجددى، كما ان الواهب ذو قوة غير متناهية فى الفعل، وحيث لابد فى دوام تجدد الفيض من امر متجدد الذات، ضرورى الحركة والتغير فى ذاته، فاوجد البارى بوسايط عقلية اشخاصاً فلكية دوارة باذن الله دائمة الدوران لاغراض علوية وغايات قدسية كمالية يتبعها استعدادات وانفعالات غير متناهية فى مادة سفلية ينضم الى فاعل غير متناهى التأثير، وقابل غير متناهى القبول، فانفتح بذلك باب نزول البركات وتواتر الرشحات، وقطرات امطار الرحمة من بحار خزائن السموات على الدوام «وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها» فتصير الصور كلها موجودة فى جميع ذلك الزمان على التعاقب التدريجى واحدة بعد واحدة فى موادها الخارجية على نعت الاتصال التعاقبى ، والمادة مستكملة بها. ثم لايخفى ان اشرف الحوادث ومامعها مما يتعلق بالهيولى هى النفوس الانسية الناطقة ولم يمكن حدوثها الا مع الابدان، ولم يمكن خروج جميع ما هو الممكن منها من القوة الى الفعل دفعة واحدة، لان عددها غير متناه و عدد الابدان الموجودة معها متناهية، لوجوب تناهى الابعاد و جهات

اقتضاء العلل متناه ايضاً، فلابد من وجود مدة غير منقطعة، وادوار غير متصرمة ليحصل بحسب الادوار والحركات واستعدادات القوابل المتعاقبات، نفوس ناطقة قرناً بعد قرن و نسلا بعد نسل، ليتم الازل بالابد و يكمل البداية بالنهاية، ،ولايصير نعمة الله بتراء، ولاجوده منقطعاً و فضله معطلا. ولذلك قال: «وما كان عطاء ربك محظوراً» و قال: «مانفدت كلمات الله» و قال: «قل لوكان البحر مداداًلكمات ربى، لنفدالبحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولوجئنا بمثله مدداً».

فاذا تقرر هذا، فالقضاء كما اشير اليه عبارة عن وجود جميع الموجودات فى العالم العقلى. مجتمعة بعد وجودها فى العناية الالهية مجملة ومحلها القلم. والقدر عبارة عن وجودها التفصيلى فى كتاب المحو و الاثبات وفى مواد الخارجية الجارية بسواد مداد الهيولى الظلمانى ، كماجاء فى التنزيل «وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو» اشارة الى وجودها على النحو البسيط فى العناية الالهية. و قوله: «و ان من شىء الاعندنا خزائنه» اشارة الى وجودها فى الخزائن العقلية على سبيل الانحفاظ دائماً. وقوله : «وما ننزله الابقدر معلوم» اشارة الى المرتبتين الاخيرتين القدريتين ، فالمتنزل هوالقدر الخارجى، لكونه آخر التنزلات، والمتقدر المعلوم هوالقدر العلمى، و هوسبب للقدر الخارجى، كما دلت عليه باءالسببية فالجواهر العقلية ومامعها موجودة فى القضاء والقدر مرة واحدة باعتبارين، والجواهر الجسمانية و مامعها موجودة فيهما مرتين. فظهر مما ذكرنا ان علمه تعالى محيط بجميع الاشياء الكلية والجزئية، لان كل شىء من لوازم ذاته بوسط او بغير وسط، يتأدى اليه بعينه قضاؤه وقدره الذى هو تفصيل قضائه تأدياً واجباً، اذ كل مالم يجب وجوده اولا لم يوجد اخيراً، فالعناية الالهية هى احاطة علمه البسيط الذى هو نفس وجوده بالكل، وبالواجب ان يكون عليه الكل، حتى يكون على غاية الجودة والنظام، وابلغ الكمال والتمام واحسنه، وبان ذلك واجب عنه تعالى وعن احاطة علمه به، ليكون الموجود على وفق المعلوم على اكمل الوجوه فى النظام، فعلمه سبحانه بكيفية الخير و الصواب فى ترتيب وجود عالمى الغيب والشهادة هو منبع لفيضان الكل .

قاعدة

فی شمول قدرته و انبساط وجوده وسعة رحمته علی الاشیاء

قال تعالی: «وهو علی کل شیء قدیر» و قال: «و رحمتی وسعت کل شیء» و قال: «والله واسع علیم».

اعلم ان موجودیة الممکنات بهویة الحق الاول، وبه قوام کل شیء و حیاة کل حی، کما ان بالروح الانسانی و هو خارج عن هذا العالم وجود اجزاء البدن و قوام آلاته و قواه، و به حیاة کل عضو من الاعضاء و حسه و حرکته، الا ان الروح قد ینفعل عن البدن ویستعین به وبآلاته واعضائه فی تحصیل الکمالات، بخلاف الباری الاول، فانه غنی عن العالمین، وهو مبدء وجوب وجود الاشیاء بذاته، وهو واسع لها منبسط علی کلها، لما مر اذ بسیط الذات لایعزب عنه و عن علمه الذی هو عین ذاته شیء، فالاشیاء کلها بالقیاس الیه واجبات، و ان کانت بالقیاس الی انفسها ممکنات، فلو فرض شیء من الاشیاء مسلوباً عنه تعالی من حیث هو هو، فحیثیة کونه هو غیر حیثیة کونه لیس بکذا، و الا لکان شیء واحد من جهة واحدة هو ولاهو. مثلا لو فرض ان ذاته «الف» و قد صدق علیه انه لیس «بب» فنقول حیثیة کونه «الف» هل هی بعینها حیثیة کونه لیس «بب» املا، فعلی الثانی یلزم فی ذاته شیء دون شیء، فلم یکن واحداً محضاً، وهذا خلف. وعلی الاول یلزم ان یکون المعقول من کونه ـ الف ـ هو بعینه المعقول من کونه لیس ـ بب ـ وهو محال، لان المعقول من الاول هو الثبوت، ومن الثانی هو السلب، ویستحیل ان یکون المعقول من السلب نفس المعقول من الایجاب و ان کان کل منهما مضافاً الی شیء اخر، فان المضاف الیه معناه خارج عن معنی المضاف والاضافه، فالتخصیص به تخصیص بامر خارج والتخصیص بالامر الخارج لایغیر حقیقة الشیء فی نفسها، فاذن لو کان معنی ثبوت ـ الف ـ بعینه معنی سلب ـ ب ـ لکانت طبیعة الثبوت بعینها طبیعة السلب، فیکون الشیء غیر

نفسه وهو محال .

فقد ثبت ان الاول تعالى لكونه بسيط الحقيقة يجب ان يكون كل- الاشياء الوجودية على وجه اعلى و اشرف، و لهـذا ورد من الاذكار الشريفة «يا هو يا من هو يا من لاهو الاهو» فاذا كان هذا هكذا، فجميع الموجودات آثار ذاته، فلاقدرة بالحقيقة الاقدرته، كما لاوجود الالمعة من وجوده. وكما لاينافى كونه اصل الوجود تعدد الموجودات المصحوبة بالنقايص والامكانات، كذا لاينافى كونه مؤثراً فى جميع المقدورات ثبوت الوسايط من القادرين بينه و بين المقدورات، فان الايجاد كالوجود مترتب ذودرجات ومراتب بعضها اعلى و بعضها ادون، قال تعالى: «الا انهم فى مرية من لقآء ربهم، الا انه بكل شيء محيط» ، و قال : « هوالذى فى السماء اله و فى الارض اله » و قال: «هوالذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء» وقال: «افرايتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون» و قال: «افرايتم النار التى تورون أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشؤن» اشارة الى ان الافعال المنسوبة الى القوى- المؤثرة، كالمصورة فى تصوير الاعضاء وتشكيلها، وكالماء والنار فى التسخين والتبريد، وكالانسان فى افاعيله الصادرة عنه، وغير ذلك كلها بالحقيقة صادرة عنه تعالى واقعة بتأثيره مع كمال وحدانيته و فردانيته، فكل ما هو مقدور و مجعول لفاعل، فهو من حيث صدوره عن ذلك الفاعل صادر عن الحق تعالى، كما ان وجود كل ممكن من حيث وجوده شأن من شئون الحق و وجه من وجوهه، و لذلك نسب الافعال اليه تعالى من حيث نسب الى مباديها المباشرة لها كما فى قوله : «قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم» و قوله: «ومارميت اذرميت و لكن الله رمى» و قال ايضاً: و «لكل وجهة هو موليها، فاستبقوا الخيرات» وفيه دلالة على ان الوجود كله خير، لكن الخيرات متفاوتة بعضها اشد، و بعضها اضعف، فبعضها خير محض لايشوبه شر بوجه من الوجوه اصلا، وبعضها مشوب بشر اوشرور قليلة او كثيرة بالاضافة، فالخير الذى فى عالم الجسم ليس مثل الخير الذى فى عالم الروح، بل عالم الامر خير كله و عالم الخلق لايخلو من شر او شرور، ومع ذلك خيره غالب على شره، لان وجوده خير و عدمه شر

محض، والانسان من جملة المخلوقات، له ان يسلك سبيل القدس وصراط الحق و يتطور في الاطوار الوجودية و يستبق في الخيرات حتى تزول عنه الشر بالكلية و يدخل في دار السلام، و لذلك امر الله لنا في الاستباق في الخيرات و الافتراق من الشرور و الظلمات والدخول في دار السلام، كما في قوله تعالى: «ادخلوها بسلام آمنين» و قال: «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور».

قاعدة

في تحقيق كلامه تعالى

اعتقادنا في الكلام انه ليس كما زعمته الاشاعرة من انه معان نفسية قائمة بذاته تعالى و سموها الكلام النفسي، ولا كما ذهب اليه المعتزلة من انه خلق اصوات وحروف دالة على المعاني في جسم من الاجسام، والالكان كل كلام كلام الله و هو باطل. ولا يكفي تقييده على قصد اعلام الغير من قبل الله، او على قصد الالقاء من عنده، ولو اريد بغير واسطة فهو غير ممكن والالم يكن اصواتاً و حروفاً، بل حقيقة التكلم انشاء كلمات تامات و انزال آيات محكمات واخر متشابهات في كسوة الالفاظ والعبارات، والكلام قرآن و هو العقل البسيط و العلم الاجمالي، و فرقان و هو المعقولات التفصيلية، وهما جميعاً غير الكتاب، لانهما من عالم الامر و عالم القضاء، ومظهرهما وحاملهما القلم واللوح المحفوظ، والكتاب من عالم الخلق والتقدير و محله عالم القدر الذهني والقدر العيني، و الا و لان غير قابلين للنسخ والتبديل، لانهما فوق الزمان والمكان بخلاف الكتاب لانه موجود زماني، ومحله لوح قدري نفساني هو لوح المحو والاثبات، او مواد خارجي، و كلاهما متغيران، والكتاب يدركه كل احد، والقران لا يمسه الا المطهرون من اناس البشرية. و ربما يقال: الكتاب للفرقان فانه بالنسبة الى القران كتاب منزل، او باعتبار انه منزل ايضاً في صورة مكتوبة

فی لوح القدر، بل الذی بین اظهرنا کلام منزل من عند رب العالمین، منزله - الاول القلم الربانی، والثانی اللوح المحفوظ، و الثالث لوح القدر و سماء - الدنیا، و الرابع لسان جبرئیل تلقاه الرسول الامین، صلی الله علیه وآله، فی جمیع المقامات، تارة اخذه من الله بلا واسطة ملك، کما قال «ثم دنی فتدلی فکان قاب قوسین اوادنی، فاوحی الی عبده ما اوحی، ماکذب الفؤاد مارأی افتمارونه علی مایری» و تارة بواسطة جبرئیل «و ماینطق عن الهوی ان هو الاوحی یوحی علمه شدید القوی ذومرة فاستوی و هوبالافق الاعلی» وتارة فی مقام غیر ذلك المقام الشامخ الالهی «ولقدرآه نزلة اخری، عند سدرة المنتهی، عندها جنة المأوی، اذیغشی السدرة مایغشی، مازاغ البصر وماطغی، لقد رای من آیات ربه الکبری» و تارة کان یسمع کلام الله فی هذا العالم - الحسی، و انه لتنزیل رب العالمین، نزل به الروح الامین علی قلبك لتکون من المنذرین بلسان عربی مبین، و انه لفی زبر الاولین. ومن هذا المقام ماکان فی اول البعثة فی جبل حرا، او فی جبل فاران، فاتاه جبرئیل علیه السلام بصورة محسوسة وسمع منه «اقرأ باسم ربك الذی خلق خلق الانسان من علق اقرأ و ربك الاکرم الذی علم بالقلم علم الانسان مالم یعلم» کما سمع موسی کلامه تعالی النازل فی طور سینا «اذرأی ناراً، فقال لاهله امکثوا، انی آنست ناراً لعلی آتیکم منها بقبس أواجد علی النار هدی، فلما اتیها، نودی یا موسی، انی اناربك، فاخلع نعلیك انك بالوادی المقدس طوی، وانا اخترتك فاستمع لما یوحی، اننی اناالله لااله الا انا فاعبدنی» ومن منازل کلام الله تعالی مایدون فی الکتب والقراطیس، یبدولکل احد و یتکلم به کل متکلم و یقرؤه کل قار ویسمعه کل مستمع، کما فی قوله تعالی «وان استجارك احد من المشرکین فاجره حتی یسمع کلام الله» ثم قداختص محمد صلی الله علیه وآله، من بین سایر الانبیاء علیهم السلام بتلقی الوحی والکتاب بأن جاوز مقامات الانبیاء کلها و جاوز منازلهم کلهم فی السموات السبع دون البلوغ الی مقام الافق الاعلی اوادنی، کما اخبر النبی صلی الله علیه وآله عن لیلة الاسری حیث قال: ورأیت آدم فی السماء الاولی، ویحیی فی الثانیة...» الی ان قال : «ورأیت

ابراهيم عليه السلام في السماء السابعة» فجاز عن مقاماتهم جميعاً الى كمال القرب و غاية الوصول.

وقال تعالى في حق علماء امته واولياء ملته «لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احببته، فاذا احببته كنت سمعه الذى به يسمع...» وهذا هو حقيقة الوصول والايصال، لكن الفرق بين النبى والولى فى ذلك ان النبى مستقل بنفسه فى السير الى الله تعالى والوصول اليه، ويكون حظه فى كل مقام بحسب استعداده الاتم الاكمل، والولى لايمكنه السير الا فى متابعة النبى صلى الله عليه وآله، وتسليكه اياه فى سبيل الله، كما قال: «قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى» ويكون حظه فى كل من المقامات بحسب استعداده وقوة فطرته فافهم جدا.

قاعدة

فى دوام امره وخطابه للمكونات

قال الله تعالى: «وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر» وقال: «انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون» و لاشك ان ارادته ازلية و تخصيص بعض الاشياء بتعلق الارادة فى اوقاتها المعينة الجزئية عند حضور استعداداتها، انما هو لاجل قصور قابليا تها عن القبول الاتم ونقصاناتها الذاتية عن الوجود الدايم، واذا كانت الارادة دايمة فالقول واحد والخطاب دائم، وان كان المقول له والمخاطب حادثاً متجدداً، و قد اخبر تعالى عن جهل اهل العناد بانهم الذين لايعلمون ان الله متكلم بالقول الثابت، والمتكلمية صفة من صفاته وكل صفة من صفاته واحدة مستمرة ثابتة لم يزل ولايزال، اذ لاكثرة و لازوال فى عالم الوحدة، فكلامه الذى هو امره متعلق بجميع المكونات امر التكوين وهو خطاب بكلمة كن، وهى كلمة وجودية، فسمعت اعيان المكونات خطابه و دخلت فى باب الوجود بامره واذنه، واطاعت السموات قوله وكلمته ودعوته «ائتيا طوعاً اوكرهاً،

فسمعتا كلمته، واجابتا دعوته، واطاعتا قوله، وقالتا اتينا طائعين» ويتناول المكلفين امر تكليف وتشريع، والى ذلك اشار بقوله : «قال الذين لايعلمون لولا يكلمنا الله اوتأتينا آية» و ما علموا ان الله يكلمهم على الدوام، ولكن «لهم آذان لايسمعون بها، وانهم عن السمع لمعزولون ، ولو علم الله فيهم خير الاسمعهم» كما اسمع قوماً آخرين اخبر عنهم بقوله «و اذا سمعوا اما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق» فالسمع الحقيقى ماهو قرين معرفة القلب لااصطكاك الصماخ بالهواء الخارج، وكل قلب يكون حياً بحيوة المعرفة، يسمع كلام الحق. واما القلوب الميتة بموت الجهل فحالهم كما قال تعالى فيهم : «انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء» ولواسمعهم الخطاب بمقارعة الهواء لسمعهم الظاهر، وقلوبهم موتى، لتولواعنه وهم معرضون، كما اسمع نفراً من قوم موسى خطابه تعالى ، فلم ينفذ الى بواطنهم نور كلامه ولم يطيقو اسماعه، فبعد مارأوامن عظيم الايات، وان الله اماتهم ثم احياهم حرفوا وبدلوا، فما يغنى الايات والدلالات، وان وضحت عمن حق عليهم القول و لزمهم الشقاوة و طبع على قلوبهم، و قال الله تعالى فيهم : «و لقدذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس، لهم قلوب لايفقهون بها، و لهم اعين لايبصرون بها، و لهم آذان لايسمعون بها ...»

و اعلم ان بازاء هؤلاء من كل امة قوماً وقع بينهم و بين الله مكالمة حقيقية، يكلمهم الله وينظر اليهم وهم يسمعون كلامه بسمع قلبى بلاواسطة تعليم بشرى خارجى، فيكون الفهم لازماً لسماعهم، وقدورد عن النبى صلى الله عليه وآله «ان فى امتى محدثين مكلمين» و لايشترط ان يكون هؤلاء – انبياء تشريع ورسالة، لان الرسالة قد انقطعت وابوابها قد غلقت وختمت ببعثة نبينا، صلى الله عليه وآله، و مابقى الا الهامات من الحق واعلامات و تعليمات، واليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه و آله : «ان لله عباداً ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون» اى ليسوا بانبياء تشريع، بل هم فى الشريعة تابعون لمحمد، صلى الله عليه وآله ،

وقد علمت ان التكلم الحقيقى ليس من شرطه ان يكون بكسوة

الالفاظ والحروف، ولا ايضاً من شرطه تمثل المتكلم بصورة شخصية، بل القاء كلام معنوى الى قلب مستمع من الله، قوله عز وجل: «ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا و هم لا يسمعون، ان شر الدواب عند الله، الصم البكم الذين لا يعقلون، ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون» دلت هذه الاية على ان المراد بالسمع هو التعقل وهو السمع الباطنى، كما ان المراد بالبصر هو الرؤية الباطنية. قوله: «ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد، افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى» ففى الايتين دلالة على ان اولى العلم هم الذين يعرفون الحق ويرون بنور عرفانهم، ان المنزل على الرسول علوم حقيقية و معارف الهية، و لولا ان وقع لهم بالسمع الباطنى مقارعة الكلام المعنوى، و بالبصيرة الباطنية مشاهدة آيات الملكوت، لم يعرفوا حقيقة الكلام المنزل على الرسول و انه الحق من ربه.

قاعدة

فى السر الحروف المقطعة القرآنية

اعلم ان الانبياء عليهم السلام، وضعوا بامر الله حروف التهجى، اعنى، حروف الجمل بازاء مراتب الموجودات، وقد وجد فى كلام امير المؤمنين عليه السلام، ما يدلك على ذلك، واذا كان كذلك فينبغى ان يكون الالف اشارة الى المبدأ الاول، لانه اول الاحاد و مبدأ الافراد و الاعداد، و ان يكون الباء اشارة الى عالم العقل، و لذلك قيل: ظهرت الموجودات من باء بسم الله. اذ هى الحروف التى تلى الالف الموضوعة بازاء ذات الله. فهى اشارة الى العقل الكلى و هو اول ماخلق الله، المخاطب بقوله تعالى: «ماخلقت خلقاً اكرم على ولا احب الى منك، بك آخذ وبك اعطى، وبك اثيب وبك اعاقب» و هذا حديث متفق على روايته جميع فرق الاسلام بحسب المعنى، وان وقع الاختلاف فى صورة اللفظ. والمراد به جملة عالم العقل، لما بينا فى مقامه، ان العقول القادسات

كلها موجودة بوجود واحد، والتعدد فيها باعتبار مراتب الشدة والضعف، بل بحسب تفاوت الاثار الصادرة من الله بتوسطها وتوسطجهاتها فى القرب والبعد من الله وبحسب قوة النورية والوجود وضعفهما .

وبالجملة، الكل كأنها شيء واحد ذودرجات متفاوتة متصلة بعضها ببعض، منطوية بعضها فى بعض. وان يدل بالجيم على النفس الكليه و عالمها، و بالدال على الطبيعة السارية فى الاجسام و احادها و انواعها من الصور – النوعية للافلاك والعناصر والمركبات الطبيعية، فهذه حروف اربعة لموجودات اربعة مترتبة فى الوجود والايجاد، اذا اخذت من حيث ذواتها ووجوداتها. و اما اذا اخذت من حيث اضافتها و مبدأيتها، فبالحرى ان يدل بالهاء على – البارى، و بالوا و على العقل، و بالزاء على النفس، وبالحاء على الطبيعة، وبقى الطاء للمادة الجسمية و عالمها. و ليس لها وجود فاعلى و اضافة الى مادونها، لانها قابلة محضة وقوة استعدادية صرفة، فيها نفدت رتبة الاحاد وعالم الابداع للبسايط والافراد. ثم ينبغى ان يكون المأخوذ من اضافة الاول الى العقل ، والعقل ذات غير مضافة الى ما بعده مدلولا عليه بالياء ، لانه من ضرب – هـ – فى – ب – ولايحصل من اضافة البارى الى العقل او العقل الى النفس عدد يدل عليه بحرف واحد، لان ضرب – هـ – فى – ج – يه – و ضرب و فى – ج يح – و ان يكون الامر و هو من اضافة الاول الى العقل مضافاً مدلولا عليه باللام و هو من ضرب هـ فى و، و يكون الخلق و هو من اضافة البارى الى الطبيعة بما هى مضافة مدلولا عليه بالميم، وهو من ضرب هـ فى ح لان الحاء دلالة الطبيعة مضافة و يكون التكوين وهو من اضافة البارى الى الطبيعة، و هى ذات مدلولا عليه بالكاف، و يكون جميع نسبتى الامر والخلق اعنى ترتيب الخلق بواسطة الامر، اعنى اللام والميم ومدلولا عليه بحرف عين. وجميع نسبتى الخلق والتكوين كذلك اعنى الميم والكاف مدلولا عليه بالسين، و يكون مجموع نسبتى طرفى الوجود و التكوين اعنى، ل و م ، مدلولا عليه بالصاد، و يكون اشتمال الجملة فى الابداع اعنى ضرب ى فى نفسه مدلولا عليه بق، و هو ايضاً من جمع ص وى، ويكون ردها الى الاول وهو مبدء الكل ومنتهاه على انه اول وآخر،

اعنى انه فاعل و غاية كمابين فى الالهيات مدلولا عليه بالراء ضعف ق.

فاذا تقرر هذا فلنرجع الى بيان المطلوب، فنقول : ان المدلول عليه بالم هوالقسم بذات الاول، ذى الامر والخلق، وبالراء القسم بالاول، ذى الامر والخلق الذى هوالاول والاخر والمبدأ والغاية، وبآلمص القسم بالاول، ذى الامر والخلق والمنشىء للكل، وبص القسم بالعناية الكلية وبق ، القسم بالابداع المشتمل على الكل بواسطة الابداع المساوى للعقل، و بكهيعص ، القسم بالنسبة التى للكاف، اعنى عالم التكوين الى المبدأ الاول وبنسبة الابداع الذى هو، ى، ثم الخلق بواسطة ص ر لوقوع الاضافة بسبب النسبة الى ر، و هوع، ثم التكوين بواسطة الخلق والامر وهو ص، فبين ك وه ضرورة نسبة الابداع، ثم نسبة الخلق والامر، ثم نسبة التكوين والخلق والامر، و يس، قسم باول الفيض و هو الابداع و آخره و هوالتكوين، و حم، قسم بالعالم الطبيعى الواقع فى الخلق وحمعسق، قسم بمدلول وسايط الخلق فى وجود العالم الطبيعى بالخلق بينه و بين الامر بنسبة الخلق الى الامر، و نسبة الخلق الى التكوين ، بان نأخذ من هذا ونرده الى ذلك قسم به بالابداع الكلى المشتمل على العوالم كلها، فانها اذا اخذت على الاجمال لم يكن لها نسبة الى الاول غير الابداع الكلى الذى يدل عليها بق و طس يمين بعالم الهيولى، الواقع فى التكوين ، و ن ، قسم بعالم التكوين، و عالم الامر اعنى ن، لمجموع الكل. و لايمكن ان يكون للحروف دلالة غير هذا البتة.

وهذه جملة ماذكره بعض حكماء الاسلام فى سر هذه الحروف المجملة، و هى اجود ماقيل فى هذا الباب و احكم، والله الهادى الى طريق الصواب و هو اعلم .

قاعدة

فى ان العالم الربوبى و الصقع الالهى عظيم جداً

و اعلم ان حقايق الاشياء كلها و صورها العلمية الاصلية موجودة

عندالله تعالى واجبة بوجوبه الذاتى باقية ببقاء الله لابقاء انفسها، وهى واحدة من حيث الوجود بحيث لاكثرة فى وجودها و ان كانت كثيرة من حيث معانيها و اعيانها التى هو صور اسماء الله و صفاته، كما قال الله تعالى «وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو» و قوله تعالى: «لاتبديل لكلمات الله» و قوله: «وان من شيء الاعندنا خزاينه ومانتزله الابقدر معلوم» وقوله: «وما من غائبة فى السماء والارض الافى كتاب مبين» وقوله: «وان كل لما جميع لدينا محضرون» و قوله: «ويمح الله الباطل و يحق الحق بكلماته، انه عليم بذات الصدور» و قوله: «ام عندهم خزائن رحمة ربك، ام هم المسيطرون» وقوله: «وماقدروا الله حق قدره، والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه» و لاشك ان قبضته و يمينه مقدستان عن التغير والدثور، و معنى الاية «ماقد رواحق قدره» اى اليهود و من يحذ و حذوهم، اويجرى مجريهم ممن لم يعلموا ارتفاع ذاته عن عالم المفارقات فضلاعن عالم الاجسام، فشبهوه ونسبوه الى المثل والنظير والصاحبة والولد «فقالت اليهود: عزير بن الله، و قالت النصارى المسيح بن الله» و ايضاً: نسبوا اليه التعطيل فى الافاضة والامساك عن الجود، اذ «قالت اليهود يدالله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاه» فيداه غير زايلتين، بل دائمتان قائمتان بالجود والرحمة. وقوله تعالى: «واشرقت الارض بنور ربها» اى ارض الاخرة، و هى الاعيان الثابة المنورة بنور الوجود الفايض عليها من ذات الله تعالى، والمراد بها ذات النفس الكلية المنورة بنور العقل الكلى المتحدة به الصايرة اياه بحسب الاستكمال الذاتى، و من حيث التفصيل نسبتها اليه نسبة القابل الى المقبول و نسبة ما بالقوة الى ما بالفعل. و يحتمل ان يكون المراد بأرض الاخرة، جملة النفوس الانسانية القابلة لفيضان النور العقلى الالهى على ذواتها و عقولها الهيولانية، او النفوس الحيوانية الخيالية من الانسان القابلة للانوار الحسية التى يتمثل بها عند النفس، الاشباح الاخروية والصور الشخصية المثالية.

قاعدة

فى ان صور المكونات الموجودة فى هذا العالم مرتسمة متمثلة فى نفوس السموات و فى قواها المنطبعة على الوجه الجزئى، و الاشارة الى معنى القضاء والقدر، واللوح والقلم.

اعلم ان العالم الجسمانى كله بمنزلة انسان كبير، وان جوهر السماء بمنزلة ام الدماغ من بدن الانسان ، وطبقاتها بمنزلة تجاويف الدماغ . وكما ان الدماغ الانسانى لمكان الروح النفسانى الذى هو الطف الاجرام الكونية مظهر يظهر فيه الصور الادراكية والاشباح العينية والاشخاص المثالية للنفس، وكما ان المرآة الخارجية مظهر يظهر بسببها الصور المبصرة للنفس ، فهكذا الروح الدماغى للطافتها و صفائها مرآة روحانية للنفس لما حقق فى موضعه ، ان الصور الادراكية سواء كانت كلية او جزئية عقلية او حسية غير حالة فى جرم مادى كونى، و لا ايضا قائمة بمادة جسمية، فكذلك جوهر السماء و جرمها اللطيف مرآة يظهر فيها الصور الموجودة فى نفسها الكلية من عالم الامر. و بيان ذلك، ان العالم الروحانى بجوهره المجرد القدسى مخزن القضاء الربانى، و كذلك العالم النفسانى بجرمه السماوى مظهر لقدره، اذ الصور الالهية التى فى عالم القضاء فى غاية الوحدة والصفاء، لا ينفصل ولا تتمثل فى معلوميتها لغيرها لشدة نوريتها، كمرآة مضيئة ترد البصر عن ادراك ما فيها من الصور بشعاعها، كما قال تعالى : «و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو» فينتسخ من تلك الصور بالعقل الكلى الذى بمنزلة القلم الناسخ فى لوح النفس الناطقة الكلية التى هى قلب الانسان الكبير، كما ينسخ بالقلم فى اللوح صوراً معلومة مضبوطة بعللها و اسبابها على وجه كلى، كما يظهر فى قلوبنا عند استحضارنا للمعلومات الكلية، كالصور النوعية و كبريات القياس عند الطلب للامر الجزئى المنبعث عنه العزم على الفعل، و هو اللوح المحفوظ لانضباط تلك

الصور فيها و انحفاظها عن التغير، كما قال : «وعندنا كتاب حفيظ» و قال : «انه لقرآن كريم في لوح محفوظ» ثم ينبعث ويتمثل منها في النفوس السماوية الجزئية التى هى قواها الخيالية نقوشاً و مثالا جزئية مشخصة بهيآت واشكال و اوضاع معينة مقارنة لاوقات معينة، مثل مايوجد في الخارج كما يتمثل في خيالنا الصور الجزئية وصغريات القياس مثلا، ليحصل بانضامها الى تلك الكليات والكبريات رأياً جزئياً ينبعث عنه ارادة و قصد جازم الى الفعل المعين ، فيجب عنه الفعل، و ذلك العالم هو لوح القدر، اى مرآته و مظهره، و هو خيال العالم، والسماء الدنيا التى تنزل اليها الكاينات الجزئية اولا من غيب الغيوب، ثم يظهر فى عالم الشهادة على وجه يطابق لما فيها، و تلك الصور والنقوش من قوى النفس الناطقة السماوية كالصور الخيالية من قوة الخيال لنفوسنا ، و كل منها كتاب مبين، لقوله تعالى: «ولاحبة في ظلمات الارض ولارطب ولا يابس الافى كتاب مبين، و مامن غائبة في السماء والارض الا فى كتاب مبين ، و ما اصاب من مصيبة فى الارض ولافى انفسكم الافى كتاب من قبل ان نبرأها» وقوله: «ومامن دابة في الارض الاعلى الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، كل في كتاب مبين» وحصول تلك الصور المعينة الموقتة بوقتها المعين فى موادها الخارجية هو القدر الخارجى، كما قال: « و ماننزله الابقدر معلوم» ولاشك ان وقوعها فى الخارج عند حضور ذلك الزمان ضرورى ولامرد لحكمه، و لادافع لقضائه، لانها موجودة قبل وقوعها الخارجى فى عالم آخر، و ذلك العالم هو عالم الملكوت العمالة باذن الله، اى المسخرة لامره المطيعة لكلمته المدبرة لامور العالم بتحريك المواد واعدادها وتهيئة القوابل و استعداداتها، و حامل القدر بما فيه هو عالم الملكوت، كما ان لوح القضاء بما فيه هو عالم الجبروت .

قاعدة

فی کیفیة نزول القضاء من عندالله و بروز الاحکام من مکامن الغیب الی مظاهر الشهادة.

اعلم انه تعالی قد عظم امر السماء، و جعلها واسطة الارزاق و قبلة الدعوات، و رفع الحاجات، قال: «و فی السماء رزقکم وماتوعدون» اذ جعلها منشأ الحرکات الکلیة، و حدوث الکاینات، و تولد النباتات والحیوانات، سیما نوع الانسان الفایق بنفسه الناطقة، العارفة لربها علی سایر الاکوان، و ذلك لاجل انه جعلها ذوات نفوس ناطقة کاملة متشوقة الی لقاء الله، عاشقة لملکوته الاعلی، طایفة حول کعبة الجلال، فلها ادراکات و ارادات عقلیة بنفوسها الکلیة، و لها ایضاً ادراکات و ارادات بنفوسها الحیوانیة الجزئیة، کحال نفوسنا المدرکة للکلیات المریدة ارادة کلیة من جهة العقل، والمدرکة للجزئیات المریدة ارادة جزئیة من جهة قوة التخیل، کل بحسب مرتبة ومقام، و کل منها یشتاق الی جوهر قدسی مفارق، هو مفیض وجودها و مکملها القریب، تقرباً الیه و تشبهاً به، لادراکها لذلك الکمال الذی من شأنها التشبه بـه، والخروج من القوة الی الفعل بسببه، والتقرب الی المبدأ الاعلی بواسطته، فان النفس بحسب الکمال العقلی بالقوة و الامکان، و شأنها ان یخرج من القوة الی الفعل، و من الامکان الی الوجوب، وهذا الخروج لامحالة بحرکة، والحرکة لایکون الا لتعلق بمادة جسمانیة، لان المفارق عن الجسم بالکلیة المجردة عن المادة رأساً لاحرکة له، فحرکة السماء نفسانیة تابعة لحرکة جسمانیة، فلابد فیها من ارادة کلیة واخری جزئیة. اما الاولی، فلان اغراض الفلك لیست کاغراض الحیوان العنصری شهویة او غضبیة، اولاجل طلب غذاء اولدفع آفة اوعدو، اذ اجسادها لیست مخلوقة من العناصر المتضادة المتکونة من مادة ناقصة غیر مستکملة بالصورة حتی یحتاج الی التکمیل والتعدیل والتصویر، و لیس لصورة جسمها ضد و لانفسها مرض، فلیس لها شهوة و لاغضب، لان حرکتها

ليست لاجل غرض جسمانى بل لاجل مقصد علوىَ ونيل كمال قدسى يكون من شأنها الوصول اليه ولايمكن الا بالسعى والتوجه لنفوسها و ابدانها، لماعلمت ان فعل النفس و حركتها لايكون الا مع البدن، فلا بدلاجرامها ان يتحرك ضرباً من الحركة. و حركة الاجسام منحصرة فى ان يكون فى اربع مقولات، اما فى الاين اوفى الكم اوفى الكيف اوفى الوضع ، لكن الفلك لايمكن ان يكون له حركة الا الوضعية فقط، لانه بالفعل فى جميع مايمكن له من المقدار والاين والكيف، الا الوضع بمعنى النسبة الى الغير، فيطلب وضعاً كلياً يستعد به لذلك الكمال و ينضم الى ادراكه الكلى ادراكات جزئية متقدمة بعضها و متأخرة بعضها .

فينبعث من ارادتها الكلية ادراكات جزئية، فيتبعها اشواق جزئية يوجب حركات جزئية، يقع الوصول بهـا الى مرادات جزئية، نسبة الارادة الكلية الى الاراده الجزئية كنسبة المراد الكلى الى المراد الجزئى، ولماعلمت ان المراد الكلى للفلك التشبه بجوهر كامل عقلى، بل الاتحاد والصيرورة اياه لامجرد تحصيل معنى التشبه، فانه امر ذهنى لاوجود له فى الخارج، وما لا وجود له لايكون مقصوداً حقيقياً. فالمراد الكلى جوهر كامل عقلى، والمراد الجزئى احد جزئياته وهو جوهر نفسانى جزئى، فدايماً يتجدد للنفس الفلكية امثال ويتصل كل منها الى العالم الاعلى ويتحد بالجوهر المفارق ويوجد بدله. ونحن قد بينا فى ساير كتبنا ان طبيعة كل جسم التى هى مبدء حركته و سكونه وساير صفاته الذاتيه وافعاله الطبيعية، امر متجدد سيال دايماً، فكذلك طبيعة الفلك امر متجدد سيال. و ايضا قد بينا ان الحيوانية فى الفلك ينبعث فى كل حين من عالم الطبيعة الى عالم الملكوت العقلى و يحشر الى الملاء الاعلى و يوجد بدلها نازلا الى الفلك من ذلك العالم، وهكذا يتوارد الامثال النفسانية ويتجدد الاشكال والاوضاع والطبايع والمواد الجسمانية فى هذا العالم فى كل وقت، و تنشأ الاخرة من الدنيا الى ان يرث الله الارض و من عليها والله خير الوارثين، والخلق غافلون عن ذلك، لتشابه الامثال، كما قال الله تعالى: «افعيينا بالخلق الاول، بل هم فى لبس من خلق جديد» ومن هيهنا يعلم ان العالم حادث

كله افلاكه و كواكبه و بسايطه ومركباته حدوثاً زمانياً، وان اشخاصها الفلكية والعنصريه كلها متبدلة، اما الفلكيات فعلى نهج الاتصال، واما العنصريات فعلى نهج الانفصال، و صورها العقلية ثابتة عندالله باقية فى علم الله، فان علم الله مصون عن التغير والتصرم، كما قال تعالى: «ماعندكم ينفدو ما عندالله باق» و هى كلمات الله التامات التى لاتبيد ولاتنفد، وقال تعالى: «لوكان البحر مداداً لكلمات ربى لنفدالبحر قبل ان تنفد كلمات ربى و لوجئنا بمثله مدداً».

والحاصل، ان كل حركة سماوية شوقية دورية يحصل للمتحرك بها فى كل آن وضع جديد يفيض بذلك الوضع على نفسه من مبدئه العقلى المتشوق اليه صورة عقلية هى كمال له واشراق نورى توجب لها بقاء بعد فناء وحياة جديدة بعدموت وليساً بكمال بعد خلع فيتجدد منه حركة اخرى وشوق جديد الى كمال آخر، فينطبع من تلك الصورة العقلية فى قوتها الخيالية صورة حيوانية جزئية اخرى مع لذة جزئية اخرى، فينبعث منهاشوق جزئى واهتزاز وطلب لوضع جزئى يحاكى به الصورة النفسانية المحاكية لتلك الصورة العقلية، فيتخصص بذلك الوضع الارادة الاولى الكلية فى ذلك الوقت المعين و ينزل بحسب كل وضع شخصى و ارادة جزئية من تلك المبادى العقلية ثم النفسانية على مواد هذا العالم بحسب استعداداتها المتعاقبة التابعة للاوضاع السماوية صور تتكمل بها تلك المواد و يتهيأ لقبول الصور التالية لهذه الصور الحاصلة التى سيحدث بالوضع اللاحق السماوى لهذا الوضع الحاصل، و على هذا القياس يتعاقب الحركات و يتوارد الأوضاع فيتوالى الصور على جواهر السموات و يتلاحق اتصال النفوس بغاياتها و معشوقاتها العقلية، ففى كل آن لها حشر جديد و قيامة ساعة قائمة و رجوع الى الله.

عقدة وحل

فان قيل: كيف يكون الحركة المتقدمة علة للمتأخرة والوضع السابق علة للوضع اللاحق، و العلة يجب ان يكون مع معلولها، و الحركة المتقدمة

لاتبقى مع الحركة المتأخرة، والوضع السابق لايبقى مع الوضع اللاحق.

قلنا: ان النفوس المحركة لها ارادة كلية سابقة لحركة دايمة لغرض عقلي دائم، ولها ارادة جزئية من نقطة كذا الى نقطة كذا، اى من وضع شخصي الى وضع شخصي آخر، والارادة علة للحركة، والحركة علة للوصول الى ذلك الوضع والى الغرض الجزئي الاخر، فلايزال الوصول مع الارادة الكلية علة للارادة الجزئية لغرض جزئي آخر، ولايتوقف ارادة جزئية على نفس تلك الحركة التى توقفت عليها ـ وان توقفت على غيرها من نوعها ـ والالزم الدور المستحيل، و لايتصرم الارادة الكلية السماوية و ان تصرمت جزئياتها، ويدل دوامها على دوام السماوات وتنزهها عن الكون والفساد، وعلى هذا الوجه من جهة التضاد بين المتفاسدات من الكاينات كمادل على ذلك قوله تعالى: «فالذين عندربك يسبحون الليل والنهار وهم لايسأمون» وقوله: «يسبحون الليل و النهار لايفترون، ان الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته».

و هم و انارة

و لعلك تقول تجدد اللازم و دثوره دليل تجدد الملزوم و دثوره، كما ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم، ولاشك ان ارادة الفلك وحركته ووضعه لازم لطبيعته ونفسه، واذا تجددت الارادة والحركة والوضع، فبالضرورة يكون للفلك فى كل وقت نفس اخرى وطبيعة اخرى ووجود اخر، فلما لم يكن لكل فلك الاذات واحدة ثابتة لها، و وجود واحد شخصى، فلا محالة لم يكن لها من ماهية كل لازم الاشخص واحد مستمر بالعدد. و ايضا: لمايلزم من تبدل اللازم تبدل الملزوم، فيلزم ان يكون عالم الاجرام الفلكية عالم الكون والفساد.

فنقول: لماكان تجدد النفوس الفلكية وطبايعها على نعت الاتصال و المتصل الواحد موجود بوجود واحد ضرباً من الوحدة، وان كان على سبيل التدرج، وكذا اوضاع الفلك وضع واحد متجدد نسبة ذلك الواحد الى المتجددات

الوضعية كنسبة الحركة التوسطية الى الحركة القطعية، فهكذا طبيعة الفلك شخص واحد من حيث لها وحدة مستمرة جامعة محفوظة بواحد عقلى هو عقله المدبر له المقيم لنفسه باذن الله تعالى، و ان كان له فى كل وقت تشخص آخر، فبذلك الواحد العقلى والحافظ القدسى صح القول بان الفلك له ذات واحدة باقيه غير داثرة و لا كائنة فاسدة، فيكون له فى كل آن هوية اخرى غير الهوية السابقة، وصح القول بانه يحدث فى كل آن منه شخص آخر لابقاء له فى زمانين، ولهذا اطبقت الشرايع الحقة فى القول بحدوث العالم جملة لانه فى كل آن يحدث منه شخص غير الذى كان قبله و بعده .

و بالجملة ، فالعالم العقلى مصون عن التغير والفساد، و لكل موجود فى عالم الطبيعة صورة باقية فى القضاء الالهى و اللوح المحفوظ عن المحو والزوال، و له صورة ادراكية فى كتاب المحو والاثبات، و له ايضاً صورة اخرى مادية غير ادراكية فى المادة الهيولانية التى من شأنها الدثور والاضمحلال، و هى القدر الخارجى، والاولى هى القدر العلمى، و كل منهما قابل للتغير و التبدل، ففى الاولى المحو والاثبات، و فى الاخرى الكون والفساد، و هكذا عند المحققين. و عند بعضهم، ان القدر هو الثانية دون الاولى، ويرون ان المحو والاثبات لايكونان الا فى المواد العنصرية، والصور الجزئية المنطبعة فى الفلكيات ثابتة ابداً بحالها من غير استحالة، والتحقيق يصادمه من جهة العقل والقرآن جميعاً. وقوم جوزوا المحو والاثبات فى الصور الادراكية الفلكية دون الصور المادية الخارجية. و نحن باذن الله و توفيقه نرى، ان - المحو والاثبات فى نفوسها وفى اجرامها جميعاً فيقع فى الواح نفوسها المحو والاثبات اولا ويتبعها الكون والفساد فى مواد اجرامها ثانيا، ثم فى ساير المواد الجزئية العنصرية، ولاشك ان الثانى لازم للاول وكذا الثالث للثانى. ومن نظر الى احوال عقله ونفسه وبدنه نظراً وجدانياً، يجد ان عقله امر ثابت من اول العمر الى آخره، و ان كلا من نفسه الحيوانية و بدنه الطبيعى فى التبدل والسيلان، و كما ان بدنه الطبيعى لاجل الحرارة الغريزية والخارجية فى الذوبان والاستحالة والسيلان، فكذلك هوية نفسه الجزئية الحيوانية المدركة

بادراك حضورى المشعور بهاله على الوجه الجزئى ليست الامتجددة، حتى ان الحاضر الان من ذاته الشخصية ليس بعينه هو الهوية العينية الحاضرة له فيما سبق من الزمان. فاذاً نعلم جزماً بان مع حكمنا باستمرار ذاتنا ضرباً من الاستمرار، ان هويتنا الحاضرة عندنا الان غير هويتنا التى كانت منذسنة، كذا ايام الصبى والشباب، وان هذا الحضور غير ذلك الحضور وان هذا الحاضر الان غير ذلك الحاضر من قبل، اذ ندرك نفسنا التى الان بعلم شهودى وجودى، والتى كانت حاضرة لنا فى الامس مثلا ندرك نحو وجودنا الامسى بعلم ذهنى حصولى. نعم نعلم استمرار ذاتنا على نعت الاتصال التجددى، ولنا كتاب حفيظ يحفظ السابق و اللاحق والغايب والحاضر من هويتنا و هو جوهرنا النطقى، و كأن شيئاً من هذا الامر لاح – لبهمنيار – حيث انكر بقاء الذات فى الانسان وباحث مع شيخه – ابى على بن سينا – فى ذلك الا انه لم يسهل له التفصى عما ذكره الشيخ فى المفاوضات بينهما بقوله: فلست انا المسئول عنه، فلم يلزمنى جوابك.

و كان بهمنيار ان يقول له ان للنفس الانسانية مرتبتان فى الوجود: احديهما، متصلة بالطبيعة البدنية والاخرى متصلة بالجوهر العقلى مستمدة منه، فبوجهها الذى يلى الطبيعة ويتعلق بالبدن وتدرك الجزئيات الزمانية، يكون متبدلة غير باقية، وبوجهها الذى يلى العقل، تكون ثابتة باقية مستمرة، وحالها تين المرتبتين من ذات الانسان كحال الحركة التوسطية المستمرة والحركه القطعية المتجددة.

وبالجملة العالم العقلى محفوظ عن التغير والانقطاع، والعالم الطبيعى متجدد كاين فاسد، والنفس مترددة بين العالمين، و لها وجه الى الطبيعة ووجه الى العقل، فبوجهها الطبيعى تدثر و تضمحل، و بوجهها العقلى يحشر الى عالم العقل و مأوى الارواح و يرجع الى الله تعالى.

حكمة عرشية

اعلم ان السابقين الاولين من الفلاسفة الكاملين، كأرسطو واتباعه،

رأوا ان نفوس الافلاك منطبعة لاغير، والمتأخرون منهم كابى على بن سينا و من يحذوحذوه، ذهبوا الى انها مجردة فقط. وبعض المتأخرين رأى ان الفلك ذانفسين، احدهما، منطبعة والاخرى مجردة.

والذى لاح لهذه الفقراء بنور الهداية الربانية، ان لكل من الافلاك هوية واحدة نفسانية جامعة لمرتبتى التجرد والتجسم، فلها نشأتان: احديهما، عقلية باقية عندالله، والاخرى، نفسانية جزئية متجددة فى كل وقت. فبالنظر الى الجهة العقلية قالت الفلاسفة: ان العالم قديم، وبالنظر الى هويتها المتجددة قالت اصحاب الشرايع الحقة: ان العالم حادث. والقول الفصل هو الذى نطق به الكتاب الالهى : «ما عندكم ينفد وماعندالله باق» ولو اجتمعت فصحاء العالم كلهم على ان يأتوا بمثل هذا الكلام الفصيح المعرب عن هذا المعنى اللطيف والمطلب الشريف على هذا الوجه من الوجازة والبيان، لما قدروا على ذلك «والله يقول الحق و هو يهدى السبيل» .

تعليم تمثيلى

اعلم ان صورة العالم كصورة الانسان، فكما ان لافعال الانسان من لدن صدورها منه وبروزها من مكمن غيبها الى مظاهر شهادتها اربع مقامات و مراتب، لكونها اولا فى مكمن روحه الذى هو غيب غيوبه فى غاية الخفاء والبطون كانه غير مشعور به، ثم يتنزل الامر منه الى عين قلبه عند استحضارها واخطارها بالبال كلية، ثم يتنزل الى مخزن خياله ولوح قدره مشخصة جزئية، ثم يتحرك اعضائه عند ارادة اظهارها فى الخارج فيظهر فى مادة جسمانية ذات وضع شخصى، وهذا آخر تنزلاتها. فكذلك لما يحدث فى هذا العالم من الحوادث، اذا المقام الاول بمثابة القضاء البسيط الاجمالى، والثانى بمثابة صور اللوح المحفوظ ومعدنه العرش الاعظم، والثالث بمثابة نقش القدر ومحله السمآء الدنيا اعنى السموات السبع من حيث نفوسها الانطباعية الخيالية على مانراه، والرابع بمثابة الصور الحادثة فى المواد الخارجية. ولا شك ان النزول الاول

لايكون الابارادة كلية، والنزوال الثانى بارادة جزئيه تنضم الى الارادة الكلية، فيتخصص و يصير جزئية، فينبعث بحسب ملايمتها و منافرتها رأى جزئى و شوق جزئى يستلزم ارادة جازمة داعية الى اظهارها فى الخارج، ويبرز من الغيب الى الشهادة. فحركة الاعضاء بواسطة الاعصاب والرباطات فى الانسان الصغير، بمثابة حركة السماء بواسطة الاشعة والانوار فى الانسان الكبير، وظهور الفعل فى الخارج هو القدر الخارجى، و كما ان سلطان الروح الكلى الذى هو روح العالم الكبير لايكون الا فى العرش، فهو من عالم الكبير بمنزلة الدماغ منا، وكما ان مظهره الاول فينا هو القلب الذى هو منبع الحياة والحرارة الغريزية، فكذلك مظهره فى العالم هو الفلك الرابع الذى ارتكز فيه الشمس، وهى سلطان الكواكب النورية ومعطى الاضواء والانوار الحسية ومنبع حيوة العالمين، فهى من العالم بمنزلة القلب الصنوبرى منا. واما القلب المعنوى الذى هو محل الايمان و المعرفة والحكمة و هو المذكور فى لسان الشريعة والقرآن كقوله تعالى: «لمن كان له قلب اوالقى السمع و هو شهيد» و قوله: «فويل للقاسية قلوبهم» وقوله: «ولما يدخل الايمان فى قلوبكم» فهو النفس الناطقة من الانسان لتقلبها فى الاطوار، وكونها تارة مع الطبيعة، وتارة مع العقل، وهى متجاذبة الى الجانبين، مترددة بين النشأتين، كما ورد فى الحديث عن النبى، صلى الله عليه وآله وسلم: «قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء» وروح هذا الفلك الرابع بمنزلة النفس الحيوانية منا المتعلقة بالبخار اللطيف الدخانى المنبعث من القلب الذى حيوته، كانه ذاتية كالاجسام الاخروية التى حيوتها ذاتية لاواردة عليها من خارج، كماسينكشف فى مباحث المعاد وبهذا الروح يحيى جميع الاعضاء و هو كجرم الفلك، ولذلك وصف الله السماء بالدخان للطافته، وقبوله النارية والنورية بسرعة، وهو، اى الفلك الرابع البيت المعمور المشهور فى الشريعة انه فى السماء الرابعة الذى اقسم الله به فى التنزيل فى قوله: «والطور و كتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور» و لهذا جعلت مقام عيسى روح الله، و كانت معجزته احياء الموتى لغلبة روحانيته وتجرده وقوة حياته ونورانيته. والطور يراد به العرش،

والكتاب المسطور بالقلم الاعلى، هو صورة القضاء الاول البسيط الثابت فى الروح الاعظم الاول، والرق المنشور هو النفس الكلية المدبرة للعالم ، والسقف المرفوع هو السماء الدنيا على المعنى الذى سبق. فان هذه السموات الجسمانية بازاء سموات عقلية روحانية فى العالم الاعلى العقلى، فهى السموات العلى فى الحقيقة. اذ لاشك ان عالم الاجسام كله بالنسبة الى عالم الروحانيات بمنزلة الارض السفلى والمنزل الادنى، والبحر المسجور هو بحر الهيولى السيالة الممتلية بالصور الطبيعية الكاينة الفاسدة المتواردة عليها على التعاقب كامواج البحر، وانما وصف بحر الهيولى بالمسجور، لان هذه الطبايع الجسمية والصور الكونية باطنها نار الجحيم وهى نار كامنة فى كل جسم، وان كان مثل الماء والارض والجبال، الا انها منغمرة فى بعضها بحيث لا يبرز الا بجهد جهيد و تحريك و سحق شديد، بخلاف البعض الاخر و لذلك ما من جسم طبيعى الا وينقلب الى النار بالحركة والتلطيف والخضخضة، و اهل الكشف يشاهدون النار الكامنة فى بواطن الاجسام الطبيعية كلها رطبها ويابسها وباردها وحارها، ويرون النار الاخروية فى باطن جواهر الدنيا، كما قال تعالى فى حق آل فرعون: «اغرقوا فادخلوا ناراً» وقوله : «ادخلوا آل فرعون اشد العذاب» وعن بعض الصحابة رآى بحراً فقال يا بحر، متى تصير ناراً؟

المشهد الثالث

فی دوام الهیته وجوده و رحمته و کیفیة صنعه و ابداعه و فیه قواعد:

قاعدة

اعلم ان جماعة من المتکایسین الخائضین فیما لایغنیهم، زعموا ان اله العالم کان فی ازل الازال ممسکا عن جوده وانعامه، واقفاً عن فیضه واحسانه، ثم سنح له فی ان یفعل، فشرع فی الفعل والتکوین والتقویم، فخلق هذا الخلق العظیم الذی بعضه مکشوف بالحس والعیان وبعضه معلوم بالقیاس والبرهان. و هذا الرأی من سخیف الا راء ومن قبیح الاهواء، فان صفات الحق تعالی عین ذاته و کمالاته الفعلیة التی هی مبادی افعاله کالقدرة والعلم والارادة والرحمة والجود کلها غیر زایدة علی ذاته تعالی، و کذا الغایة فی فیضه وجوده، والداعی له علی ذلك لیس الا نفس علمه بالنظام الا کمل الذی هو عین ذاته، فان ذاته هو النظام المعقول الواجبی الذی یتبعه النظام الموجود الممکنی، لاکاتباع الضوء للمضیء واتباع السخونة للجوهر الحار. والذی دعاهم الی هذا الظن القبیح المستنکر، ما توهموا ان حدوث العالم حسبما اتفق علیه اهل الشرایع الحقة من الیهود والنصاری والمسلمین تبعاً لاجماع الانبیاء علیهم السلام، یستدعی ذلك، ولایستصح الابنسبة الامساك عن الجود و تعطیل الفیض الی الله المعبود. وقدا وضحنا السبیل واقمنا الدلیل کماستقف انشاءالله تعالی حسبما فصلنا فی کتبنا ورسایلنا، علی ان العالم بکله وجزئه حادث زمانی، و ذلك

لاينافى كونه تعالى قائماً بالقسط والعدل والجود والكرم ازلا و ابداً .

و ربما توهموا ان مختاريته تعالى اوجبت تجددالفاعلية واستيناف الفعل بعد مالم يكن. و هذا ايضاً من تلفيقات الاوهام و مختلقات الذهن التى من قبيل اضغاث الاحلام، فان اختياره جل ذكره اجل و ارفع من النمط الذى تصوروه من طرفى الجبر و الاختيار، اذ لم يفهم جمهورهم من الجبر الا فى الطبايع العديمة الشعور، ولامن الاختيار الافى القصد الذى يكون فى الحيوان بعد حصول الداعى عقيب القدرة التى شأنها القوة الامكانية المتساوية نسبتها الى الضدين والطرفين، و هذه لايوجد الافى الناقصين فى القدرة المفتقرة فى كونها مبدأ للفعل الى انضمام الداعى من الخارج. و اما القدرة الازلية فليست كما زعموه و جلت و تقدست عما اعتقدوه فى حقها، لانها عين الارادة و عين الداعى الذى هو علمه تعالى بالكل على الوجه الاتم الاعلى، فهو تعالى بنفسه قادر مريد خالق لمايشاء كيف يشاء فاعل لما يريد كيف يريد فكان خالقاً لم يزل و لايزال، فاعلا للعالم كما يعلم فى الاباد والازال، فيكون الخلق قديماً والمخلوق حادثاً والعلم قديماً والمعلوم متجدداً، و كذا الارادة والافاضة والرازقية كلها مستمرة ازلية، لكن المرادات والمفاضات والارزاق حادثة متجدة «ولن تجد لسنة الله تبديلا» لعدم تغيره فى ذاته و كمالات ذاته ومايقتضيه صفاته الكمالية «ولن تجد لسنة الله تحويلا» اذ لامحول لفيضه واعطائه ولامبطل لقيوميته وانشائه ولامبدل لكلماته. قوله: «لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» وقوله: «لايبدل القول لدى» وقد علمت ان قوله ابداعه وامره كلمته وتكوينه. و قوله : «ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره» وامره دايم، و الامر الدائم لايتغير ولايوجب تغير المأمور فى ذاته تغير الامر، كما لايوجب تغير الامر لان الامر من عالم الالهية والبقاء والمأمور من عالم الخلق والفناء والدثور .

واياك ان تشتبه عليك وتلتبس ماقررناه من تجدد الخلق والتكوين مع بقاء الامر و الابداع بكلام الاشاعرة، اتباع ابى الحسن الاشعرى، حيث قالوا: ان العلم قديم والتعلق حادث وكذا القدرة قديمة وتعلقها بالمقدورات حادثة.

فشتان بين ماذكروه وبين ماقررناه فان الذى تخيلوه لايمكن تصحيحه على نمط البيان العلمى، لان مبناه على الارادة الجزافية التى ذهبوا اليها، وعلى ابطالهم القول بالعلة والمعلول. و ايضا : كون العلم والقدرة و غيرهما من الصفات التى تلزمها الاضافة قديمة ومتعلقاتها حادثة غير معقولة بناءاً على مذهبهم من انقطاع الفيض وتخصيص آن من الانات باول الحدوث. وكذا قول جمهور قدماء المعتزلة بكون علمه تعالى بالاصلح علة مقتضية لوجود العالم فى الوقت الذى وجد فيه دون غيره من الاوقات، وليس يلزم من هذا تخلف المعلول عن العلة المقتضية، لان الذى اقتضاه العلم بالاصلح هو وجود المعلول على هذا الوجه، فلم يلزم تخلف اصلا. وكذا قول بعضهم بان الداعى ذات الوقت على سبيل الاولوية اوعلى سبيل الوجوب، اذ لاوقت قبله ونحو ذلك من الملفقات الكلامية التى لاجدوى فيها الا تضييع الوقت. فان كون الصفات الفعلية قديمة والاثار اللازمة حادثة انما يستقيم ويستثبت اذا كان نحو وجود الخلق والمواد الجسمانية و طبايعها متجددة منقضية بحيث لابقاء لها زمانين، لان شأنها التجدد والحدوث وماهيتها يقتضى الزوال والانصرام والانقضاء، كالحركة والزمان، لكن معنى الحركة نفس المعقول من تجدد شيء وخروجه من القوة الى الفعل تدريجاً بالمعنى الذهنى المصدرى .

و اما الذى كلامنا فيه فهو نفس الموجود الذى وجوده بعينه يخرج من القوة الى الفعل على التدريج، و هو من مقولة الجوهر الذى يقع فيه و به الحركة الذاتية والحدوث والتجدد من لوازمه الغير المجعولة بجعل مستأنف يتخلل بين الشيء وموصوفه، فالجاعل القديم بقدرته القديمة وبنحو ثباته يفعل الجوهر الجسمانية، و هى من حيث اصل ذاتها و ثبات وجودها الذى هو عين الحدوث والتجدد مرتبطة بالفاعل و بقدرته التامة، و لالمية لها فى نحو حدوثها وتجددها اذ لايتصور لها وجود خارجى الا على هذا النحو فلا صنع للفاعل الا فى افاضة الوجود عليها على الوجه الاتم الابلغ، لا فى كونها حادثة الوجود ناقصة الكون متجددة الهوية و الذات، اذ الذاتى لايعلل، فعلى هذا الوجه صح القول بان القدرة والارادة والجود ازلية والعالم حادث، لاعلى

مالفقوه، كمالايخفى على ذى بصيرة. قوله: «ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا، ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده» قوله: «خالدين فيها مادامت السموات والارض» و قوله: «عطأ غير مجذوذ» و قوله: «و ماكان عطاء ربك محظوراً».

قاعدة

فى تحقيق كلماته التامات

اعلم ان بين البارى جل مجده وبين العالم وسايط نورية واسباباً فعالة هى كانها فوق الخلق ودون الخالق، لانها حجب الهية وسرادق نورية واضواء قيومية كأضواء هذه الشمس المحسوسة، كانها برزخ بين الذات النيرة وبين الاشياء المستنيرة بها، و تلك الوسايط قد يعبر عنها بكلمات الله و بالكلمات التامات كما ورد عنه صلى الله عليه وآله فى الادعية والاذكار «اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، و قوله: اعوذ بكلمات التامات التى لايجاوزهن بر ولافاجر من شر كل شيطان مريد» و انما وقعت الاستعاذة من الشرور بكلمات الله، لانها من عالم الامر، و هو خير كله لاشر فيه، و كل ما فى عالم الخلق كالاجسام و عوارضها اللازمة و المفارقة كلها مملو بالشرور والنقايص والافات. قوله: «لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً» فالكلمات اشارة الى ذوات نورية بها يصل فيض الوجود الى الاجسام والجسمانيات، والبحر اشارة الى هيولى الاجسام التى شأنها القبول والتجدد. و انما يقع تجدد الفيض بحسب توارد انفعالاتها واستعداداتها، وانما يتلاحق استعداداتها بمدد بعد مدد من العوالى، فشأن المواد النفاد والانقطاع، وشأن الكلمات الافاضة بعد الافاضة، و لاشك ان الوسائط هويات وجودية بسيطة و ذوات مجردة عن المواد الجسمية مرتفعة عن عالم الازمنة والامكنة، و كل مجرد امر روحانى وجوده عين العلم والادراك، فهى لامحالة عقول قدسية وارواح عالية، قال الله

تعالى : «وكلمته القيها الى مريم و روح منه» وهى متصلة بالحق الاول اتصال الشعاع بالشمس، و لهذا اضيفت اليه تعالى بقوله : «وتمت كلمة ربك صدقاً و عدلا، لامبدل لكلماته» و انما وصفت بانها تامات، اذ جميع مالها من الكمال هو بالفعل، ليس فيها شوب قوة استعدادية ولا كمال ينتظر ولا احوال مترقبة الحصول. و قد يعبر عنها بعالم الامر كما يعبر عن الاجسام ومامعها بعالم الخلق، قال تعالى: «الا له الخلق والامر» فجميع مافى عالم الاجسام انما يصدر عن المبدأ الا على بواسطته. وقد يعبر عنها بقوله تعالى: «انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون» و قال : «لقد حق القول على اكثرهم فهم لايؤمنون» والاسماء متكثرة والمسمى واحد باعتبار حيثيات مختلفة، فمن حيث يقع بها اعلام الحقايق من الله، يقال لها الكلمات، ومن حيث يجب بها وجود الكاينات كل فى وقته، يقال امر الله و قضاؤه الحتمى، و من حيث يكون بها حياة الموجودات يقال لها روح «قل الروح من امر ربى» و هى فى ذاتها واحدة «وما امرنا الا واحدة» و انما يتعدد، بتعدد انواع الاثار «واوحى فى كل سماء امرها» او باعتبار جهات فيضانها على الاشياء، او باعتبار تعلقاتها بها، فيتكثر بتكثرها، كالوجود حقيقة واحدة تتكثر بتكثر الماهيات، لابان يكون للمهيات تأثير فى الوجود، بل باعتبار اتحاد المهية بالوجود.

و بالجملة كلمات الله امر موجود روحانى مؤيد للانبياء بالوحى ، قال الله: «وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا» و ملهم للاولياء بالكرامة، و محيى لقلوب السالكين من المؤمنين بالايمان، وايدهم بروح منه، و هو والد لنفوس المكرمين، «وكلمته القاها الى مريم و روح منه» و هذا هو الروح لنفوس المكرمين، «وكلمة القاها الى مريم و روح منه» و هذا هو الروح العلوى الذى قيل: انه لم يقع تحت ذل كن. لانه نفس كلمة كن، و هو بعينه نفس الامر، لانه امر الله الذى به يوجد الاشياء، ولاشبهة فى ان قول الحق و كلامه فوق الاكوان و اعلى منها، اذ بها يقع الفعل والتأثير والتكوين. فكيف يقع تحت الكون و قال : «وكلمة الله هى العليا» .

قاعدة

فی ان الله سبحانه فاعل لما سواه و موجد لما عداه علی اربعة انحاء:

الاول، الابداع و هو ایجاده لافعال تولاها بذاته، وهی الابداعیات. و معنی الابداع هو ایجاد الشیء عن العدم، ای ایجاده لامن شیء، لست اقول من لاشیء والیه اشار بقوله : «بدیع السموات والارض» وقوله : «انما امره اذا اراد...».

والثانی، التکوین، و هو ایجاد افعال استعبد فیها ملائکته و سماها قوم: التکوینیات.

والثالث، التدبیر وهواخراج الشیء من النقص الی الکمال اخراجاً غیر محسوس، و هو معنی الربوبیة، کقوله «الحمدلله رب العالمین» و قوله : «رب السموات والارض» وبذلك وصف الله تعالی ملائکته بقوله: «فالمدبرات امراً». فالمقسمات و هم ثلاثة اضرب: ضرب الیهم القیام بالاجرام السماویة، و قیل هم اسرافیل و میکائیل و جبرئیل و رضوان والمحتفون بالعرش الموصوفون بقوله: «حافین من حول العرش» وقوله: «الذین یحملون العرش ومن حوله یسبحون بحمد ربهم» وضرب الیهم تدبیر الارکان الهوائیة ، کالملائکة الباعثة للریاح والموجبة للسحاب الموصوفین بقوله «ویسبح الرعد بحمده و الملائکة من خیفته» و کما وصفه النبی صلی الله علیه وآله فی صفة الجنین «انه تعالی یبعث ملکاً فینفخ فیه الروح» و کالحفظة کما فی قوله : «له معقبات من بین یدیه و من خلفه یحفظونه من امر الله» و قوله: «یمددکم ربکم بثلاثة آلاف من الملائکة منزلین ...» الی قوله : «یمددکم ربکم بخمسة آلاف من الملائکة مسومین».

والرابع، التسخیر، و هی افعال سخر الله تعالی لها موجودات هذا العالم، کالاضائة للشمس والانارة للقمر والاحراق والاذابة للنار والترطیب للماء، وبالجملة ما سخر الله له شیئاً من الاجسام کالافلاك والعناصر والجمادات و النباتات وغیرذلك . و نبه علیه بقوله «و سخر الشمس والقمر» و قوله :

«و سخر لكم الفلك لتجرى فى البحر و سخر لكم الليل والنهار» الى غير ذلك من الايات .

الخامس، الصناعة و هى المهنة و هى التى استعبد الانسان فيها و استخلفه، وهى الاشياء التى يحتاج صنعة اكثرها الى ستة اشياء. الى عنصر يعمل منه، والى مكان، والى زمان، والى حركة، والى اعضاء، والى آلة. وهذا الضرب خص الانسان به ولم يستصلح لها الملائكة كما استصلح الملائكة لامور لم يستصلح لها الناس، و جعل لكل ملك مقاما معلوماً «ومامنا الاله مقام معلوم» و كذا جعل لكل من اصناف الناس مقاماً معلوماً كما نبه بقوله: «قل كل يعمل على شاكلته» و قوله : «كل حزب بما لديهم فرحون» و قوله صلى الله عليه وآله: «كل ميسر لما خلق له» و لكن عامة الملائكة، لايعصون الله فى ما امرهم، و يفعلون مايؤمرون، لبساطتهم و عدم تركبهم من امشاج. والناس فيما امروا و كلفوا بين مطيع وعاص، فهم على القول المجمل ثلاثة اضرب: ضرب اخلوا بامره وانسلخوا عما خلقوا لاجله و اتبعوا خطوات الشيطان و عبدوا الطاغوت. وضرب وقفوا بغاية جهدهم حيثما وقفوا كالموصوف بقوله : «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً». وضرب ترددوا بين الطريقين كما قال : «وخلطوا عملا صالحاً و آخر سيئاً» فمن رجح حسناته على سيئاته، فهو موعود بالاحسان اليه.

و على الانواع الثلاثة دل بقوله : «وكنتم ازواجاً ثلثة، فاصحاب الميمينة ما اصحاب الميمنة» وعلى هذا قسم فى آخر السورة وقال : «فاما ان كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم...».

وكثير من الناس يعصون الله ولايأتمرون له ولكن يستعملهم الله تعالى بغير ارادة للسعى فى تصرفه من حيث لايشعرون، كفرعون فى اخذ موسى ابناً له و تربيته اياه، و كجمعه السحرة فى ايمانهم بالله و بموسى، و كاخوة يوسف فى فعلهم بيوسف ماافضى به الى ملك مصر و تمكنه مما مكن فيه، و يكون مثلهم فى ذلك كما قيل:

قصدت مسائتى فاجتلبت مسرتى وقد يحسن الناس من حيث لايدرى

فيكون فعله محموداً و فاعله مذموماً، كما قيل: رب امرء اتاك لايحمد الفعال فيه و يحمد الافعالا .

قاعدة

فى عالم امره تعالى.

اول الصوادرعن ذاته تعالى بذاته يجب ان يكون اشرف المكنات و افضل المفطورات و اكرم المربوبات، و هى الصور المجردة الالهية والانوار المفارقة العقلية دون شيء من الجواهر الجسمانية وطبايعها وقواها التى هى من عالم الظلمات و معدن الشياطين والشرور والافات ، فان الواهب الحق والجواد المطلق لايترك الاشرف ويفعل الاخس، بل يجب ان يصدر من فيض جوده الاشرف فالاشرف الى ان ينتهى الى الاخس فالاخس، فما من شيء من الممكنات سواء كانت شريفاً او خسيساً، عالياً او دنياً، روحانياً اوجسمانياً الاويجب ان يسع اليه رحمته ولايقصر رداء جوده و كرمه ان يشمله، اذلامنع فى فاعليته ولا راد لقضائه ولاقصور فى احسانه ولا دافع لامره، لكن يجب فى قضية البرهان ان يصدر عنه الاشياء على حسن الترتيب والنظام وجودة الهيئة والتمام على حسب توسيط وسايط فى جوده و وسايل لكرمه و فيض وجوده ، عبر عنها تارة بالملكوت لقوله : «وكذلك، نرى ابراهيم ملكوت السموات و الارض ليكون من الموقنين» و تارة باليمين المقدس «والسموات مطويات بيمينه» و تارة باليدالمبسوطة المنسوبة اليه تعالى «يدالله فوق ايديهم،، قالت اليهود يدالله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بماقالوا، بل يداه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء» وتارة بالاعين الالهية «واصنع الفلك باعيننا ووحينا» وتارة بمفاتيح الغيب «وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو» وتارة بالخزائن لاختزان الصور العلمية فيها «وان من شيء الاعندناخزاينه» وتارة باسمه تعالى «تبارك اسم ربك، سبح اسم ربك» و تارة بجنود الرب «و مايعلم جنود ربك الاهو» لانها مرتفعة الذوات عن ان يحيط به ادراك الجن والانس ولذلك قال «ويخلق مالا تعلمون» و اليهم الاشارة بقوله : «و مالاتبصرون» .

والعقل الاول اول ماينفتح به باب الفيض والابداع، ونسبته الى سائر الجواهر الروحانية نسبة آدم الى اولاده. و قال النبى صلى الله عليه و آله :

«اول ما خلق الله العقل» و هذا العقل له و جه الى الحق، لانه يجب به وجوده، ووجه الى ذاته، لانه هوية صادرة عن الحق الاول مغايرة له، فلابد له من ان يتضمن معنى النقص والامكان، والالم يكن بين المفيض والمفاض عليه فرق، فلتضمنه جهة الخير والوجوب يصدر بواسطته عقل آخر دونه فى الرتبة، ولتضمنه معنى النقص والامكان، يصدر منه جوهر جسمانى فيه الامكان الاستعدادى ، وهو اول الافلاك واعلاها، وهكذا صدر عن كل عقل بحسب جهتيه جوهر قدسى و جرم سماوى، الاشرف من الاشرف، والاخس من الاخس، حتى استوفى عدد الكرات الى فلك القمر، و عدد العقول الى عقل اخير. والحق انها متكثرة جداً حسب تكثر الانواع الطبيعية، حتى يكون لكل كرة سماوية او كوكبية و لكل نوع من الطبايع النوعية البسيطة كالنار والهواء والماء والارض ، والمركبة كانواع المعادن والنباتات والحيوانات، عقل فعال ذو عناية وتدبير و حفظ لافراد ذلك النوع.

ففى عالم الارواح العقلية كثرة وافرة خارجة عن احصائنا و ضبطنا لايعلم عددها الا الله كما قال : « وما يعلم جنود ربك الا هو» واليها الاشارة بقوله تعالى «والصافات صفاً فالمدبرات امراً» وقوله «السمآء بنيناها بأيد...» و قوله: «وخلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاماً» فللحق الاول ايد عمالة فعالة لابجوارح جسمانية، بل ذوات نورية هى وسايط جوده وجهات فاعليته، و افاضته على الاشياء وهى كانها فى طريق الايجاد مباد فعالة لهذه الانواع ، فهى كما انها مبادلوجود طبايع الاشياء وحركاتها، كذلك هى غايات لوجود هذه الطبايع و استكمالاتها، بهايتم ذواتها و يكمل وجوداتها، ولاجلها يفعل آثار حركاتها و استحالاتها، و بهايتم النظام و يكمل الخلق، و للتشوق اليها يدور الافلاك ويتواجد الاملاك ليلا ونهاراً، سراً وجهاراً، وبسبب ذلك تعمر الدنيا و يدوم الحرث والنسل «صنع الله الذى اتقن كل شيىء» اشارة الى النظام المحكم و القوام الاتم الادوم، و لاجل وجود هذه المقومات العقلية للانواع الطبيعية كلها قال: «ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت» واليها الاشارة بقوله: «والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، الاله الخلق والامر» و ذلك لان

هذه الطبايع النوعية هى ظلال و قوالب لتلك الـذوات النورية والارواح المهيمة العقلية، و هى ظلال و قوالب للاسماء الالهية التى هى عند محققى العرفاء بمنزلة ارباب الارباب لتلك الاعيان الثابتة النوعية العقلية، و تلـك الاسماء كلها موجودة بوجود واحد الهى هوالغيب المطلق و غيب الغيوب ، و ما فى هذا العالم شهادة مطلقة.

واما الاسماء والاعيان العقلية وكذا الصور المثالية، فكل منها غيب بالنسبته الى ما تحتها، و شهادة بالنسبة الى مافوقها. و قدعلمت ان امره تعالى يجب ان يكون موجوداً مفارقاً عن الاكوان الخلقية فهو لامحالة متقدم على عالم الاكوان الخلقية «ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون» وهم العارفون بكيفية صنعه تعالى فى الابداع والايجاد وادامته وحفظه للاشياء حسبما يحتمله الاشخاص والانواع، فمنها مايحتمل الدوام الشخصى ويمكن حفظه بالعدد، ومنها ما لايحتمل الا الدوام النوعى ولايمكن حفظه الا بالنوع لا بالعدد، يديمه بالنوع و يحفظ نوعه بالصور العقلية التى حقيقته ثابتة فى صقع عالم الربوبية وبتوارد الامثال التى هى كالاظلال والاشباح. فمامن شىء من الموجودات الكونية الا وله ظاهر و باطن، فظاهره قشر ظلمانى، و باطنه لب نورانى على اختلاف الاشياء فى الشرافة والخسته، فالمنسوب الى الله من كل شىء لبه ولطيفه وباطنه النورانى لاقشره و ظاهره الكدر الظلمانى لان الظلمة والكدورة منشأهما العدم والنقصان ومنبعهما الامكان «فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون، له ما فى السموات وما فى الارض.» اى لطايفها و ارواحها و لذلك عقبه بقوله : «كل له قانتون».

قاعدة

فى ان جميع الموجودات متوجهة نحو الخير الاقصى و المبدأ الاعلى طالبة للحق، سالكة فى طريقه، مشتاقة الى لقائه.

قال الله تعالى: «الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب و كثير من الناس»، وهذا سجود

فطری ذاتی عن تجل وقع من قبل الله لهم، فاحبوه وانبعثوا الی الخضوع له تقرباً اليه بعبادة ذاتية و حركة جبلية نحوه من غير تكلف. و قال ايضاً «الم تر ان الله يسبح له من فی السموات والارض، والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه» فلزم ذلك و ثابر عليه و داوم. و هذا أيضاً تسبيح فطری و ثناء ذاتی انبعث عن ذواتهم و بواطنهم التی هی عند ربهم، فيسری حكم السجود الفطری والصلوة الحقيقية والتسبيح الذاتی الی ظواهرهم وامثالهم واظلالهم كما فی قوله: «اولم يروا الی ماخلق الله من شیء يتفيوء ظلاله عن اليمين والشمايل سجداً لله وهم داخرون» ومن لطايف كلامه انه قال فی الايتين السابقتين «الم تر» مخاطباً لنبيه، و فی هذه الاية «اولم يروا» بلفظ الجمع المراد به عامة الانس و كل عاقل، وذلك لان متعلق الرؤية فيهما هو الله من حيث كونه مسجوداً ومسبحاً له، وفی هذه متعلق الرؤية ماخلق الله، ولاشك فی ان تلك الرؤية مرتبة عظيمة مختصة بالنبی صلی الله عليه وآله شهوداً وعياناً، فهی له صلی الله عليه وآله عيان كشفی، ولنا ايمان علمی، فاشهده الله تعالی سجود كل شیء و تسبيحه كما اعلمنا بمتابعة دينه و كتابه.

وبالجملة دلت الايات ان لهذه الموجودات حتی الجبال والشجر و الدواب عبادة ذاتية لله و نسك فطری، ثم قال متمماً لماسبق: «ولله يسجد مافی السموات ومافی الارض من دابة» ای ممن يدب عليهما، يعنی اهل السموات والارض اشارة الی حركتها الذاتية الفطرية حسب ماييناه بالبرهان. وقوله: «والملائكة و هم لايستكبرون» يعنی الملائكة التی ليست فی سماء و لاارض لايستكبرون عن عبادة ربهم. ثم وصف المأمورين منهم انهم يفعلون مايؤمرون، ثم قال: «الذين هم عند ربك يسبحون له بالليل و النهار و هم لايسأمون» ای لايملون، لان مبدء حركتها و سعيها ليس قوة جسمانية اوغاية حيوانية شهوية اوغضبية بل تشوقاً الی الله و تقرباً عنده و تخلصاً من الم الفراق ونار الاشتياق، كل ذلك يدل علی ان العالم كله فی مقام الاستقامة علی الصراط و العبودية والخضوع، الاكل مخلوق له قوة الفكر و تسلط الوهم و اغواء الشيطان، و ليس الا النفوس الانسانية النطقية من حيث اعيان تلك النفوس ،

واما ابدانهم وهياكلهم فهى ايضا كسائر العالم فى التسبيح والعبودية الذاتية، فاعضاء البدن كلها مسبحة ناطقة، الاترى انها يشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيامة من الجلود والايدى والارجل والالسنة والسمع والبصر وجميع القوى فالحكم لله العلى الكبير.

و من الايات الدالة على الحركات الذاتية للموجودات نحو البارى جل ذكره قوله تعالى: «قل سيروا فى الارض، فانظروا كيف بدء الخلق، ثم الله ينشأ النشأة الاخرة، ان الله على كل شىء قدير، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون» و قوله: «وله اسلم من فى السموات والارض طوعاً و كرهاً، و اليه ترجعون و من آياته ان تقوم السماء و الارض بأمره، ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون» و قوله: «ثم استوى الى السماء، فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً، قالتا اتينا طائعين» قوله: «طوعاً» وقع حالا عن السماء فى اتيانها، فان حركات السماء ارادية نفسانية تقربا الى الله تعالى، كما بين فى مقامه، من ان نفوسها يحرك اجرامها لاجل غايات عقلية و معشوقات قدسية هى اشعة وانوار للهوية الالهية نور الانوار، و لها اتصالات بها و استشراقات بانوارها، و كل منها يتصل بمعشوقه العقلى و يتحد به. و قوله: «كرهاً» اشارة الى حال الارض فى اتيانها، فانها لكثافة طبيعتها وبعد مناسبتها لعالم قدس الحق لاتصير صالحة للتوجه الى حضرة الاحدية والعبودية والانابة الى الله الابعد استحالات وانقلابات بالقسر والجبر من جهة قوى محركة خارجية كالغاذية و النامية فيصير غذاءاً للنبات مصورة بصورته، ثم للحيوان مصورة بصورته صايرة اياه، ثم يدخل فى باب الانسانية و هو باب الله الاعظم، فاذا دخلت فى هذا الباب تطيع الله وتحشر اليه فصارت مطيعة بعدما كانت متعصية، و كذلك كل حركة قسرية فانها تصير بعد اعداد القاسر طبيعية صادرة عن الطبيعة المقسورة، ولهذا قال «قالتا اتينا طائعين» فحال السماء فى توجهها الى الله كحال المؤمن الفطرى فى عبادته وعبوديته، وحال الارض كحال المؤمن الذى كان اولا كافراً، ثم تاب عن كفره و آمن وعمل الصالحات. وقوله: «انا نحيى ونميت والينا المصير» وقوله: «لله ملك السموات والارض وما بينهما والينا

المصیر» و قوله : «ومن آیاته خلق السموات والارض و مابث فیها من دابة وهو علی جمعهم اذا یشاء قدیر» اشارة الی ان جمیع مافی العالم الجسمانی سیعود فی حرکاتها الذاتیة الطبیعیة والاستحالات الجوهریة والعرضیة الی عالم الامر العقلی والمقام الواحد الجمعی. واطلاق الدابة علی مافی السماء من الکواکب و غیرها و علی مافی الارض من المعادن والنباتات وغیرها لاجل انها حیوانات سماویة او ارضیة دائمة الدؤب والسعی الی الله، اذ ما من جوهر جسمانی ذی طبیعة فلکیة اوعنصریة الاوله حرکة رجوعیه ذاتیة الی الله کما قال «یوم تمور السماء موراً، و تسیر الجبال سیراً» فالسماء والسماوی کالارض والارضی فی هذه الحرکة الذاتیة کما برهن علیه فی موضعه .

الطرف الثانی

فی افعاله سبحانه و کیفیة صدورها عنه و رجوعها الیه تعالی و فیه مشاهد :

المشهد الاول

فی حدوث هذا العالم و کون وجوده و وجود کل مافیه مسبوقا بالعدم الزمانی

اعلم ان الحادث بعد مالم یکن لابد له من مرجح لاستحالة حدوث شیء لاعن سبب، و ذلك المرجح لابد ان یکون حادثاً کله او شیء من تمامه والالدام الترجیح فدام الاثر، فلم یکن حادثاً، وقد فرض حادثاً، هذا خلف. ثم نعود الکلام الی مرجح المرجح فاما ان یتسلسل علل حادثة مجتمعة لاالی نهایة، و هو باطل لما علمت ان الباری جل اسمه مبدأ سلسلة الممکنات کلها ، و هو ازلی غیر حادث، اویکون اسباباً متعاقبة کل منها سبب للاحقه، و هذا هو المتعین عند جمهور الفلاسفة، وهذا لایمکن تصحیحه الابان یکون قبل کل حادث امور نحو وجودها الحدوث والتجدد والانقضاء. ولایکفی فی ذلك نفس الحرکة العرضیة.

اما اولا، فلان الحرکة امر عقلی لاوجود لها فی الخارج ، و مالا وجود له لایصیر سبباً من اسباب وجود الشیء الحادث.

و اما ثانیاً، فلان وجود الاعراض بعد وجود الجواهر، فاذا کان جواهر العالم ثابتة فی ذاتها، مستقرة فی انفسها، فمن این تحدث صفة متجددة بها یتخصص حدوث حادث؟ فاذن لابدان یکون من جملة الجواهر الموجودة جوهر سیال

متجدد فی ذاته، نحو وجوده الانقضاء والتجدد بحیث لایتصور لهفی وجوده ثبات واستمرار، ولافی عدمه ثبات واستمرار، اذ کل ما کان عدمه ثابتاً، فوجوده ممتنع، و کلما لم یکن عدمه ثابتاً، فوجوده لیس الاوجود الانقضاء والتجدد، و ذلك الجوهر لایمکن ان یکون جوهراً غیر مادی و لاجسمانی، والالم یکن فیه قوة استعدادیة، بل هو جوهر مادی فیه ضرب من القوة و ضرب من الفعل، و ماهو الاالطبیعة السماریة فی الاجسام، فکل حادث بالذات اوبالعرض یستدعی ان یکون قبله حوادث غیر متناهیة الی حدو بعده ایضاً حوادث کذلك لایتصرم، والا، عاد الکلام عندانصرامه، و هذه الحوادث الغیر المنقطعة و لاالمتصرمة لایجوزان یکون اموراً متفاصلة، والایلزم تتالی الانات، ویعود الکلام فی بدایة کل منها، بل متصلة واحدة بوحدة هی وحدة الکثرة، وثبات هو عین الزوال، و اجتماع هو اجتماع المتفرقات، وماهذا شأنه یجب ان یکون امراً متجدد الهویة و الذات، وجوده نفس الاتصال التجددی، وهی الحرکة الفلکیة عندالفلاسفة، اذ لایحتمل من الحرکات الدوام الاالوضعیة المستدیرة، و عندنا هی الطبیعة الجرمیة التی یقع فیها لمااشرنا الیه من ان الحرکة نفس مفهوم التغیر ، و معناها اضافی لاوجود له الافی الذهن، فلایصیر سبباً للحوادث، بل المتجدد بالذات و مابه التجدد هو امر متبدل الهویة فی الخارج حادث الوجود بالذات.

فاذن قد ثبت ان الطبیعة الجوهریة الفلکیة حادثة الوجود فی کل حین، و انما الحدوث نفس وجودها، و ما کان الحدوث نفس وجوده لایحتاج فی حدوثه الی علة غیر ذات فاعله الجاعل لاصل مهیته، لافی صیرورته حادثاً، لان التدرج فی وجوده من صفاته اللازمة لذاته والصفة الذاتیة للشیء لایفتقر الی جاعل، والذاتی لایعلل.

فاذن قد ثبت ان العالم الجسمانی لاشتماله علی الطبیعة الهیولانیة حادث بجمیع مافیه و مامعه لایتصور له قرار فی آنین و لابقاء فی زمانین ، ولاینقطع ایضاً الی مبدأ جسمانی و لاینتهی کذلك، بل من الله ابتداؤه والی الله انتهاؤه .

و مما یجب ان یعلم ان الحجة المذکورة لایلزم منها وجود حوادث

غير متناهية وجوده، اذ مالا وجود له بالفعل لايوصف باللاتناهي كمالايوصف بالتناهي ايضاً، و فرق بين قولنا : هذه الحوادث ليس لها ابتداء معين على سبيل الحكم السلبي، و بين قولنا: ان الحوادث غير متناهية حكماً ايجابياً عدولياً، اذ الاول لايستدعي وجود الموضوع المحكوم عليه، بخلاف الثاني. فقول من قال : العالم قديم، والحوادث فيه غير متناهية، قول باطل، اذ مالاجمعية له من الاعداد لايوصف باللاتناهي أيضاً، و لابالتناهي الامبلغ حاضر منه في قوة مدركة جزئية. و في الكتاب الالهي آيات كثيرة دالة على دثور العالم وخرابه و اضمحلال وجوده مع بقاء صورها العلمية عند الله القديم جسما رأه كبراء الحكماء واساطينهم الاقدمين ماخلا اصحاب ارسطو و من لحقهم الى يومنا هذا، فان مسئلة حدوث العالم مع اثبات الصانع وتوحيده وتوحيد صفاته احدى المسايل الشريفة التي من الله علينا بتحقيقها و فضلنا على كثير من خلقه تفضيلا، و هي مما استفدناه من كتاب الله و سنة نبيه، صلى الله عليه وآله، لا من الافكار البحثية، «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدينا الله».

اما الايات فمنها قوله تعالى: «بل هم في لبس من خلق جديد» وقوله: «وترى الجبال تحسبها جامدة و هي تمر مر السحاب، صنع الله الذي اتقن كل شيء» فان اتقانها ببقاء ذاتها في علمه تعالى، وحفظه اياها بتوارد الامثال. و قوله: «يوم تبدل الارض غير الارض و السماوات فان لجميع الموجودات الطبيعية حركة جوهرية ذاتية و تحولا من صورة الى صورة ، حتى يقع لها الرجوع الى الله بعد صيرورتها غير نفسها بحسب الصورة السابقة، و تحولها الى نشأة اخرى، ولو كانت هذه الطبايع ثابتة الجوهرية مستمرة الهوية لم ينتقل هذه الدار الى دار الاخرة، و لم يتبدل الارض غير الارض، ولا السموات غير السموات، كما دلت عليه الاية، و لم يرث الله الارض ومن عليها، ولم تصر الارض مقبوضة يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه، كما في قوله تعالى : «والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه» ومنها قوله: «و نفخ في الصور فصعق من في السموات و من في الارض» دل على ان كل ما في السموات والارض يفنى ويزول بالنفخ الاسرافيل

فـي الصور ، وينطوى يوم القيامة فـي يمين الرحمن ، اعنى الجنة العالية تحت قهر الكبريآء و سطوة عالم الجبروت. وانما عبر عـن هذا الفناء بالصعق لا بالموت و نحوه، تنبيهاً على ان لها ضرباً من الحياة عند الله لا عند انفسهم، كمن صار مغمى عليه، فانه زالت عنه الحيوة الحسية وبقى له ضرب من الحيوة فى مقام اعلى من بدنه و قوة حسه و حركته، ولهذا قد يعود ويسرى الحيوة الى اعضائه من ذلك المبدأ النفسانى.

ومنها قوله تعالى : «ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد» وقوله : «ومانحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم و ننشأكم فيما لاتعلمون» و قوله : «يوم يبعثهم الله جميعاً».

والبعث من نشأة طبيعية الى نشأة اخروية لايمكن الا بانقلاب الجوهر و تبدل الذات، لان النشأتين الاولى والاخرة متخالفتان فى النوع متباينتان فى نحو الوجود لا فى الاوصاف والاعراض، والا لم يكن كل منها برأسه عالما تاماً، وقد علمت استحالة تعدد العوالم بالعدد مع اتحادها فى النوع، فاذن جوهر الاخرة نوع آخر من الوجود مباين لجوهر الدنيا، فزوال جوهر نشأة الدنيا دليل على حدوثها، اذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه. فاذاً ثبت ان جميع - الموجودات الطبيعية منبعثة الى نشأة اخرى متوجهة الى الدار الاخرة بالسير الحثيث والحركة الذاتية الجوهرية .

فثبت ان الدنيا دار الانتقال و منزل الارتحال و معبر الى دار القرار و محل الابرار. و منها قوله تعالى: « انا الى ربنا لمنقلبون» ، و قوله تعالى: «يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه» اشارة الى الانتقال الفطرى للجوهر الطبيعى الى الله، و يستوى فى هذا التوجه الذاتى والحركة المعنوية المؤمن والكافر والمطيع والعاصى، اذ كلها مأمور بهذا الاتيان والسفر الى الله والدار الاخرة، و هذا التوجه الطبيعى الى الدار الاخرة لاينافى الشقاوة والعذاب، اذ منشأ العذاب ايضاً تأكد الوجود وفعلية الذات وزوال الالتباس ورفع الغشاوة وكشف الغطاء وحدة البصر كما فى قوله: «فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد» فالنفوس الشقية عند كشف الغطاء ينتبهون من نوم -

الطبيعة و رقدة الدنيا فيطلعون على نتايج معاصيهم و جـهالاتهم و خسران نفوسهم، فيتأذون ويتألمون غاية الاذى والالم، فيلحقهم الندامة والحسرة، و يكون حالهم حال من لسعة العقارب والحيات عند سكرة الشديد والخدر، فاذا زال عنه السكر و افاق عن سكره و خدره، اصبح متألماً متأذياً غاية الالم و الاذى، كماسيأتى توضيحه فى مباحث المعاد.

و بالجملة نشأة الاخرة اشرف من نشأة الدنيا، مع ان عذاب الاخرة اشد واقوى، و امر وادهى، لتأكد الوجود و شدة الادراك وقوة الحس وحدة البصر.

و منها قوله تعالى: «هوالذى خلق السموات والارض فى ستة ايام، ثم استوى على العرش...» هذه الايام ليست من ايام الدنيا التى يتم كل منها فى دورة الشمس بحركة الفلك الاقصى، بل من ايام الاخرة و ايام الربوبية التى كل يوم منها مواز لالف سنة من ايام الدنيا المعدودة لقوله تعالى: «و ان يوماً عندربك كالف سنة مماتعدون» فهذه الستة الايام هى ستة آلاف سنة من زمن آدم عليه السلام مبدأ خلق الكاينات بحسبما يعده اهل التواريخ ويضبطه المنجمون الى بعثة الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله ونزول القرآن، فالله سبحانه اخبر عن خلق المكونات فى هذه المدة، و ذلك لان الحادث التدريجى الوجود زمان حدوثه بعينه زمان ثبوته واستمراره، اذلابقاء له الا الحدوث – التجددى.

فعلم بالبرهان والقرآن جميعاً، ان هذا العالم الجسمانى بكله حادث مسبوق بالعدم الزمانى ولابقاء للجسم الطبيعى، لانه فى ذاته لايخلو عن الحدوث، و مالايخلو فى ذاته عن الحدوث فهو حادث الهوية، تدريجى الذات متغير – الكون، لكن الحقايق النوعية ثابتة الوجود فى علم الله فعلمه تعالى بالاشياء ثابتة غير متغير والمعلومات متكثرة متغيرة، كماان قدرته ازلية والمقدورات حادثة، كما قال الله: «ماعندكم ينفدو ماعندالله باق».

و اعلم ان ايام الالهية غير ايام الربوبية لان اليوم الالهى هويوم ذى المعارج مدته توازى خمسين الف سنة، كما قال: «سأل سائل بعذاب واقع

للكافرين ليس له دافع، من الله ذى المعارج، تعرج الملائكة و الروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبراً جميلا» و قال مشيراً الى يوم الربوبية «يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون» و ذلك لان وراء هذه النشأة الدنياوية نشأتان اخرويتان: احديهما، صورية حسية و هى المنقسمة الى جنة محسوسة و نار محسوسة ، والاخرى ، معنوية و هى عالم الحضرة الالهية ، مرجع الارواح العقلية و الاعيان الثابتة ، ففى كل الف سنة يرتقى الصور الكونية الارضية على التدريج الى عالم النفوس السماوية المدبرة لاجرامها، ثم فى كل سبعة الف سنة و هو اسبوع واحد من ايام الربوبية ينتقل جميع صورما فى السموات و ما فى الارض الى عالم الاخرة ويقوم قيامة وسطى على النفوس بنفخة الفزع، ثم فى مدة خمسين الف سنة و هى سبعة اسابيع التى كل منها سبعة آلاف سنة مع الكبايس والكسورات يقع الفناء الكلى للارواح بنفخة الصعق وينتقل الامر كله الى الواحد القهار .

وبيان ذلك: ان الله خلق الوجود ثلاثة: دنياً وبرزخاً واخرى، فخلق انجسم عن الدنيا والنفس عن البرزخ والروح عن الاخرة، وجعل الوسايط الناقلة لتنوعات عالم الانسان ثلاثة، ملك الموت ونفخة الفزع ونفخة الصعق، فالموت للاجسام ونفخة الفزع للنفوس ونفخة الصعق للارواح، فاذا اراد الله تعالى نقل الانفس من الدار البرزخ حين كمل اليوم البرزخى للادمى و هو سبعة ايام من ايام الربوبية التى كل منها منسوب الى احدى الكواكب السيارة، نقلت الانفس من البرزخ بنفخة الفزع ويعاد اليها الاجسام الدنيوية، قال الله تعالى : «ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الامن شاءالله وكل اتوه داخرين» وقوله : «كل اتوه داخرين» اشارة الى ان نفخة الفزع مختصة بنقل الانفس الى الارواح، و قوله : «ينشئى النشأة الاخرة» اشارة الى ان نشأة اخرى تكون بعد صعق الارواح، حين يقول سبحانه: «لمن الملك اليوم...» فلايجيبه احد و يجيب نفسه لنفسه فيقول : «لله الواحد القهار».

وهذا الصعق هونهاية الاجل المسمى عنده وهوالاجل الروحانى الذى بدؤه قبل الاجسام بالفى عام، و نهايته هذا الصعق المشار اليه، ثم يجيئى هذا الصعق بالنفخة الثانية بمزيد اقتضاء التجلى الاكمل فى المظهر الاعظم للاسماء الالهية الباطنية التى نبه عليها بقوله صلى الله عليه وآله «فاحمده بمحامد لااعرفه الان» .

فعن التجلى الاعظم، ظهر المظهر الاعظم، ومن المظهر الاعظم ظهرت الاسماء الباطنة، و عن ظهور الاسماء الباطنة اتسع العرش ولاتساع العرش تضاعفت الحملة فصارت ثمانية، لقوله: «و يحمل عرش ربك يومئذ ثمانية» وعن تضاعفها بدلت السماء غير السماء والارض غير الارض لقوله : «واشرقت الارض بنور ربها» فتوسعت دائرة دار الاخرة، وعن توسيعها انشىء الانسان انشآء الاخرة الروحانية، فكانت الروح هى المشهودة المباشرة للاحكام والمؤثرة للاثار، والنفس و الجسم من لوازمها وآثارها، والامدادات من الله صارت متصلة بهما بواسطة الروح، و دخل المؤمن الجنة على الخلق القوى وعلى احسن تقويم، فهذا ماجرى على لسان القلم، وان لم يكن مناسباً لطور اهل البحث عصمنا الله عن جحود المنكرين وعناد المستكبرين والله الهادى الى سبيل اهل اليقين و به الاستعاذة من شر الشياطين وجنود ابليس اجمعين.

حكمة ايمانية وحجة قرآنية

الكتب الالهية والايات الكلامية قايلة بان العالم باسره حادث زمانى، لان الغرض من خلق العالم ليس نفسه بل هو اشرف منه، فان الطبايع الجسمانية وما فى حكمها لايمكن ان يكون هى الغاية الاقصى فى الوجود، بل البرهان الحكمى ناهض على ان للطبايع غايات اخرى هى اعلى منها، وكلما هو اعلى من الطبيعة الكونية لايكون وجوده فى هذا العالم بل فى عالم آخر.

فثبت بالبرهان ان هذا العالم باسره واقع تحت الفساد ويلحقه العدم والانقراض، ومايلحقه العدم والانقراض فهو حادث زمانى لامحالة، فالعالم

و كل مافيه حادث زماني، والغرض الاقصى من خلق السموات وادارة الافلاك و تسيير الكواكب و جريان الامور على وفق القضاء الالهى و القدر الربانى بتبليغ الاشياء الى غاياتها الذاتية وخيراتها الاصلية، وازالة شرورها ونقايصها عنها، ليكون العالم كله خيراً محضا لاشر فيه ونوراً لاظلمة فيه وتماماً لانقص فيه ويكون الدين كله لله، اذلاشك ان الدنيا طافحة بالشرور والافات مشحونة بالمحن والالام، و النقايص و الاعدام «يأبى الله الا ان يتم نوره و لو كره الكافرون».

فالغرض من اصل الابداع وجود البارى وفيضه ان يصل كل ناقص الى كماله، وتبلغ المادة الى صورتها، والصورة الى معناها ونفسها، و ان تلحق النفس الى درجة العقل ومقام الروح، وهناك الراحة المطلقة والطمأنينة التامة والسعادة القصوى والخير الاعلى والنور الاتم، وهذا هو المقصد الاقصى واللباب الاصفى فى بناء الارض والسماء وجرى سفينة الهيولى فى طوفان الدنيا، و لاجله مجيء الانبياء و الرسل من ملكوت السماء بالوحى والانباء و الكتاب والدعاء، ليزول الشر وينقرض الظلمة واهلها ويعود الكاينات الى مابدء منه، فيصير لاحقاً به فيتم الحكمة وتصعد الكلمة و تكمل الخلقة ، و تزول الدنيا وتقوم القيامة وتجيء الساعة وينمحق الشر و اهله، وينقرض الكفر و حزبه، ويحق الحق بكلماته ويبطل الباطل. فاحفظ ياحبيبى بهذا العلم المخزون والسر المكنون الذى لايمسه الا المطهرون .

فمن الايات الدالة على دثور العالم وزواله وانقطاعه قوله تعالى : «اذا السماء انشقت، واذنت لربها وحقت، واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت ....» فانشقاق السماء لخروج روحها ونفسها عن مضيق هذه النشأة الناقصة استماعاً واجابة لداعى الحق. ليصير متحققة بالوجود الحقانى بعدالموت عن الوجود الطبيعى والنفسانى، والمعنى، انها فعلت فى انقياد هالله حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذى اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع، انصت له و ادغن ولم يأب ولم يمتنع، كقوله تعالى: «اتيناطايعين» ومد الارض انبساطها وزوال كل اعوجاج وامتناء وعقد و

تضاريس كالجبال الرواسى والاشجار وساير المركبات، والقاء ما فيها من الجثث و الموتى و القشور بنزع صفوها الخالص من عكرها، فالقشر يرمى واللب يرقى، وعند ذلك لم يبق منها عين ولا اثر اذلحق الخير بالخير، و رجع الشر الى البوار. وقوله : «اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت، و اذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت...» هذه كلها اشارة الى تبدل النشأة الطبيعة لجواهر هذا العالم الى النشأة الاخروية، وخروج الارواح من هذه الاجسام العظام الى ماعند الله وقيامها وحشرها الى مبدئها الاعلى. فتكوير الشمس اندراس طبيعتها و نفاد قوتها الجسمانية، لان تلك القوة متناهية وجوداً وتأثيراً، فلابد من انقطاعها، فاذا انصرمت القوة المحركة للجسم، بطلت صورته وزالت حيوته الحسية وبعثت الى الدار الاخرة. وكذا انكدار النجوم دلالة على انطماس طبيعتها بخروج روحها الى الاخرة عند انقطاع آجالها الطبيعية، فان بطلان اللازم و تبدله، لازم لبطلان الملزوم وتبدله، فانكدار النجوم كناية عن زوال نشأتها، وتسيير الجبال، تجديد صورتها بالحركة الجوهرية وتبدلها فى كل آن، وتسجير البحار، احالتها الى النار الاخروية، وتزويج النفوس انما يكون بالعقول اذا كانت من الكاملين المقربين عند استكمالها وخروجها من القوة الروحانية الى الفعل، اوبصور حور العين ان كانت من اصحاب اليمين.

واما النفوس الشقية، فتزويجها يكون بالشياطين، او بالابدان الحيوانية المناسبة لاخلاقهم وملكاتهم البهيمية والسبعية كما فى قوله : «فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا» وقوله : «احشروا الذين ظلموا و ازواجهم وماكانوا يعبدون من دون الله» و قوله: «واخر من شكله ازواج» وقوله : «ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين» و قوله: «اذا السماء انفطرت و اذا الكواكب انتثرت و اذا البحار فجرت» كلمة اذا، يرادبها وقت قيام القيامة. وحينئذ يكون الاجسام الطبيعية مدروسة، وصورتها مطموسة، وبواطنها مكشوفة، وارواحها قائمة، كما ان اليوم بعكس ذلك فان الاجسام هيهنا مشهودة بارزة والارواح كامنة مستورة،

والاجسام محسوسة بالفعل والارواح موجودة بالقوة.

و بالجملة هذه الدار دار الحرث و الزراعة و السعى، و الاخرة دار حصد الثمار والوصول الى نتايج الاعمال والافكار وتولد مواليد الارواح عن بطون امهات الاشباح. قوله: «واذا الصحف نشرت، واذاالسمآء كشطت و اذا الجحيم سعرت واذا الجنة از لفت، علمت نفس ما احضرت».

تنبيه

قوله : «علمت نفس ما قدمت واخرت» كل ذلك اشارة الى فناء الدنيا وانقطاع نشأتها وبروز مكامنها وخروج هويات ما فيها الى النشأة الاخرة .

قاعدة

خلق العالم الكبير وبعثه كخلق العالم الصغير وبعثه «ما خلقكم و لابعثكم الاكنفس واحدة» ولكل منها جسم وروح، فالخلق للجسم و البعث للروح، فكما ان اعضآء البدن واجزآء الشخص متبدلة مستحيلة كاينة فاسدة وروحه باقية، الا انها فى اوايل النشأة ضعيفة الوجود بالقوة شبيهة بالعدم، ثم يخرج فى ايام الحيوة البدنية من القوة الى الفعل ويشتد وجود الروح ويستكمل ويقوى على التدريج ويخرج من القوة الى الفعل و يضعف البدن ويهرم ويكل القوى والالات شيئاً فشيئاً، لان كلها جسمانية شأنها الاستحالة والسيلان والدثور، وهكذا الى ان يفنى البدن ويموت «كل نفس ذائقة الموت» ويبقى الروح راجعة الى ربها «يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية» وانما وصفها بالاطمينان وهو السكون العقلى لان النفس قبل صيرورتها عقلا بالفعل شأنها التغيير والانقلاب، فاذا صارت مطمئنة عقلية رجعت الى بارئها «راضية مرضية»، فكذلك جملة العالم، فان السموات والارض وما بينهما، ابداً فى الانتقال والتبدل من حال الى حال ومن نقص الى كمال،

وخروج ما فيها من النفوس والارواح من القوة الى الفعل على التدريج فى مدة عمر طبيعى للعالم، ودورة كاملة لاجرامها الدوارة فى مدة خمسين الف سنة، فيرجع فى تلك المدة جميع تلك النسب والاوضاع الى ما كانت اولا، لقوله تعالى : «والسماء ذات الرجع»، وقوله تعالى: «تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة» فاذا انقضت المدة وتمت العدة، برزت الى عالم الاخرة حقيقة الدنيا، وخرجت من القوة الى الفعل جميع ما هو مكنون فى قبور الاجسام ومخزون فى صدور النفوس وخزائن الارواح «يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون، الا من اذن له الرحمن وقال صواباً» وكما ان الشخص الادمى اذا عرض له الموت وخرجت روحه من البدن قامت قيامته، لقوله صلى الله عليه وآله: «من مات فقد قامت قيامته» و عندذلك انفطرت سماؤه التى هى ام دماغه، و انتثرت كواكبه التى هى قواه المدركة، وانكدرت نجومه التى هى حواسه، و كورت شمسه التى هى قلبه و منبع انوار قواه وحرارته الغريزية وتزلزلت ارضة التى هى بدنه ، ودكت جباله التى هى عظامه، وحشرت وحوشه التى هى قواه المحركة سيما الغضبية، فكذا قياس موت الانسان الكبير اعنى جملة العالم الجسمانى الذى هو عند الحكماء حيوان مطيع لله تعالى متحرك بالارادة والجبلة، وله بدن واحد هو جرم الكل وطبع واحد سار فى الجميع وهو طبيعة الكل، ونفس واحدة كلية مشتملة على جميع النفوس، وروح كلى مشتمل على جميع العقول و هو العرش المعنوى يستوى عليه الرحمن فبدن العالم وطبيعته هالكتان داثرتان، و امانفسه وروحه الكليتان. فهما محشورتان الى الدار الاخرة راجعتان الى الله قائمتان عنده .

المشهد الثانى

فى تحقيق الانقراض والنهاية واثبات الغاية كالبداية للدنيا وما فيها، وبروز الكل الى الله وخروجها من مكامن هوياتها عند انكشاف استارها، و ارتفاع حجبها و بقاء ما عند الله فى علم الله من الحقايق المتأصلة والاسماء الالهية والاضواء القيومية.

يجب عليك ان تعلم اولا، ان كل هوية عينية سواء كانت واجبة او ممكنة، لابد لها من لوازم عقلية تابعة لذاته من غير جعل وتأثير، واقلها الشيئية و المعلومية و الموجودية و الامكان العام و غير ذلك، سيما الهوية الالهية التى هى اصل الهويات ومنبع الانيات والمهيات، فاذاً الذات الالهية لها اشعة وانوار عقلية ولوازم وآثار، كيف والوجود كله من شروق نوره و آيات ظهوره، وتلك الاشعة والانوار سماها جمهور الفلاسفة بالعقول الفعالة، و المشاؤن اتباع ارسطو سموها بالصور العلمية، وافلاطونيون بالمثل النورية، والصوفية بالاسماء الالهية، وجمهور المتكلمين ذهبوا بالصفات الزايدة ، و المعتزلة قالوا بالاحوال كما قالوا بثبوت المعدومات الخارجية، و تلك الاشعة الالهية كيف يفارق اصلها و منبعها، او يكون اشياء مباينة الوجود مستقلة الذوات، و الا لم تكن اشعة فهى ليست من جملة العالم ومما سوى الله، وانما هى الدرجات الالهية والحجب النورية والسرادقات القدسية، باقية ببقاء الله لابابقائه، موجودة بوجود الله لابوجود انفسهم ولابايجاده ، اذلاجعل ولاتأثير بين الذات و شؤن الالهية.

فمن الايات الدالة على فناء الكل ورجوعها الى الواحد القيوم بحركتها المعنوية وتولى وجهها الى وجه الحق قوله : «متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم» وقوله : «هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون» وقوله : «قل الله يبدء الخلق ثم يعيده، فانى تؤفكون» وقوله: «لكل امة اجل، فاذا جاء اجلهم لايستقدمون ساعة ولايستأخرون» وذلك لان نسبة القيامة الكبرى وهى فناء جميع الخلايق وقيامها عندالله، الى القيامة الصغرى وهوموت كل احد كنسبة الولادة الكبرى اعنى خروج الارواح عن بطن الدنيا الى الولادة الصغرى وهى خروج الجنين عن بطن امه. فكما ان لكل نفس اجل مسمى ولادة وموتاً ، كذلك لكل امة وطائفة بل لجميع الخلايق ميعاد واجل معلوم عندالله. وانما قلنا : معلوم عندالله، لان فهم الناس لايبلغ الى درك هذا الاجل والموعد الاالعرفاء الشامخون والاولياء الكاملون عند تجردهم عن الدنيا، ولوامكن تعليم ذلك لهم لما وقع فى الجواب عند سؤالهم عن وقت قيام الساعة «قل علمها عند ربى» والذى يبلغ فهمهم دركه هوساعة موت الانسان الصغير لاساعة موت الانسان الكبير يعنى القيامة الكبرى. وقوله : «انا نحن نرث الارض و من عليها و الينا يرجعون» و هذه الوراثة و الرجوع انما يتحققان اذا صارت الارض غير الارض بان تصير ارضا حية بيضاء منيرة مشرقة عقلية، كما فى قوله : «يوم تبدل الارض غير الارض» وقوله : «واشرقت الارض بنور ربها» والا فمادامت كثيفة مظلمة ميتة فهى بعيدة المناسبة عن الحضرة الالهية . وقوله : «ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبداً، لقداحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً» اى مجرداً عن الاجسام و عوارضها المادية و اوضاعها الحسية، بل عن انياتهم و هوياتهم المغايرة للحق لاستغراقهم فى بحر الطبيعة وانغمارهم فى الدنيا. وذلك التجرد انما يحصل بالفناء عن هذه النشأة الطبيعية والحشر الى الله والبعث فى القيامة. وقوله : «ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً، فيذرها قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً ولاامتاً» وقوله : «يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب

كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا، انا كنا فاعلين» .

قدمر سابقاً ان هذه الاجسام الطبيعية منشورة فى الدنيا مطوية فى الاخرة، والارواح بعكس ذلك، ولهذا الكلام معنيان .

احد هما، بحسب المقايسة والنسبة، يعنى ان هذه الاجسام وان كانت بالفعل هاهنا، لكنها لقصور وجودها وحقارتها بالقياس الى موجودات عالم الاخرة مقهورة مدروسة، وكذا الارواح وان كانت موجودة بالفعل هناك فهى بالقياس الى مشاعر هذه الادنى، لقصورها واحتجابها يغيب عنها تلك الموجودات الجلية الباهرة.

و ثانيهما، ان هذه الاجسام تستحيل و تتقلب فى حركاتها الذاتية و استحالاتها الجوهرية الى ان تصير منطوية فى صورة عقلية صايراً كل منها روحاً محضاً كما فى الابتداء كانت ارواحاً نازلة الى منال الاجسام، فافهم. وقوله: «يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة...» ففيه استدلال على وقوع النشأة الاخرة بتطورات الانسان فى اطوارها الوجودية على نحو التوجه الى الكمال شيئاً فشيئاً، فلابد لهذه الحركة الرجوعية فى القوس العروجى من غاية اخيرة يقف لديها ويقوم عندها، وتلك الغاية لا يمكن ان يكون من الاكوان الخلقية الطبيعية ،والا لاحتاجت الى غاية اخرى فيتسلسل اويدوروهما محالان، فهى امر اخرى وكون تام خارج عن سلسلة ذوى الغايات من الاكوان الناقصة. قوله : «و هو الذى ذراكم فى الارض واليه تحشرون» وقوله : «افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لاترجعون» .

واعلم ان هذه الحجج القرآنية كما يجرى فى اثبات النشأة الاخرة للانسان كذلك يجرى فى اثباتها لجملة العالم وهو الانسان الكبير، لان العلة مشتركة و هو لزوم الحكمة و ترتب الغاية و بطلان العبث و الجزاف، فان هذه الحسبان المذكور فى قوله : «افحسبتم انما خلقناكم عبثاً» منشأه غطاء على البصيرة يورث الجهل بان لكل خلق فايدة وحكمة، ولكل طبيعة كونية غاية ذاتية، وان لكل اجل كتاباً، ولولم يكن للطبايع الكونية غايات

حقيقية ينتهى اليها وتسكن، لكان معوقاً عن خيراتها، ممنوعاً عن كمالاتها، فيكون وجودها عبثاً معطلا، و لاعبث ولامعطل فى الوجود كما برهن عليه، اذلم يخلق هذه الخلايق مجازفة، بل عن علم وتدبير لفاعل مدبر عليم و صانع حكيم، ومنع الكمال عن مستحقه قصور فى الوجود ونقص فى الاعطاء للوجود، وهوينافى الرحمة الواسعة والجود الاعم الاتم. فعلم ان لكل نقص كمالا ولكل قوة فعلا، وهكذا الى ان يزول النقايص، ويصل كل مخلوق الى اقصى كماله الذى ليس له زوال ولاانقطاع، و يستقر عند ذلك صافياً لبه عن كل دنس وقشر. والعالم الذى فيه لباب الاشياء من غير كدر، عالم آخر غير هذا العالم، اليه رجعى الطاهرات الزاكيات من نفوسنا، وفيه مأوى القادسات الطيبات من عقولنا، وقوله فى النور: «ولله ملك السموات والارض و الى الله المصير» وقوله فى النمل «ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات والارض الا من شاءالله» وهم الذين سبقت لهم هذه القيمة وكل اتوه داخرين. وقد سبقت الاشارة الى ان القيامة قيامتان: قيامة على النفوس بنفخة الفزع، وبها يقع النقل من الصور الى عالم العقول، وقيامة على العقول بنفخة الصعق، وبها يقع الفناء التام وينتقل الامر الى الواحد القهار. وفى العنكبوت «اولم يروا كيف يبدىءالله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير» وقوله: «قل سيروافى الارض فانظرواكيف بدء الخلق ثم الله ينشأ النشأة الاخرة» اى بعد انخلاعه عن كسوة هذا الكون الطبيعى وتحققه بالوجود الاخروى الباقى بابقاءالله، ثم عن لباس الانانية الاخروية وتحققه بالوجود الحقانى الباقى ببقاءالله، وقوله : «يعذب من يشاء و يرحم من يشاء واليه تقلبون» وقوله: «كل نفس ذائقة الموت» موت البدن الذى هومقام وجودها الطبيعى «ثم الينا ترجعون» بعد فنائها عن الوجودين الطبيعى والنفسانى ، وانسلاخها عن الكونين الدنيا والاخرة عند قيامها بوجود الحق. وقوله : «و ما هذه الحيوة الدنيا الا لهو و لعب، و ان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون».

فان من اكتحل عين بصيرته بنور العرفان، وتنور بيت قلبه بسواطع

آيات القرآن، يجد اعيان العالم وصور الكائنات متبدلة وتعيناتها متزايلة مترادفة خلقاً بعد خلق، سيالة طوراً بعد طور الى طريق الاخرة، ولهذا سمى الله تعالى هذا الكون الدنياوى لهواً و لعباً، لان اكوانها متبدلة كالحركة، و المتحرك بما هو متحرك شأنه التأدى الى امر آخر، فاذا نظر اليه مع قطع النظر عمايؤل اليه كان لهواً و عبثاً باطلا. واما الدار الاخرة فلكون وجودها و وجود مافيها وجوداً علمياً و صورة ادراكية بالفعل، وكل صورة ادراكية بالفعل وجودها عين الحيوة، فلامحالة كلما فى الاخرة حيوان محض، حياته عين ذاته، ليست كابدان هذا العالم التى حيوتها عارضة لها واردة عليها من خارج، فهى لامحالة ميتة فى ذاتها تقبل صفة الحيوة من الارواح النفسانية المتعلقة بها.

واما اجساد الاخرة واشكالها فهى بعينها النفوس المتصورة بتلك الصور بحسب ملكاتها واخلاقها المكتسبة، فالجسد والنفس هناك شىء واحد كما يتضح لك فى عالم المعاد و حشر الاجساد انشاءالله. و قوله فى الروم: «ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق» اى بما عندالله من حقائقها العلمية وصورها العقلية، كما اثبتها الاقدمون من الحكماء كافلاطون ومن قبله، واجل مسمى اى بحسب وجودها الطبيعى الكونى، لما علمت مراراً ان هذا الوجود زمانى متدرج فى الكون، والتدرج فى الكون لغاية طبيعية لامحالة، فينقطع بالضرورة لدى الغاية، وتلك الغاية ان كانت من الاكوان الخلقية فيعود الكلام الى غايتها ايضاً، فاما ان يكون لكل غاية غاية ذاتية الى مالانهاية، ففى ذلك ابطال للغاية اذا كان الكل اوساطاً واثبات للعبث والجزاف فى خلق هذا العالم، او ينتهى الى غاية خارجة عن هذه الاكوان الخلقية، وهو المطلوب.

فغاية الاكوان الخلقية اكوان عقلية ينتهى الامر اليه، وقوله: «الله يبدء الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون» اى يوجدهم فى عالم الخلق و التقدير و المساحة. و انما اتى بصيغة المضارع، لما علمت ان وجود كل خلق مسبوق بعدم زمانى ثم يعيدهم الى عالم الاخرة ثم اليه ترجعون بفناء

الكل والصعقة الكلية. قوله : «ومن آياته ان تقوم السماءوالارض بامره» لان قوامها بمباديها العقلية و صورها القضائية الالهية كما ذهب اليه افلاطن ومن قبله، ثم اذا دعاكم دعوة من الارض بانقطاع الاجال وانقضاء الاحوال ونفاد القوى الجسمانية، اذانتم تخرجون من المحابس الكونية والمقابر الطبيعية الى فضاء الاخرة وارض المحشر. وقوله تاكيداً لما سبق وتقريراً: «وهو الذى يبدء الخلق ثم يعيده» فى سلسلة البدو والرجوع، «وهو اهون عليه» لان الرجوع الى الفطرة الاصلية انسب من الخروج عنها. وقوله فى لقمان : «وسخر الشمس والقمر، كل يجرى الى اجل مسمى» كما فى سورة الملائكة تأكيداً وتقريراً «وسخر الشمس والقمر، كل يجرى لاجل مسمى» اى مقدر معلوم عندالله، ولغاية محدودة. والنكتة فى ان قال فى لقمان الى اجل مسمى وفى الملائكة لاجل مسمى، ان الغاية كما حقق فى مباحث العلة والمعلول لها اعتباران : اعتبار انها ما ينتهى اليه الفعل، واعتبار انها ما لاجله الفعل، فبالاعتبار الاول يقع التعدى بالى، و بالاعتبار الثانى يقع باللام، وذلك لان القوى العمالة فى تلك الاجرام العالية قوى جسمانية متناهية الوجود والتأثير، فلابد من وقوفها واندراسها وانتهائها الى غاية عقلية يتصل بها و ينقلب اليها.

وبيان ذلك بوجه اخر عقلى، ان محرك الافلاك ومجرى الكواكب فاعل حكيم وقادر عليم هو ارفع من الطبيعة، مختار فى صنعه وقدرته، وكل فاعل كذلك لابد ان يكون لفعله غرض عقلى وفايدة حكمية تترتب عليه والغرض ان لم يحصل وقتاً من الاوقات ولم يكن مما ينتهى اليه الفعل فلم يكن غرضاً صحيحاً، ومحرك هذه الاجرام العالية يمتنع ان يكون تحريكه اياها عبثاً وجزافاً ،كمال قال : «وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين» فاذن لابدان يكون خلق الافلاك وتحريكها الى غرض واجب البلوغ اليه، واذا بلغ الفاعل بفعله غرضه فسبيله لامحالة ان يمسك عن فعله، فمحرك الافلاك ومجرى الكواكب سبيله ان يمسك عن تحريكها وادارتها ويقطع الفعل والعمل، فاذا امسك عن فعله وعمله وقفت الافلاك عن الدوران و

الكواكب عن الجريان، وقد علمت ان الحركة ذاتية لهذه الطبايع الكونية، فاذا سكنت بطلت وبطل ترتيب الزمان، ووقف الكون والفساد، وانقطع الحرث والنسل، وانتقل الامر الى النشأة الاخرة، كما مر من قوله: «يدبر الامر من السماء الى الارض، ثم يعرج اليه» فى الحركة الرجوعية للموجودات المتعلقة بالمودا فى يوم من ايام الربوبية «مقداره الف سنة» وهذا «يوم الفصل» واما يوم عروج الكل ورجوعهم الى الله فى القيامة الكبرى وهو يوم الجمع و يوم ذى المعارج، فمقداره كما قال الله تعالى: «تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة» وقوله فى الزمر: «و نفخ فى الصور» اى صور الاشياء فى عالم القضاء الحتمى «فصعق من فى السموات والارض الامن شاءالله». وقد مر بيانه.

وفى الحديث عن النبى، صلى الله عليه وآله: «انه يموت اهل الارض حتى لايبقى احد، ويموت اهل السمآء حتى لايبقى احد الا ملك الموت و حملة العرش و جبرئيل و ميكائيل...» قال: «فيجىء ملك الموت حتى يقوم بين يدى الله عزوجل ويقال له: من بقى، وهو اعلم بذلك، فيقول لم يبق الا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل، فيقال: فليموتا جبرئيل و ميكائيل، فيقول الملائكة: و هما رسولاك و امیناك، فيقول: انى قضيت على كل نفس فيها الروح الموت، ثم يجيىء ملك الموت حتى يقف بين يدى الله عزوجل، فيقال له من بقى وهو اعلم بذلك، فيقول لم يبق الا ملك الموت و حملة العرش، فيقول، قل لحملة العرش فليموتوا، قال: ثم يجىء ملك الموت كئيباً حزيناً لايرفع طرفه، فيقال: من بقى فيقول لم يبق الا ملك الموت، فيقال له: مت يا ملك الموت، ثم يأخذ الارض بيمينه و السموات بيمينه، و يقول اين الذين كانوا يدعون معى شريكا، اين الذين كانوا يجعلون معى الهاً، ثم نفخ فيه اخرى، فاذاهم قيام ينظرون....» لتحققهم بالوجود الاخروى الباقى بدلا عن الوجود الدنيوى الداثر وبالوجود التام الحقانى بدلا عن الوجود الناقص الامكانى. قوله فى حمعسق: «الله يجمع بيننا واليه المصير» وفى الزخرف «وانا الى ربنا لمنقلبون» وفى ق: «واستمع يوم يناد المناد

من مكان قريب، يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج». وذلك اليوم ليس من ايام الدنيا، بل من ايام الاخرة. وكذا فى قوله : «يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً». و كذا قوله : «يوم يجمعكم ليوم الجمع لاريب فيه» لان يوم الدنيا يوم التفرقة فى الوجود، ويوم الشك. وكذاقوله: «فيومئذ وقعت الواقعة» لان وقوع الاشياءفيه على الحق واليقين. و قوله: «وانشقت السماء فهى يومئذ واهية» لان وجود الاشياء الطبيعية من حيث صورها المادية الوضعية مضمحلة مدروسة هناك كاضمحلال الظل عند النور و ذوبان الثلج والجمد عند الحرور .

فهذه الايات وامثالها من الايات الكثيرة التى تركنا ذكرها مخافة التطويل، مشيرة الى رجوع هذه الاشياء كلها الى عالم الاخرة، ورجوع اهل الاخرة كلهم الى الحق الاول تعالى. والى زوال هذا العالم بكله و دثور ما فيها من الصور الحسيه وفنائها يوم القيامة ومحو آثارها وتبدل وجودها يوم بروز مكامنها وظهور حقايقها وكشف بواطنها ونشر صحايف نفوسها وكتب اعمالها على رؤس الجمع، وذلك بعد خروجها من مقابرها، وهى مقابر اكوانها التدريجية ومدة حركاتها الاستكمالية فى دارالدنيا التى هى مقبرة ما فى علم الله الكاين في صقع الربوبية قبل الورود فى مقابر الدنيا وبعد الخروج عنها عند انقضاء مدة مكثها الدنيوى.

تنبيه

ان لكل من الروح والجسد والقلب والقالب قبراً حقيقياً. اما قبور القوالب والاجساد فهى مقادير اكوانها التدريجية، واما قبور القلوب و الارواح فالى مأوى النفوس و مرجع الارواح البشرية، وهى سدرةالمنتهى قبل ظهور القيامة الكبرى فالله سبحانه ابدع بقدرته الكاملة دائرة العرش و جعلها مأوى القلوب والارواح، وانشأ بحكمته البالغة نقطة الفرش وجعلها مسكن القوالب و الاجساد، ثم امر بمقتضى قضائه الازلى للارواح و القلوب

العرشية ان تعلقت بالقوالب والابدان الفرشية شطراً من الازمنة والاوقات، فاذا بلغ اجل الله الذى هوآت، وقرب الممات للملاقات والحيوة، رجعت الارواح الى رب الارواح قائلين: «انالله وانا اليه راجعون» وعادت الاشباح الى التراب الرميم: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم».

واما الارواح الكدرة الظلمانية المنكوسة، والنفوس الشقية التى «كفرت بانعم الله» فهى ايضاً قصدت من حضيض الفرش الى ذرى العرش، لكن مع اثقالها واوزارها باجنحة مقصوصة وقلوب مقبوضة وايدى مغلولة بحبائل التعلقات وارجل مقيدة بقيود الشهوات، وكلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار ـ فصاروا منكوسين معلقين بين العرش و الفرش، «ولوترى اذالمجرمون ناكسوارؤسهم عند ربهم».

تنبه آخر

فى موت الانسان الكبير اعنى العالم.

اعلم ان العالم مشتمل على الخلق والامر، والخلق كله هو قالب العالم والامر كله هوروح العالم ثم قوام الخلق بالامر كما ان قوام القالب بالقلب فالتعانق بين الامر والخلق هوحياة الانسان الكبيرو العالم، كما ان التعانق بين الروح والجسد هو حياة الانسان الصغيرو كذا التفارق بينهماهو موت العالم الكبير والقيامة الكبرى، كما ان الافتراق بين الروح والجسدهو موت هذا الانسان والعالم الصغير والقيامة الصغرى، والله خالق الموت والحيوة، كما انه جاعل الظلمات والنور «خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا» فاذا وقعت الواقعة وقامت القيامة، رجع الامر الى الامر اليه، يرجع الامر كله اليه الا الى الله تصير الامور ـ ويعود الخلق الى الخلق «منها خلقناكم و فيها نعيدكم».

قاعدة

فى الخلق و الامر

قال الله تعالى : «الا له الخلق والامر» وقال : «قل الروح من امر ربى، وما اوتيتم من العلم الا قليلا، اتى امر الله فلا تستعجلوه، انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون».

اعلم ان الله خلق عوالم كثيرة، كما ورد فى الخبر بروايات متعددة وفى بعضها انه خلق ثلثمأة وستين عالماً.

قال الشيخ محيى الدين الاعرابى فى الباب الثامن من الفتوحات المكية: «ان فى كل نفس خلق الله فيها عوالم يسبحون الليل والنهار لا يفترون...، وخلق الله من جملة عوالمها عالماً على صورتنا اذا ابصرها العارف يشاهد نفسه فيها، وقد اشار الى ذلك ابن عباس فيما روى عنه فى حديث : هذه الكعبة وانها بيت واحد من اربعة عشر بيتاً، وان فى كل ارض من الارضين السبع خلقاً مثلنا، حتى ان فيهم ابن عباس مثلى» والعوالم وان كانت متعددة، الا ان الجميع مترتبة منتظمة فى سلك واحد متفاوتة باللطافة والكثافة و الظهور والبطون، لما مر من استحالة وجود عالمين متباينين غير منتظم احدهما بالاخر كما بين فى مقامه، والعوالم مع كثرتها منحصرة فى قسمين عالم الامر وعالم الخلق، فعبر عن عالم الدنيا وهو مايدرك بهذه الحواس الظاهرة الخمس بالخلق، لقبوله المساحة والتقدير، وعبر عن عالم الاخرة وهو مايدرك بالحواس الخمسة الباطنة وهى النفس والقلب والعقل والروح والسر بالامر، لانه وجد بامر كن دفعة بلاواسطة شىء آخر، اذ وجوده غير متعلق بالحركات والاستعدادات، فيوجد بمجرد الجهات الفاعلية لا بالجهات القابلية الانفعالية، فكل مايقع فى تصور الفاعل او يخطر بباله يوجد دفعة من غير استعمال الة او تهيؤ قابل، فعالم الامر هو الاوليات العظائم التى اوجدها الله تعالى للبقاء، كالعقل والروح والقلم واللوح والعرش والجنة، وآخرها الكرسى، ولهذا قيل: فرش الجنة الكرسى و سقفها عرش الرحمن.

واما دار الجحيم فهى بوجه من الاخرة : وبوجه آخر من الدنيا ، فانها من حيث تجدد مافيها وتوارد الالام والمحن على اهلها وذوبان جلودهم و تبديلها و تعاقب الكون و الفساد عليها من الدنيا، و من حيث خلودها و دوام العذاب فيها لاهلها هى من الاخرة .

وبالجملة فكل ماكونها الامر القديم كان باقياً ببقاءالله، وماكونه بالوسائط كان حادثاً ناشياً فى عالم الخلق وسمى عالم الخلق خلقاً لانه اوجده الله تعالى بالوسائط من شيء كما فى قوله «وما خلق الله من شيء» فكلما كان مخلوقاً بالوسايط كان قابلا للفناء وانما خلقه للفناء لكونه وسيلة الى غيره. والروح الانسانى وان كان مكونا مع الخلق ولكنه ليس مكوناً بالخلق و لامخلوقاً من شيء فان النفس حادثة مع البدن لابالبدن بل بامر اللهوتكوينه.

وقد بينا فى بعض كتبنا المبسوطة تحقيق حدوث النفس الانسانية المجردة بمالا مزيد عليه، من ان حدوثها بما هى جوهر مفارق ليس مسبوقاً بالمادة، والالم يكن بقائها بعدالمادة، بل البدن شرط تعلقها وتدبيرها وتصرفها، ولهذا يزول التعلق والتدبير والتصرف بزوال البدن. ومن هنا يتبين ان قوله تعالى «قل الروح من امر ربى» انما هولتعريف الروح، عنى به انه جوهر بسيط من عالم الامر والبقاء لامن عالم الخلق والفناء ولهذا عبر عنها بالكلمة فى قوله «وكلمة القاها الى مريم وروح منه» وقوله : «اليه يصعدالكلم الطيب» وانه ليس للاستبهام كما ظنه جماعة، من ان الله ابهم علم الروح على الخلق و استأثره لنفسه، حتى قالوا لفرط جهلهم بمنصب النبوة: ان النبى صلى الله عليه وآله لم يكن عالماً به، جل منصب حبيب الله ان يكون جاهلا بالروح ، مع انه عالم بالله ، وقد من الله عليه لقوله «وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً».

واما سكوته عن جواب السؤال عن الروح وتوقفه انتظاراً للوحى حين سئلته اليهود، فقد كان لغموضه، فرأى فى معنى الجواب دقة لايفهما اليهود، لبلادة طبايعهم، وقساوة قلوبهم و فساد عقايدهم، فان المدرك لايدرك شيئاً ليس من جنسه، فالحس لايدرك غير المحسوسات، والخيال

لايدرك ماوراء المتخيلات، والوهم لايدرك المعقولات، فمن لاعقل له لايدرك المعقولات الصرفة، قال تعالى: «ومايعقلها الاالعالمون» وهم ارباب العقول الكاملة والسايرون الى الله فانهم لما عبروا بالسلوك عن النفس وصفاتها و القلب وصفاته و وصلوا الى مقام السر و عرفوا بعلم السر معنى القلب والنفس والحس كما عرفوا بنور الحس ساير المحسوسات وبنور الخيال المتخيلات وبنور الوهم الموهومات، و اذا عبروا عن السر و وصلوا الى عالم الارواح عرفوا بنور الروح السر، واذا عبروا عن عالم الروح ووصلوا الى ساحل بحر الحقيقة، عرفوا بانوار مشاهدات صفات الجمال عالم الارواح ومادونها، واذا فنوا بسطوات الجلال عن انانية وجودهم ووصلوا الى لجة بحر الحقيقة، كوشفوا بهوية الحق تعالى، واذا استغرقوا فى بحر الهوية الاحدية وبقوا ببقاء الالوهية عرفوا الله بالله، و وحدوه وقدسوه وعرفوا به كل شىء.

وهذا هو مسئول دعاء النبى صلى الله عليه وآله، قال: «رب ارنا الاشياء كما هى» وكان قبل هذا وقت «سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق» فحينئذ وقت «اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد» وهذا مقام «كنت له سمعاً وبصراً ويداً، وبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يبطش» ففى هذه الحالة كيف يبقى لمعرفة الروح حظر عند من له هذه المقامات العلية.

واعلم ان الروح شىء واحد فى ذاته وحقيقته، وتعدده بحسب تعدد النفوس المتصلة به، وكذا عالم الامر موجود واحد بالذات متكثر بحسب جهات الافاضات والايجادات «ومامرنا الاواحدة كلمح بالبصر» وهكذا الكلام، وغير ذلك من الامور الالهية، فان من وراء عالم الخلق وعالم الدنيا وما فيها ومامعها وهو عالم النور، كله مراتب الالهية، كانها طبقات بسيطة متفاوتة فى شدة النورية وضعفها، وكل طبقة منها منطوية مقهورة تحت طبقة اعلى منها، وهكذا الى نور الانوار، فالكل منطوية مطموسة تحت سلطان نوره، وسطوة كبريائه «الا الى الله تصير الامور».

وعالم الخلق طبقاته ظلمات بعضها فوق بعض، وكلما هوا بعد من

عـالم النور فهو اظلم واوحش، وهكذا الـى اسفل السافلين ومهـوى الشياطين والكفرة والمطرودين «ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور» والله خالق الظلمات والنور و جاعل الليل و النهار «وهو الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا» والناس فى اول الخلقة قابل للسلوك الى الجانبين والسير الى السبيلين، اما الى عالم النور و الحياة، و اما الى عالم الموت و الظلمة «الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اوليائهم الطاغوت ،يخرجونهم من النور الى الظلمات اولائك اصحاب النار هم فيها خالدون».

قاعدة

فى كيفية البدو و الاعادة و الاشارة الى سلسلتى الهبوط و الصعود

قال الله تعالى : «هو الذى يبدء الخلق ثم يعيده» يشير الى انه تعالى كما بدء الخلق باخراجهم عن مكمن الامكان الى عالم الارواح ثم اهبطهم من عالم الارواح الى عالم الاشباح عابرين على الملكوت الا على والاسفل من النفوس السماوية والارضية، مارين على الافلاك والانجم والاثير والهواء والماء والارض، الى ان يبلغوا الى اسفل السافلين والهاوية المظلمة اعنى الهيولى والبحر المظلم والقرية الظالم اهلها، وهى نهاية تدبير الامر على ما قال : «يدبر الامر من السمآء الى الارض» ثم يقع الاعادة فى باب الانسانية بجذبات العناية الى الحضرة الالهية من حيث وقع النزول ماراً على المنازل والمقامات التى كانت على ممره بقطع التعلق عنها وترك الانتفاع بها، فانه حالة العبور على هذه المنازل استعار خواصها لاستكمال الوجود الانسانى مادة وصورة وروحاً وجسماً، فصار محجوباً عن الحضرة مشتغلا بالكثرة عن الوحدة، كما فى قوله: «الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر» يعنى الابدان المظلمة لكونها مقابر للارواح، فاذا جاء وقت الرجوع بجذبة ارجعـى الى ربك يرد ما استعار من كل منزل، فان العارية مردودة الى ان يبقى بلاانانية

عارضة ويصفى وجه المرآة عن كل صورة فيتصرف فيه جذبة العناية ويتجلى فى مرآته وجه الحق الباقى، وكان العالم كله كدائرة انعطف اخرها الى اولها، احدى قوسيه نزولية والاخرى صعودية، ولها نقطتان احديهما نهاية اوليهما وبداية اخريهما وهى الهيولى، والثانية بالعكس وهو الانسان الكامل، روح العالم، مظهر اسم الله وخليفة الرحمن، كما قيل :

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد

قاعدة

فى تحقيق الخلافة الالهية

اعلم انه لما اقتضى حكم الالهية الجامعة لجميع الكمالات المشتملة على الاسماء الحسنى و الصفات العليا بسط مملكة الايجاد و الرحمة و نشر لواء القدرة و الحكمة، باظهار الممكنات و ايجاد المكونات و خلق الخلايق و تسخير الامور و تدبيرها، و كان مباشرة هذا الامر من الذات الاحدية القديمة بغير واسطة بعيدة جداً، لبعد المناسبة بين عزة القدم و ذلة الحدوث، فقضى الله سبحانه بتخليف نائب ينوب عنه فى التصرف و الولاية و الايجاد و الحفظ و الرعاية، فلامحالة له وجه الى القديم يستمد من الحق سبحانه، و وجه الى الحدوث يمد به الخلق، فجعل على صورته خليفة يخلف عنه فى التصرف، و خلع عليه خلع جميع اسمائه و صفاته و مكنه فى مسند الخلافة بالقاء مقادير الامور اليه واحالة حكم الجمهور عليه وتنفيذ تصرفاته فى خزائن ملكه و ملكوته، و تسخير الخلايق لحكمه و جبروته، و جعل له بحكم مظهرية اسميه الظاهر و الباطن حقيقة باطنة و صورة ظاهرة. ليتمكن بهما من التصرف فى الملك و الملكوت. فالمقصود من وجود العالم وايجاد الاشياء فيه شيئاً فشيئاً، ان يوجد الانسان الذى هو خليفة الله فى العالم، فالغرض من الاركان ان يحصل منها النباتات، و الغرض من النباتات ان يحصل منها الحيوانات، و من الحيوانات ان يوجد الاجساد البشرية و من

الاجساد البشرية ان يحصل منها الارواح الناطقة، و من الارواح الناطقة ان يحصل خليفة الله فى ارضه، كما دل عليه بقوله: «انى جاعل فى الارض خليفة» فحقيقته الباطنية هى الروح الاعظم، و النفس الكلية وزيره و ترجمانه، و الطبيعة عامله و رئيسه، و العملة من القوى الطبيعية جنوده، و كذلك الى آخره. و اما صورته الظاهرة فصورة العالم من العرش الى الفرش وما بينهما من البسايط والمركبات، فهذا هو الانسان الكبير المشير اليه قول المحققين، العالم انسان كبير. و انما سمى انساناً، لامكان وقوع الانس بينه و بين الخلق برابطة الجنسية و واسطة الانسية و ارادوا بالعالم حقيقة العالم و ذاته و روحه الاعظم اعنى العقل البسيط الذى اندمجت فيه صورة ما فى العالم ظاهره و باطنه، و هو اول ما خلق الله و ابدعه. و اما قولهم: الانسان عالم صغير، ارادوا به الكمل من افراد البشر، و هو خليفة الله فى الارض لقوله فى حق آدم «انى جاعل فى الارض خليفة» و قوله: «يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض».

و الانسان الكبير خليفة الله فى السماء و الارض، و ماهيتهما واحدة، و هذا الانسان نسخة منتسخة و نخبة منتخبة من الانسان الكبير بمثابة الولد من الوالد، فله ايضا حقيقة باطنة و صورة ظاهرة، اما حقيقته الباطنة فالروح الجزئى المنفوخ من الروح الاعظم، نسبته الى ذلك كنسبة الشعاع الى الشمس، فكذلك عقله الجزئى و نفسه الشخصية و الطبيعة الشخصية، و اما صورته الظاهرة فنسخة منتخبة من صورة العالم الظاهر، فيها من كل جزء من اجزاء العالم، لطيفها و كثيفها قسط و نصيب، فسبحان من صانع جمع العالم فى واحد.

من كل شىء لبة و لطيفه، مستودع فى هذه المجموعة و صورة كل شخص كامل نتيجة صورة آدم و حوا، و معناه نتيجة الروح الاعظم والنفس الكلية الذين هما آدم كلى و حواء كلية، و من هذا يصح ان يقول الكامل من اولادهما.

و انى و ان كنت ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهد بابوتى

و كذلك كل واحد من افراد البشر ناقصاً او كاملا كان له نصيب من الخلافة بقدر حصة انسانية، لقوله تعالى: هو الذى جعلكم خلائف فى الارض، مشيراً الى ان كل واحد من افاضل البشر واراذلهم خليفة من خلفائه فى ارض الدنيا، فالافاضل مظاهر جمال صفاته تعالى فى مرآة اخلاقهم الربانية، و هو سبحانه تجلى بذاته و جميع صفاته لمرآة قلوب الكاملين منهم، المتخلقين باخلاق الله، ليكون مرآة قلوبهم مظهراً لجلال ذاته و جمال صفاته، و الاراذل يظهرون جمال صنايعه و كمال بدايعه فى مرآة حرفهم و صنايعهم، و من خلافتهم ان الله استخلفهم فى خلق كثير من الاشياء كالخبز و الخياطة و البناء و نحوها، فانه تعالى يخلق الحنطة بالاستقلال و الانسان بخلافته يطحنها و يعجنها و يخبزها، و كالثوب فانه تعالى يخلق القطن و الانسان يغزله و ينسج منه الثوب بالخلافة، و على هذا قياس فى ساير الصنايع الجزئية و الحرف.

قاعدة

فى الحقيقة المحمدية مظهر اسم الله الجامع الاعظم «يا ايها الناس قد جائكم برهان من ربكم الى قوله مستقيماً»

قد تقرر فى العلوم الالهية ان الحق تعالى برهان على كل شىء كما قال اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد و قد ثبت ايضاً ان المبدء عين الغاية و البداية عين النهاية، و ان الله فاعل كل شىء، و ان الانسان الكامل الذى لا اكمل منه غاية المخلوقات، «لولاك لما خلقت الافلاك»، **فاذن يجب** ان يكون هو البرهان على سائر الاشياء، كما قال وجئنا بك على هؤلاء شهيداً.

و من الشواهد الدالة على هذا المطلب. ان الله اعطى لكل نبى آية و برهاناً و جعل نفس النبى الخاتم برهاناً فقال قد جائكم برهان من ربكم، و ذلك لان برهان الانبياء كان فى اشياء غير انفسهم، مثل برهان موسى فى

عصاه وفي يده، وفي الحجر الذي انبجست منه اثنتاعشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم، و كان نفس النبي برهاناً بالكلية فكان برهان عينه ماقال، لاتسبقوني بالركوع فاني اراكم من خلفي كما اراكم من امامي، و برهان بصره مازاغ البصر وماطغى وقد رأى من آيات ربه الكبرى، وقوله: زويت لي الارض فاريت مشارقها و مغاربها، و برهان سمعه قوله اطت[1] السماء و حق لها ان تئط ليس فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع، و برهان شمه قوله: اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن، و برهان ذوقه قوله: ان هذا الذراع مسموم، و برهان لمسه قوله: وضع الله يده بين كتفي فاحس برده، وبرهان لسانه قوله تعالى: وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى، و برهان بصاقه[2] ماقال جابر: انه امر يوم الخندق لاتخبزن عجينكم ولاتنزلن برمتكم حتى اجيء، فجاء فبصق في العجين وبارك وبصق في البرمة، فاقسم بالله انهم لاكلوا وهم الف حتى تركوه و انصرفوا، و ان برمتنا لتغط[3] كماهي و ان عجيننا ليخبز كماهي، وبرهان تفله انه تفل في عين علي عليه السلام وهي ترمد، فبرء باذن الله يوم خيبر، و برهان يده قوله تعالى: وما رميت اذ رميت و لكن الله رمى، و انه سبح الحصى في كفه، وبرهان اصبعه انه اشار به الى القمر فانشق فلقتين، و كان الماء ينبع من اصابعه حتى شرب منه خلق كثير، و برهان صدره قوله تعالى: الم نشرح لك صدرك، و انه كان له ازيز كازيز المرجل[4] و برهان قلبه انه كان تنام عيناه ولاينام قلبه، و قال تعالى: ما كذب الفؤاد مارأى، و امثال هذه البراهين في مظاهر وجوده المقدس اكثر من ان يحصى.

و اما براهين مطاوي وجوده و قواه المستورة، فمنها برهان قوة

١ــ صوت بالرحام، اي كثرة مافيها من الملائكة قداثقلها حتى اطت، هذا ايذان و مثل بكثرة الملائكة .

٢ــ البزاق .

٣ــ لاشتد غليانها.

٤ــ صوت غليان القدر اي ان جوفه يجيش ويغلي بالبكاء .

حفظه کقوله: سنقرئك فلاتنسی، و برهان قوة علمه قال علی علیه‌السلام: علمنی رسول الله صلی‌الله علیه وآله الف باب من العلم فاستنبطت من کل باب الف باب، و اذا کان حال الولی هکذا فکیف حال النبی المعلم، و اما برهان قوته المحرکة العملیة فلعروجه بجسده النورانی الی اقصی عالم السموات و هو سدرة المنتهی، و بروحه المقدس الی قاب قوسین او ادنی، و اما برهان عقله العملی فقوله: انك لعلی خلق عظیم، و قوله: بعثت لاتمم مکارم الاخلاق.

قاعدة

فی حقیقة الدنیا و الاخرة

قال الله تبارك و تعالی انما الحیوة الدنیا لعب و لهو و زینة وتفاخر بینکم الی قوله و فی‌الاخرة عذاب شدید، و قال: وما الحیوة الدنیا الا متاع الغرور، و قال: انما مثل الحیوة الدنیا کماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الی قوله فجعلناه حصیداً کان لم‌تغن بالامس و قال: کسراب بقیعة یحسبه الظمآن مآء حتی اذا جائه لم‌یجده شیئاً و وجد الله عنده.

و اعلم ان الدنیا من عالم الملك و الشهادة، و الاخرة من عالم الملکوت و الغیب، و ربما قیل: ان الدنیا عالم المحسوسات و الاخرة عالم المعقولات، و هذا غیر سدید عندنا، و انما هو قول جمع من الفلاسفة المنکرین للمعاد الجسمانی، و لوجود الجنة و النار الجسمانیین، و الاجود ان یقال ان الدنیا عالم الکون و الفساد، و الاخرة دار القرار، او یقال: ان الدنیا عالم الظلمات، و الاخرة عالم النور، او یقال: ان الدنیا عالم الموت، و الاخرة عالم الحیوة، و الله تعالی هو الذی خلق الموت و الحیوة و جعل الظلمات و النور، یعنی الدنیا و الاخرة.

و توضیح ذلك علی نسق البرهان العقلی. ان الصورة التی یتعلق بها العلم و الادراك علی ضربین، اما صورة مادیة مغموسة فی المادة، التی شأنها العدم و القوة و قبول الکثرة و الانفصال و التباعد فی الجهات، و

الغيبة و الحجاب و عدم الحضور، حتى ان كل جزء منها يغيب عن صاحبه وليس لها وجود جمعى حضورى، فلم يكن مدركة ولامعلومة ولامحسوسة الا بالتبع لابالذات، فهى مناط الجهل و الموت و الظلمة، و اما صورة مفارقة عن المادة ولواحقها فوجودها وجود حضورى ادراكى، لان وجودها فى نفسها بعينه وجودها لمدركها، سواء كانت صورة جزئية او كلية، محسوسة او معقولة، فهى المدركة بالفعل دائما، و الاولى ليست مدركة بالفعل مالم ينتزع عن مادتها، و القسم الاول هو وجود الدنيا ومافيها، و لايكون لها فى نفسها حيوة الا بامر خارج عنها وارد عليها، والقسم الاخر، هو وجود الاخرة ومافيها، و ان حيوتها ذاتية لها لابامر خارج، و لهذا قال الله تعالى فى حق الدنيا: انما الحيوة الدنيا لهو ولعب، و قال فى حق الاخرة: و ان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون، ولاجل ذلك قيل: ان حال الانسان فى كل مايراه من الدنيا كحال النائم فى المنام عن الرؤيا التى يراها، ماهى الا امثال و حكايات لماهى حقايق موجودة فى الخارج يحتاج الى التعبير.

فالعارف بمنزلة المعبر الذى يعبر عنها بامور اخروية، كما قال سبحانه: و تلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون، و قيل ايضاً: ان الدنيا مرآة الاخرة فانها عالم الشهادة و يرى فيها ما فى عالم الغيب و هى الاخرة.

و ما احسن تشبيه الدنيا بالمرآة، حيث ان سطح المرآة من جهة اللون لاجل الصقالة صار عدمياً، لكنه يصير لاجل صقالته و قوة امكانه مظهراً لما يقابله من الاشكال و الالوان، كذلك الدنيا امر عدمى امكانى حامل للعدم و القوة الامكانية، فصارت مظاهر لما يقابله من عالم الاخرة، فيرى فيها صور الاشياء الثابتة فى عالم آخر على وجه محسوس جزئى، لتطرق النقائص و الاعدام الى تلك الصور من جهة المظهر الدنياوى، فهذا العالم فى الوجود تابع لعالم الغيب، كما ان الصورة فى المرآة تابعة لصورة الناظر، الاترى ان صورتك فى المرآة و ان كانت هى الثانية فى رتبة

الوجود فانها قد صارت اولى فى حق نفسك فانك لاترى نفسك، و ترى صورتك فى المرآة اولا، وربما تغيرت بحسب حال المرآة مستقيمة ومعوجة واحدة و متكثرة، ثم تعرف بها صورتك التى هى قائمة بك لابالمرآة اصلا على سبيل المحاكاة فى ثانى الحال، فانقلب التابع فى الوجود متبوعا فى حق المعرفة، و انقلب المتأخر متقدما، و هذا النوع من الانعكاس و الانتكاس ضرورة هذا العالم، و كذلك عالم الدنيا محاك لعالم الاخرة،فمن الناس من وفقه الله و يسر له النظر و الاعتبار فلاينظر الى شىء من هذا العالم الاويعبربه الى عالم الاخرة، فيسمى عبوره عبرة، وقد امر الله تعالى عباده بهوقال: فاعتبروا يا اولى الابصار، ومنهم من عميت بصيرته فلم‌يعتبر ولم‌يعبر عن هذا الحبس، فاحتبس فى عالم الحس و الشهادة، وسيفتح الى حبسه ابواب جهنم، وهى مشاعره التى كانت تصلح ان تكون ابواباً الى فسحة الجنان ايضاً كماتصلح لان تكون ابواباً الى النيران، و هذا الحبس ممتلى ناراً شأنها ان تطلع على الافئدة، انها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة، الا ان بينه و بين ادراك حرقها و المها حجاب، فاذا رفع الحجاب بالموت ادركها بعين اليقين، و هذه النار موجودة اليوم كما دل عليه قوله تعالى: و ان جهنم لمحيطة بالكافرين، و قوله: وماهم بخارجين من النار، و قوله: اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار، و قد اظهر الله الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا: الجنة و النار مخلوقتان، نظراً الى ظاهر قوله تعالى: و جنة عرضها كعرض السماء و الارض اعدت للذين آمنوا، وقوله: و جنة عرضها السموات و الارض اعدت للمتقين، و قوله: فاتقوا النار التى وقودها الناس و الحجارة اعدت للكافرين، و قوله: النار يعرضون عليها غدوا و عشيا و يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب، و قوله: اغرقوا فادخلوا ناراً، و قوله: يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين.

و هذا هو المروى عن الائمة الطاهرين عليهم السلم، روى قدوة المحدثين ابوجعفر محمدبن‌على بن‌بابويه‌القمى رضى‌الله‌عنه فى عيون اخبار الرضا بسنده المتصل الى عبدالسلام بن صالح الهروى، قال قلت لعلى بن

موسى الرضا عليه‌السلام يابن رسول الله اخبرنى عن الجنة و النار، اهما اليوم مخلوقتان، قال نعم قد دخل رسول‌الله (ص) الجنة ورأى النار لماعرج به الى السماء، قال فقلت له ان قوماً يقولون انهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين، فقال عليه‌السلم: ما اولئك منا ولانحن منهم، من انكر خلق الجنة و النار فقد كذب النبى صلى‌الله عليه و آله و كذبنا، وليس فى ولايتنا على شىء ويخلد فى نارجهنم، قال تعالى: هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها و بين حميم آن، و قال النبى (ص): لماعرج بى الى السماء اخذ بيدى جبرئيل فادخلنى الجنة، فناولنى من رطبها فاكلته فتحول ذلك نطفة فى صلبى، فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام ففاطمة حوراء فكلما اشتقت الى الجنة شممت رائحة ابنتى فاطمه عليها السلام.

و بالجملة الدنيا هى النشأة النارية الداثرة الكائنة الفاسدة، من ركن اليها استحق النار، و الاخرة هى النشأة النورية العلمية الباقية، وهى صورة الجنة ومنازلها، الا انها محجوبة عن هذه الحواس لانغمارها فى البدن الذى هو ايضاً من الدنيا، فمن عرف نفسه و عرف ربه تجرد ذاته عن غشاوة الدنيا و صار من اهل الاخرة و نعيمها، و من لم‌يستكمل ذاته بقوة الايمان و نور العرفان، و لم‌ينتزع صورته عن المادة البدنية، ولم‌يتجرد ذاته عن مقبرة الدنيا و تابوت البدن الذى استحق بذاته ان يصير صندوقا من صناديق الجحيم، فلا نجاة له من عذاب النار، ولاخلاص له منها الى محل الابرار و معدن الانوار.

و العارف يشاهد ببصيرته ان الدنيا ضد الاخرة وانها معدن الجهل و الكفر و منشأ الظلمة و العذاب فى يوم القيامة، و انها مذمومة، شهواتها مهلكة، ظلماتها مغوية، وهى مع ذلك لابد منها لانها مزرعة الاخرة فى حق من عرفها، اذ منها ينشأ بذر الثمرات الاخروية، فمن تزود منها للاخرة و اقتصر على قدر الضرورة فقد حرث و بذر و سيحصد فى الاخرة مازرع، و حقيقة هذه الحراثة هى الايمان و الزهد، اعنى اكتساب انوار المعلومات

و التجرد عن الماديات و الظلمات وهى يخالف حراثة الدنيا، و هى تحصيل المال و الجاه، فلانجاة لاحد الا لمن كان حاله فى الدنيا كحال المسافر الذى يقتصر منها على قدر الضرورة، ولاسعادة لاحد الا لمن قدم الى الله عارفاً به و بملكوته و آيات جلاله و عظمته، و احب الله بقلبه، فان المعرفة و المحبة لاينالان الا بدوام الطلب و الفكر، ولايفرغ القلب اليهما الا بالاعراض عن شواغل الدنيا و الفراغ عن محبة غيرالله، وغير صفاته و افعاله من حيث هى افعاله، فان من احب احداً احب اثاره لاجله.

فانت يا حبيبى ان كنت من اهل البصيرة فقد علمت ان مدار النجاة على الاعراض عن الدنيا و اهلها، و مدار السعادة الحقيقية و التقرب عند الله بالحكمة الالهية التى هى المعبر عنها بالايمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر، و ان لم تكن من اهل الكشف و البصيرة فكن لااقل من اهل التقليد و الايمان بظاهر القرآن، وانظر الى تحذير الله تعالى اياك فى عدد كثير من الايات كقوله: من كان يريد الحيوة الدنيا و زينتها نوف اليهم اعمالهم الاية، و كقوله تعالى: و اما من طغى و اثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى، و كقوله: الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة و يبغونها عوجاً أولئك فى ضلال بعيد، و كقوله: ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من ربهم ولهم عذاب اليم ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة، و قوله: من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً و من اراد الاخرة وسعى لها سعيها الاية، فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الاخرة من خلاق الاية، وفى حمعسق من كان يريد حرث الاخرة نزدله فى حرثه و من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الاخرة من نصيب، و قوله: ان الذين لايرجون لقائنا و رضوا بالحيوة الدنيا و اطمأنوا بها و الذينهم عن آياتنا غافلون اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون، و قوله: زين للذين كفروا الحيوة الدنيا و يسخرون من الذين امنوا و الذين اتقوا فوقهم يوم القيامة، و قوله: تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علواً فى

الارض ولافساداً و العاقبة للمتقين و قوله: واعرض عمن تولى عن ذكرنا و لم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم، و قوله: و ذر الذين اتخذوا دينهم لعباً و لهوا و غرتهم الحيوة الدنيا الاية، ولعل ثلث القرآن فى ذم الدنيا و اهلها.

و فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله «الدنيا ملعون، ملعون مافيها، الدنيا دار من لادار له، الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر، الدنيا جيفة و طالبها كلاب، و ان الله عزوجل لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا، وانه لم ينظر اليها منذ خلقها بغضاً».

قاعدة

فى اللوح و القلم

قال تعالى: ن و القلم وما يسطرون، و قال: اقرء و ربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم، و قال: انه لقرآن كريم فى لوح محفوظ لايمسه الا المطهرون، و قال: يمحوا الله ما يشآء و يثبت و عنده ام الكتاب، و قال: و انه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم.

و فى الخبر ان اسرافيل ملك موكل باللوح ينظر فيه و ينتظر متى يؤمر ان ينفخ فى الصور، و اللوح مجمع علوم الكواين، وقيل اصله من ذهب دفتاه ياقوتتان حمراوان، عرض كل منهما من المشرق الى المغرب، و طوله من العرش الى الثرى، واما القلم فهو درة بيضاء طوله الف سنة.

و فى الاثر: لما خلق الله القلم قال اكتب، قال ما اكتب؟ قال علمى فى خلقى، فجرى القلم بماهو كائن الى يوم القيامة.

و روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله سبق القلم و جف القلم و تم القضاء بتحقيق الكتاب و تصديق بالسعادة من الله و الشقاوة من الله.

و فى كتاب الاعتقادات لابن بابويه القمى رضوان الله عليه، ان اللوح و القلم هما ملكان، فاثباتهما من طريق الخبر و الرواية هكذا، واما طريق الاعتبار و الاستبصار، فالبرهان العقلى يجوز جميع ما ذكروا ولايأبى

عنه، و يشبه ان يكون احداهما و هو القلم جوهراً عقليا بل العقل الكلى و هو العالم العقلى بجملته، و ثانيهما اعنى اللوح جوهراً نفسانياً بل النفس الكلية و هو العالم النفسانى بجملته.

قاعدة

فى العرش و الكرسى

قيل سئل محمد بن الحنفية رضى الله عنه عن الكرسى فقال: فلك البروج، فمن جعله فلك البروج جعل العرش فلك الكل او فلك الافلاك، و ذهبت المشبهة الى ان العرش موضع التدبير و التقدير، و الكرسى موضع التجلى و الزيارة، و ذكروا ان الله ينزل من العرش الى الكرسى فيتجلى للخلق و يقضى بينهم بالحق.

اقول: انما قالوا ذلك و امثاله لاثار بلغت اليهم منقولة عن النبى صلى الله عليه وآله فى هذا الباب، لوعرفوها حق معرفتها لماضلوا و اضلوا،

و قال بعضهم ان العرش مظهر الرب، و الكعبة معلمه، فدعا الله العباد الى مظهره بقلوبهم و الى معلمه بابدانهم، و منهم من قال: ان الله متمكن على العرش وقدماه على الكرسى، جل البارى عن صفات المخلوقين و نعوت المحدثين، و قال بعض ارباب القلوب العرش هو قلب العالم و الانسان الكبير و الكرسى هو صدره، و هذا اصح الاقوال و اسدها و احسنها، و ذلك لان المراد من القلب المعنوى هو مرتبة النفس المدبرة المدركة للكليات، و القلب الصورى مظهرها، و كذا المراد من الصدر المعنوى هو مرتبة النفس الحيوانية المدركة للجزئيات، و هذا الصدر الجسمانى مظهرها، و نسبة استوآء النفس الانسانية على قلبه بالتدبير الى استواء الرحمن على عرشه بالعناية و الرحمة كنسبة القلب الصنوبرى الى العرش الصورى، و كذلك نسبة تصرف النفس الحساسة الحيوانية فى الصدر المحيط بجوهر الكبد لمكان الدم الطبيعى المنتشر فى البدن كله الى تصرف

القوة الملكوتية باذن الله فى الكرسى المحيط بجوهر السموات السبع بانوارها النافذة فى الكل كنسبة الصدر الجزئى الى الكرسى الجسمانى،

و ايضاً نسبة العرش الى الكرسى كنسبة القلم الى اللوح، فالقلم و اللوح جوهران بسيطان عقليان فى عالم الامر، و لكن القلم ابسط و اشرف و اقوى عقلا، و كذا العرش و الكرسى جوهران بسيطان حيان من عالم الخلق، لكن العرش ابسط و انور و اقوى حيوة، و الله اعلم بحقايق اموره و خزاين ظهوره و منازل شهوده و مجالى وجوده.

و قال الشيخ ابو جعفر محمدبن على بن بابويه القمى رضوان الله عليه، اعتقادنا فى اللوح و القلم انهما ملكان كشف الله بهما مخفيات علمه و اطلعهما على علومه الغيبية، و هو قريب مما ذكرناه من انهما واسطتان فى افاضة العلوم من الله على خلقه، و قال عظم الله قدره فى الاعتقاد فى الكرسى: انه وعاء جميع الخلق و العرش و السموات و الارض و كل شىء خلق الله فى الكرسى، و قال وجه آخر: قد سئل الصادق عليه‌السلام عن قول الله عزوجل «وسع كرسيه السموات و الارض»، قال هو علمه، و قال فى الاعتقاد فى العرش: انه حملة جميع الخلق، و العرش فى وجه آخر هو العلم، و سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل «الرحمن على‌العرش استوى»، فقال: استوى من كل شىء فليس شىء اقرب اليه من شىء، و اما العرش الذى هو حملة جميع الخلق فحملته ثمانية من الملائكة، لكل واحد منهم ثمانية اعين كل عين طباق الدنيا، واحد منهم على صورة بنى‌آدم يسترزق الله تعالى لولد آدم، و واحد منهم على صورة الثور يسترزق الله للبهائم، و واحد منهم على صوره الاسد يسترزق الله للسباع، و واحد منهم على صورة الديك يسترزق الله للطيور، فهم اليوم اربعة و اذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية، و اما العرش الذى هو العلم فحملته اربعة من الاولين و اربعة من الاخرين، فاما الاربعة من الاولين فنوح و ابرهيم و موسى و عيسى عليهم السلام، و اما الاربعة من الاخرين فمحمد و على و الحسن و الحسين عليهم السلام، قال: هكذا روى بالاسانيد الصحيحة عن الائمة عليهم السلام، فى العرش و حملته.

المشهد الثالث
فی احکام المخلوقات الواقعة فی سلسلة العود الی الله معاکسة للمبدعات الکاینة فی سلسلة البدو منه تعالی وفیه قواعد:

قاعدة
فی المرکبات الناقصة

اعلم انه اذا وقعت آثار القوی السماویة من الاضواء و الاشعة الکوکبیة وغیرها باذن الله و ملکوته العمالة فی العناصر و المواد السفلیة، فحرکتها و هیجتها، اختلط بعضها ببعض و استحال بعضها الی بعض، حصل من اختلاطها و استحالتها موجودات شتی، فاذا هیج النور الفلکی باسخانه الحرارة، بخر من الاجسام الرطبة المائیة، و دخن مـن الاجسام الیابسة الارضیة، و اثار من البخار و الدخان من مهبطی الارض و الماء واصعده، اما الدخان فقد یتعدی صعوده حیز الهواء الی ان یوافی تخوم النار فیشتعل، وربما یبقی فیه الاشتغال لغلظ المادة الدخانیة، فرای کانه کوکبا فی السماء فیتحرك بمشایعة حرکة الاثیر مدة، و ربما لم یبق فیه الاشتعال بل احترق بسرعة و انطفی و لم یثبت فیه اثر الاحتراق و هو الشهاب الثاقب، و قدثبت فیه اثر الاحتراق، فیری العلامات الهایلة الحمر و السود، و اما البخار الصاعد فمنه مایلطف و یرتفع جداً فیتراکم و یبقی مدة فی اقصی الجو عند منقطع الشعاع فیبرد و یکشف فیقطر فیکون المتکاثف منه سحاباً ماطراً و

المتقاطر مطراً، و منه مايقصر عن الارتفاع لثقله، بل يبرد سريعاً و ينزل، فما يوافيه برد الليل قبل ان يتراكم فهو الطل، و ربما جمد البخار المتراكم فى الاعالى اعنى السحاب فنزل و كان ثلجا، و ربما جمد البخار الغير المتراكم فى الاعالى اعنى مادة الطل فنزل و كان ضعيفاً، و مايسقط بالليل من السمآء شبيها بالثلج، و ربما انجمد البخار بعدما استحال قطرات ماء فكان برداً، وانما يكون جموده فى الربيع، وقد فارق السحاب فى الشتاء و هو داخل السحاب، و ذلك لشدة برد الشتاء و ضعف برد الربيع، و المشهور انه اذا سخن خارجه بطنت البرودة الى داخله فيتكاثف داخله لشدة البرد و استحال ماء و اجمده شدة البرد، وهو كما ترى، و ربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحاباً ثم مطراً.

و اما الجواهر البخارية الدخانية الحاصلة من مادتى الرطوبة و اليبوسة فمنها مايتخلص من الارض فيكون منها الرياح، و اذا تصعدت فيتميز البخار من الدخان، انعقد البخار سحاباً فيبرد و يقلقل فيه الدخان طلباً للنفوذ الى العلو، فحصل من تقلقله فيه ضرب من الرعد، و هو صوت ريح عاصفة فى سحاب كثيف، وربما امتد ذلك التقلقل لكثرة وصول المواد و تكون اعالى الجو اكثف، لان البرد هناك اشد، و تكون هناك ريح مقادمة يعوقه عن النفوذ فيندفع الى اسفل، و قد اشعلته المحاكة و الحركة ناراً تبرق، و تشق السحاب شعلة كجمر يطفى، و يسمع من ذلك ضرب من الرعد، و ان كان قويا شديداً غليظ المادة كان صاعقة، و ربما وجد مندفعاً فيه سهل الانشقاق فخرج بالرعد و اشتعل.

فهذا القدر من الحقايق لاضير فى معرفتها، و الكتاب اشار اليها، ولا شك فى انتهاء اسبابها الى ملائكة السموات و الارضين، ثم الى مدبر الكل تعالى عمايصفه الجاهلون و يعتقده الظالمون من المعطلة و المجسمة.

فللاشارة الى ايجاده تعالى لهذه الكاينات الناقصة بتهييجه لاسبابها قال: هو الذى يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينشىء السحاب الثقال و يسبح الرعد بحمده و الملائكة من خيفته و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء، و

قال: الله الذی یرسل الریاح فتثیر سحاباً فیبسطه فی السماء کیف یشاء و یجعله کسفاً فتری الودق یخرج من خلاله فاذا اصاب به من یشاء من عباده اذاهم یستبشرون، و قوله: الم تر ان الله یزجی سحاباً ثم یؤلف بینه ثم یجعله رکاماً فتری الودق یخرج من خلاله و ینزل من السماء من جبال فیها من برد فیصیب به من یشاء و یصرفه عمن یشاء یکاد سنابرقه یذهب بالابصار یقلب الله اللیل و النهار ان فی ذلك لعبرة لاولی الابصار، و قوله: و هو الذی ارسل الریاح بشراً بین یدی رحمته و انزلنا من السماء ماء طهوراً لنحیی به بلدة میتا و نسقیه مما خلقنا انعاماً و اناسی کثیراً، و قوله: و الله الـذی ارسل الریاح فتثیر سحابا فسقناه الی بلدمیت فاحیینا بهالارض بعد موتها وکذلك النشور، و قوله: و من آیاته یریکم البرق خوفاً و طمعاً و ینزل من السماء ماء فیحیی به الارض بعد موتها ان فی ذلك لایات لقوم یعقلون.

قاعدة

فی خلق انواع المعادن من المرکبات التامة التر کیب، التی لها صور نوعیة حافظة للتر کیب، فاعلة لاثار مخصوصة.

لما اراد الله سبحانه، بمقتضی قضائه الازلی و عنایته ان یجعل فی الارض خلیفة و خلق من هذه العناصر المتضادة الوجود، البعیدة عن عالم القدس و الجود، موجوداً کاملا یصلح لان یکون نائباً من الله فی عمارة النشأتین، و کان لایتصور وجوده من هذه المواد الا بعد تعدیلها و تهذیبها عن الکدورة و الظلمة اللازمة لهذه الاجسام، سیما الارض التی هی العنصر الغالب فیه، فقلبها فی الاطوار، و خمر طینة الغالب بفنون من التخمیرات، فجعلها اولا جمادا، ثم نباتا، ثم حیوانا، و هکذا استوفی درجات هذه الاکوان لیتهیأ منها و یعدها خلقة الانسان، فاول تعدیل و تصفیة وقعت فی هذه المواد بان حصل منها صورة الجماد، قال تعالی: والله جعل لکم مما خلق ظلالا و جعل لکم من الجبال اکنانا و جعل لکم سرابیل تقیکم الحر و

سرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون، و قوله تعالى: الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفاً الوانها و من الجبال جدد بيض و حمر مختلف الوانها و غرابيب سود، و قوله: و هو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك يخرج الموتى لعلكم تذكرون، و قوله: انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً و مما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق و الباطل فاما الزبد فيذهب جفاء و اما ماينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال.

قاعـدة

فى خلقة النبات و الحيوان و الانسان من صفوة العناصر و الاركان.

ان العناصر اذا امتزجت باذن الله و استخدامه للقوى العالية، و خرجت بسبب اعتدال مزاجها عن صرافة تضادها و تعصيها عن قبول الفيض الرحمانى، فتصير قابلة لاثر من الحيوة، فاول ماقبلته من افاضة الله هى الصورة الحافظة لتركيبها، و هى الصورة المعدنية، ثم اذا وقع لها امتزاج اتم و حصل مزاج اعدل و اقرب الى الوحدة و الجمعية قبلت اثرا آخر من آثار الحيوة اشرف، و هى النفس النباتية، شأنها التغذية و التنمية والتوليد، فاذا امتزجت امتزاجاً و حصل لها مزاج اتم و افضل و الى الوحدة الخالصة اميل، تهيئت لقبول اصل الحيوة بعدما استوفت درجات المعادن و النبات بفيضان النفس الحيوانية الشاعرة المحركة بالاختيار، ولها قوتان مدركة و محركة، كما قال: وجائت كل نفس معها سايق و شهيد، فالمدركة منقسمة الى ظاهرة، هى الحواس الخمس المشهورة، و باطنة هى الحواس الخمس الباطنة للحيوانات الكاملة، الحس المشترك و الخيال و المتصرفه والواهمة و الحافظة، و اما القوة المحركة، فمنها الباعثة ذات شعبتيـن، الشهوة و

الغضب، و منها الفاعلة لجذب الأوتار و ارخائها والتها الاعصاب المنشعبة بعضها عن الدماغ و بعضها عن النخاع، وقد جعله الله خليفة الدماغ، و حامل هذه القوى الروح البخارى الذى جعله الله خليفة النفس و رسولا منها الى البدن، و هو الحار العزيزى عند الاطباء، المنبعث اولا من القلب الصنوبرى صورة القلب المعنوى، و اذا لطف جداً حتى يشبه الجرم الفلكى صار محل استواء الروح النطقى المضاف الى الله فى قوله: فاذا سويته و نفخت فيه من روحى.

قاعدة

فى ان الغرض من هذه الموجودات و قواها الطبيعية و النباتية و الحيوانية كلها خلقة الانسان الذى هو غاية خلقة العناصر و الاركان، لانه صفوها و اصلها و خلق من فضالتها و ثفلها ساير الأكوان، فهو الصفوة العليا و اللباب الاصفى وغيره كالقشور لصيانة وجوده عن الافة، و لذلك تزول هى و ترمى، و هو يدوم ويبقى محشوراً راجعاً الى ربه، و الاشارة الى ان كل ما يوجد فى العالم من ساير الاكوان انما خلق لاجل الانسان.

قال تعالى فى باب المعادن و الجماد: و ما ذرأ لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لاية لقوم يذكرون، و قال: هو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا و تستخرجوا منه حلية تلبسونها و ترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون، و فى الارض رواسى ان تميد بكم و انهارا و سبلا لعلكم تهتدون، و قال: و الله جعل لكم مما خلق ظلالا و جعل لكم من الجبال اكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون، و قال: والارض مددناها و القينا فيها رواسى و انبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة و ذكرى لكل عبد منيب، و قال: والارض مددناها و القينا فيها رواسى و انبتنا فيها من كل شىء موزون و جعلنا لكم فيها معايش و من لستم له برازقين، و قال فى باب النبات: الله الذى خلق السموات و الارض و انزل من السماء ماء فاخرج به

من الثمرات رزقا لكم، و قال ايضا فى حقه: هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الاعناب و من كل الثمرات ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون، و قال: ومن ثمرات النخيل و الاعناب تتخذون منه سكراً و رزقا حسنا ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون، و قال فى حق الحيوان: و الانعام خلقها لكم فيها دفء و منافع و منها تاكلون و لكم فيها جمال حين تريحون و حين تسرحون و تحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينة و يخلق مالاتعلمون، و قال ايضاً: ان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها من بين فرث و دم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين، و قال: و اوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا و من الشجر و مما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون، و قال: الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون و لكم فيها منافع و لتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم و عليها و على الفلك تحملون، و قال مشيراً الى ان جميع ما فى عالم الارض مخلوق لاجل الانسان، و خلق لكم ما فى الارض جميعاً، و قال مشيراً الى ان ما فى السماء لاجله، هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نوراً و قدره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب، و قال مشيراً الى ان ايجاد الكل لاجله. و سخر لكم ما فى السموات و ما فى الارض.

فللانسان ان ينتفع بكل ما فى هذا العالم على وجه من الوجوه، اما فى غذائه و فى دوائه، او ملبوساته او مركوباته او زينته او الالتذاذ بشىء منها بصورته او صوته او طيبه او رؤيته، او الاعتبار به و باستفادته العلم منه و الاقتداء بفعله فيما يستحسن منه، و الاجتناب عنه فيما يستقبح منه، و قد نبه الله على منافع جميع الموجودات اما بالسنة الانبياء عليهم السلام، و اما بالهام الاولياء، او بغير ذلك من الاعلامات بالفكر و القياس و الحدس، فحق الانسان ان ينتفع بكل شىء فى السماء و الارض، فقد احسن من قال:

تعلمت من كل شيء احسن مافيه، حتى من الكلب حمايته على اهله، ومن الغراب بكوره فى حاجته، ولايبعد ان يكون قوله تعالى: و اوحى ربك الى النحل الاية تنبيها للانسان على التعلم و الاقتداء بالنحل فى مراعاته لوحى الله تعالى، فكما انها لايتخطى وحى الله فى مجرى المصالح طبعاً، كذا يجب على الانسان ان لايتخطى وحى الله اختياراً.

قاعـدة

فى خلقة الانسان و انه الثمرة العليا و اللباب الاصفى و الغايـة القصوى من وجود ساير الاكوان، و الكلام هاهنا فى مادة وجوده، وسيجيء الكلام فى صورة وجوده.

اعلم ان الطبيعة مالم توف بالمادة جميع درجات النوع الاخس لم يتجاوز بها الى النوع الاشرف، و قد حقق بالبرهان ان الموجود الاشرف يجب ان يندرج فيه جميع المعانى المتحققة فى الموجود الاخس على وجه اعلى و الطف، و قد اشرنا آنفا الى ان العناصر اذا امتزج بعضها ببعض و خرجت بسبب اعتدال كيفياتها عن صرافة تضادها و تعصيها عن قبول الفيض الالهى تصير قابلة لاثر من آثار الحيوة، فاول ماقبلته من افاضة الله هى صورة حافظة لتركيبها مبقية لوجودها باذن الله تعالى، ثم اذا حصل لها امتزاج اتم و اعتدال افضل و اقرب الى الوحدة الجامعة، قبلت اثراً آخر من آثار الحيوة اشرف، و هى النفس النباتية التى شأنها التغذية و التنمية و التوليد للمثل، و اذا امتزجت امتزاجاً اكثر اعتدالا و ارفع قدما من التسفل و التضاد و التفرقة، و اقرب مقاما الى عالم الصفاء و النور، تهيأت لقبول اصل الحيوة بعد ان يستوفى درجات الجمـاد و النبات بفيضان النفس الحيوانية الحساسة المتحركة بالارادة، و اذا لطفت المادة العنصرية جداً حتى تشبه الجرم الفلكى صار محل استواء الروح النطقى الاضافى الذى من الله مشرقه و الى الله مغربه، ففى الانسان شيء كالفلك و شيء كالملك، و بهما جميعاً يصلح عمارة الدارين و يستحق خلافة الله اولا فى العالم الاسفل

الارضى ثم فى العالم الاعلى السماوى، فقد تبين ان وجود الانسان لم يحدث من الله الا بعد استيفاء الطبيعة جميع درجات الاكوان، وطيها منازل النبات و الحيوان، فيجتمع فى ذاته جميع القوى الارضية و الاثار النباتية و الحيوانية، و هذا اول درجات الانسانية التى اشترك فيها جميع افراد الناس، ثم فى قوته الارتقاء الى عالم السماء و مجاورة الملكوت الاعلى بتحصيل العلم و العمل، كما قال تعالى: اليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه، ثم له ان يطوى بساط الكونين و يرتفع من العالمين بان يستكمل ذاته بالمعرفة الكاملة و العبودية التامة، و يفوز بلقاء الله بعد فنائه عن ذاته، و حينئذ يصير رئيساً مطاعاً فى العالم العلوى، مسجوداً للملائكة السماوية، يسرى حكمه فى الملك والملكوت، ويسمع دعائه فى حظيرة قدس الجبروت، قال تعالى فى خلقة بدن الانسان: و لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، فالطين مادته الاولى، لانه الجزء الغالب من عناصره، كالنار فى الجن، و السلالة مادته الثانية مرتبتها مرتبة المعدنيات لكون صورتها حافظة لتركيبها، و لهذا عقب بقوله «ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين»، و قوله «ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً»، اشارة الى المراتب السابقة على الانسانية المشتركة جميع الحيوانات مع الانسان، و قوله: ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين، اشارة الى نحو آخر من الوجود، مخالف الذات و الحقيقة لماسبق من الاطوار السابقة على الانسانية، و هى كلها صور كونية قائمة بالجسم، و هذا نور فائض من الله قائم بذاته، بل بذات الله تعالى، قيام الضوء الوارد على وجه الارض بذات الشمس لابذاته ولابذات الارض بل الارض مظهر قابل لظهوره، و كذلك البدن العنصرى باستعداده مظهر قابل لظهور هذا النور الربانى الذى من الله مشرقه و الى البدن مغربه ومهبطه، و سيرد الى الله يوم طلعت الشمس من مغربها، فتطلع هذه النفس عند خراب القالب الى خالقها و منشأها، و يرجع الى الله اما زاهرة مشرقة، و اما مظلمة منكسفة، و المظلمة ايضاً راجعة الى الحضرة الالهية، اذ مرجع الكل و مصيره اليه، الا انها ناكسة الرؤس

عن اعلى عليين الى اسفل السافلين، و لذلك قال: و لوترى اذا المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم، و قال: كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، و هؤلاء هم المنافقون الذينهم اسوء حالا من الكفار المحضة، لانهم المحجوبون ازلا و ابداً.

و اعلم ان التحقيق يقتضى ان قوله: ثم انشأناه خلقاً آخر مختص ببعض افراد الناس كما ستعلم، و بالجملة ظهران المقصود الاصلى من ايجاد الكائنات هو الانسان الكامل الذى هو خليفة الله، قوله تعالى: و اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة، و قوله: انى خالق بشراً من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين، و قوله: ماخلقت الجن و الانس الا ليعبدون، و قوله، و يستخلفنكم فى الارض، و قوله: و ليعلم الله من ينصره و رسله، وقوله: واستعمركم فيها، كل ذلك اشارة الى انه لايستصلح لخلافة الله و عمارة الدارين الا الانسان الكامل، و هو الانسان الحقيقى مظهر اسم الله الاعظم كما نبه بقوله: انى اعلم مالا تعلمون.

قاعدة

فى ذكر العناصر التى منها تكون الانسان

و اعلم انه ذكر الله تعالى فى غير موضع من القرآن العناصر التى منها اوجد الانسان و نبه على انه جعله انساناً فى سبع درجات، و اشار الى ذلك فى عدة مواضع مختلفة حسبما اقتضت الحكمة، فقال فى موضع «خلقه من تراب» اشارة الى المبدء الاول، و فى آخر من «طين» اشارة الى الجمع بين التراب و الماء، و فى آخر من «حماء مسنون» اشارة الى الطين المتغير بالهواء ادنى تغير، و فى آخر «من طين لازب» اشارة الى الطين المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة، و فى آخر «من صلصال من حماء مسنون» اشارة الى يبسه و سماع صلصلة منه، و فى آخر «من صلصال كالفخار» و هو الذى قد اصلح باثر من النار فصار كالخزف، و بهذه القوة

النارية حصل فى الانسان اثراً من الشيطنة، و على هذا المعنى دل بقوله: خلق الانسان من صلصال كالفخار و خلق الجان من مارج من نار، فنبه على ان الانسان فيه من القوة الشيطانية بقدر مافى الفخار من اثر النار، و ان الشيطان ذاته من المارج الذى لااستقرار له، ثم نبه على تكميل الانسان بنفخ الروح فيه، بقوله: انى خالق بشراً من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحى، ثم نبه على تكميل نفسه بالعلوم و المعارف بقوله: و علم آدم الاسماء كلها، وليس المراد منها صور الالفاظ، بل المعانى و المفهومات، ثم ذكر مادة خلقة الانسان و تقلبها فى الاطوار و تدرجها من حالة الى حالة و من خلق الى خلق، فقال: لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين.

فان قيل لم قال فكسونا العظام لحماً و لم يقل فخلقنا العظام لحماً كما فى السوابق.

قلنا لان النطفة انتهت الى صورة العظم التى هى صورة نوعية جوهرية كغيرها من الاعضاء البسيطة، وليس من شأنها الاستحالة الى شىء آخر الا بعد فساد صورتها، وهى باقية الصورة فى بدن الانسان، و ليس اللحم متكونا من النطفة كالعظم و الرباط و العصب و غيرها، بل انشأ الله اللحم من الغذاء لا من النطفة، و اجراها مجرى الكسوة التى تحصل لامن مادة البدن، و لذلك اذا قطع من الانسان او الحيوان اللحم عاد، و لم يكن كالعظم الذى لايعود بعد قطعه، و كذلك العصب و غيره، وقال ايضا: هوالذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم، «فهذا هو الاشد الصورى و البلوغ الحيوانى» ثم لتكونوا شيوخاً و منكم من يتوفى من قبل «باسباب قدرية مانعة عن الوصول الى حد الشيخوخية»، و الغاية فى هذا المقدار من العمر الوصول الى الاشد المعنوى و البلوغ العقلى، فان هذا الكمال اعنى صيرورة النفس عقلا بالفعل بعدما كانت عقلا بالقوة ينشأ غالباً فى حدود الاربعين و مابعدها كما قال: و لتبلغوا اجلا مسمى و

لعلكم تعقلون، و اردف هذا الكلام بقوله: هو الذى يحيى و يميت فاذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون، اشارة الى الحيوة العقليه النورية، ومقابلها وهو موت الجهل كما فى قوله: او من كان ميتا فاحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات الاية، اشارة الى ان مبدء هذه الحيوة من عالم الامر الذى وجوده بكلمة الله التامة الوجودية، ولايتعلق وجوده بشىء آخر كبدن او مادة او طبيعة او غيرها.

و قال تعالى اشارة الى مبادى تكون الانسان و نفسه: و اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشراً من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين، و هذه التسوية فعل وقع من جانب الله فى محل قابل لفيضان الروح بعد تردده فى اطوار الخلقة بالتسوية و التعديل، وكما ان القابل للصورة النارية لايمكن ان يكون جسما يابساً محضاً كالتراب و الحجر ولا رطبا محضاً كالماء و الشجر الرطب، بل لابد لقبولها من مادة دخانية تحدث من نبات يابس لطيف فتشبث به النار وتشتعل فيه، كذلك الطين، بعد ان انشأه الله خلقا بعد خلق فى اطوار متعاقبة يصير نباتا، فيأكله الادمى فيصير دماً، فينزع القوة المميزة المركوزة فى كل حيوان من الدم صفوه الذى هو اقرب الى الاعتدال و ابعد من الكثرة و التضاد، فيصير نطفة يقبلها الرحم و يمتزج بها منى المرأة فيزداد اعتدالا، ثم ينضجها الرحم بحرارته فيزداد تناسباً حتى ينتهى فى الصفا، و استوى نسبة الاجزاء الى غاية يستعد لقبول النفس و امساكها، كما يستعد الفتيلة الممتزجة بالدهن لقبول النارية و امساكها، ثم هذه النفس الادمية كانها نطفة روحانية وقعت من صلب القضاء فى مشيمة البدن ورحم الدنيا، يحتاج الى تصفية وتعديل الاخلاق والملكات النفسانية، بادهان المعارف و لبوب الاغذية العلمية، لتصير مادة لفيضان الروح الالهى المنفوخ باذن الله فى قالب العقل الهيولانى بعد تطوره بالاطوار الملكية، و التسوية عبارة عن هذه الافعال المرددة لمادة خلقة الانسان فى الاطوار السالكة بها الى صفة الاستواء صورة و معنى.

فالتسوية تسويتان، باحداهما يحصل الانسان البشرى لاجل فيضان

النفس عليه، و بالاخرى يحصل الانسان الملكى بواسطة فيضان الروح الالهى على نفسه، فالتسوية الاولى للبدن و الثانية للنفس، كما قال: ونفس وماسويها فالهمها فجورها و تقويها، و قوله ايضا مشيرا الى مبادى اطوار الخلقة و نهايات كمالها، الذى احسن كل شىء خلقه و بدء خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سويه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع و الابصار و الافئدة، و هذه التسوية المذكوره هاهنا هى التى وقعت من فعل الله بعد خلق الانسان و نسله، و هذا الروح المنفوخ المضاف الى الله هو الروح الامرى الذى من عالم الامر لا النفس التى وقع فيه الاشتراك لجميع الناس، و قوله «وجعل لكم» على سبيل الخطاب لجماعة مخصوصين من هذه الامة المرحومة دال على ان المراد بهذا السمع و البصر و الافئدة ماهى المخصوصة باهل الفضل و الكمال، لا الذين اصمهم الله و اعمى ابصارهم، فهم ممن ليس لهم سمع عقلى و لابصر عقلى ولافؤاد نورانى، فيظهر من هذا ان المراد من الروح المذكور هو الروح العلوى الالهى لا البشرى النفسانى.

ثم اشار الى ان هذا الروح هو المستحق للقاء الله، وهو يكون فى قليل من افراد الناس، و لهذا قال: قليلا ماتشكرون الى قوله «بل هم بلقاء ربهم كافرون» و هذا حال اكثر الناس.

قاعدة

فى فضل معرفة الانسان نفسه

اعلم ان فى معرفة النفس الانسانية اطلاعا على امور كثيرة.

احدها انه بواسطتها يتوصل الى معرفة غيرها، و من جهلها جهل كل ماعداها.

و الثانى ان النفس الانسان مجمع الموجودات كما سيظهر، فمن عرفها فقد عرف الموجودات كلها، و لذلك قال تعالى: اولم يتفكروا فى

انفسهم ما خلق الله السموات و الارض وما بينهما الا بالحق و اجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون، تنبيها على انهم لو تدبروا انفسهم و عرفوها، عرفوا بمعرفتها حقايق الموجودات فانيها و باقيها، و عرفوا بها حقيقة السموات و الارض، ولما انكروا البعث الذى هو لقاء ربهم و قال: سنريهم آياتنا فى الافاق و فى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق، و قال: و فى الارض آيات للموقنين و فى انفسكم افلا تبصرون.

و الثالث ان من عرف نفسه عرف العالم، و من عرف العالم صار فى حكم المشاهد لله تعالى، لانه خالق السموات و الارض، و لم يك كالكفرة الجهلة الذى اتكلهم الله ووبخهم فى جهلهم و انحطاطهم عن هذه المنزلة، فقال فيهم: ما اشهدتهم خلق السموات و الارض و لا خلق انفسهم و ما كنت متخذ المضلين عضداً.

و الرابع انه يعرف بمعرفة روحه العالم الروحانى و بقائها، و بمعرفة جسده العالم الجسدانى و دثورها و فنائها، فيعرف خسة الفانيات الداثرات، و شرف الباقيات الصالحات، كما قال: المال و البنون زينة الحيوة الدنيا و الباقيات الصالحات خير عندربك ثواباً و خير املا.

و الخامس ان من عرف نفسه عرف اعدائه الكامنة فيها المشار اليه بقوله صلى الله عليه و آله «اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك» فيستعيذ منها، كما فى قولهم عليهم السلام: «اللهم الهمنى رشدى و اعذنى من شر نفسى، و قوله: لا تكلنى الى نفسى طرفة عين فاهلك»، و من عرف اعاديه الكامنة و مكايدها و كيفية انبعاثها، احسن ان يحترز منها و ان يجاهدها، فيستحق ماوعد الله به المجاهدين فى سبيله، ومن لم يعرفها فجدير ان يترا آى له عدوه الذى هواه بصورة العقل، فيسول له الباطل بصورة الحق، كما قال: أرأيت من اتخذ الهه هواه، و قوله: فطوعت له نفسه قتل اخيه، و كما ورد فى قوله صلى الله عليه و آله: الهوى شيطان، و قوله: الهوى اله يعبد من دون الله، وروى ايضا انه قال: ماعبد فى الارض اله ابغض الى الله تعالى من الهوى، ثم تلا ارايت من اتخذ الهه هويه.

و السادس ان من عرف نفسه عرف ان يسوسها، و من احسن ان يسوس نفسه و جنودها احسن ان يسوس العالم فيستحق ان يصير من خلفاء الله تعالى المذكورة فى قوله تعالى، و يستخلفنكم فى الارض، و من الملوك المذكورة فى قوله: وجعلكم ملوكاً.

السابع ان من عرفها لم يجد عيباً فى احد الا رآه موجوداً فى ذاته، اما ظاهراً مشهوداً و اما كامناكمون النار فى الحجر، فلايكون غياباً همازاً لمازاً معجباً متفاخراً، فان كل عيب ترا اى له من غيره وجده فى نفسه، ومن ترا اى له عيب نفسه فجدير به ان يكون ممن دعا له النبى صلى الله عليه و آله بقوله: رحم الله من اشغله عيبه عن عيب غيره.

و الثامن ان من عرف نفسه فقد عرف ربه، وقد روى انه ما انزل الله كتابا الا وفيه، اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك، و فى الخبر ثلاثة تأويلات.

احدها ان بمعرفة النفس يتوصل الى معرفة الرب، كقولك: اعرف العربية تعرف الفقه، اى بمعرفة العربية يتوصل الى معرفة الفقه، و ان كان بينهما وسائط.

و الثانى انه اذا حصل معرفتها حصل بحصول معرفتها معرفة الله بلافاصل، كقولك: بطلوع الشمس يحصل الضوء، مقترناً بها و بطلوعها غير متأخر عنه بزمان.

و الثالث ان معرفة الله ليست تحصل الا ان تعرف النفس، لانك اذا عرفتها على الحقيقة تعرف العالم، و اذا عرفت العالم تعرف الحق تعالى.

و فيه وجه رابع و هو انك اذا عرفت النفس فقد عرفت الرب، و هذا هو الغاية فى معرفته، لايمكن لك فوق هذه المعرفة، و اليه الاشارة بما قال على عليه السلام: ان العقل لاقامة رسم العبودية لا لادراك الربوبية، ثم تنفس الصعداء و انشاء يقول.

كيفية النفس ليس المرء يدركها فكيف معرفة الجبار فى القدم
هو الذى انشأ الاشياء مبتدعاً فكيف يدركه مستحدث النسم

و قوله تعالى: و لاتكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم، تنبيه على انهم لو عرفها انفسهم لعرفوا الله، فلما جهلوا دل جهلهم اياه على جهلهم انفسهم.

قاعدة

فى الاشارة الى قوى الاشياء التى جمعت فى الانسان

قد جمع الله فيه قوى العالم، واوجده بعدوجود الاشياء التى جمعت فيه، قال تعالى تنبيها على ذلك، الذى احسن كل شىء خلقه وبدء خلق الانسان من طين، فانه تعالى اوجد فيه بسايط العالم و مركباته و روحانياته و جسمانياته و مبدعاته و مكوناته، فالانسان من حيث انه جمع فيه جميع ماوجد فى العالم من اقسام الجواهر و الاعراض والبسائط و المركبات والارواح والاجسام هو العالم و من حيث انه صغر شكله و جمع فيه قوى العالم، فهو كالمختصر من الكتاب و النسخه الموجزة المنتخبة منه، لان المختصر الموجز من الكتاب هو الذى قلل لفظه و استوفى معناه، و الانسان هو هكذا اذا قابلناه مع العالم، و من حيث انه صفوة العالم ولبابه و خلاصته و ثمرته فهو كالزبد من المخيض و الدهن من السمسم و الزيت من الزيتونة، و معرفة الله فيه اذا حصلت فكنور المصباح اذا اشتعل الزيت، قال تعالى: مثل نوره، اى فى قلب المؤمن كما فى قراءة ابن مسعود كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الاية، فالمشكوة البدن، و الزجاجة الروح الحيوانى التى هى بمنزلة المرآة لصفائها و قبولها لصور المحسوسات، التى هى عكوس الصور الحقيقية و اشباحها المثالية، و الزيت القوة القدسية التى هى افضل ضروب العقل الهيولانى، و هو اول درجة النفس الناطقة و آخر درجة النفس الحساسة، و هو بعينه القوة الخيالية عندنا، لانها ايضاً مجرد عن البدن موجودة لا فى عالم الطبيعة، بل فيما فوق هذا العالم، و الشجرة المباركة هى القوة الفكرية التى هى افضل ضرب من القوة الخيالية، لانها اذا قويت تصير متفكرة.

فاذن نقول فی بیان ان الانسان مطابق للعالم، ان فیه اشیاء هی امثال ما فی العالم الکبیر، ففیه اشیاء کالعناصر من حیث مافیه من الحرارة و البرودة و الرطوبة و الیبوسة، او من حیث مافیه الدم و البلغم و الصفراء و السوداء، و الیه الاشارة بقوله تعالی: انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج، ای مختلطة من قوی امور مختلفة، و فیه اشیاء کالمعادن و الجبال من حیث مافیه من العظام و الاعضاء، و شیء کالنبات من حیث مایتغذی و ینمو و یولد، و شیء کالبهیمة من حیث مایحس و یتخیل و یلتذ و یتألم و یشتهی و یغضب، و شیء کالسباع من حیث مایحارب و یصول، و کالشیطان من حیث مایغوی و یضل، و کالملائکة من حیث ما یعرف الله و یعبده و یهلله و یحمده و یسبحه و یقدسه، و کاللوح المحفوظ لقوة حفظه لمدرکات الاشیاء او من حیث ماجعله مجمع الحکم التی کتبها فیه علی سبیل الاختصار.

و قد ذکر بعض الحکماء ان فی بدن الانسان اربعة آلاف حکمة و فی نفسه قریباً من ذلك، و کالقلم من حیث ما یستحضر و یستثبت صور المعقولات فی نفسه علی وجه التفصیل بقوة عقله البسیط الذی کمن فیه الکل علی وجه الاجمال، او من حیث ما یثبت بکلامه صور الاشیاء فی قلوب الناس، کما ان القلم یثبت الحکم و العلوم فی اللوح المحفوظ و قلوب الملائکة، ولاجل صحة المطابقة بین الانسان و العالم قال: ماخلقکم ولابعثکم الا کنفس واحدة.

قاعدة

فی ذکر تکون الانسان شیئا فشیئا حتی یصیر انساناً کاملا

الانسان یتکون اولا من امر عدمی، و هی قوة هیولانیة، و الیه الاشارة هل اتی علی الانسان حین من الدهر لم یکن شیئا مذکورا، و یتکون ایضا جماداً میتا، لقوله تعالی: کنتم امواتا فاحیاکم، و ذلك حیث کان تراباً و طیناً و صلصالا و نحوها، ثم یصیر نباتا نامیاً لقوله تعالی: و الله انبتکم من الارض نباتاً، و ذلك حیث ماکان نطفة و علقة و مضغة، ثم یصیر حیوانا

لقوله: فجعلناه سميعاً بصيراً، ثم يصير انسانا بشرياً متفكرا متصرفا فى الامور، لقوله: انا هديناه السبيل اما شاكراً و اما كفوراً، و قوله: اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا، ثم يصير انساناً معنوياً ذانفس ناطقة، لقوله: ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين، ثم يصير ان ساعده التوفيق و العناية جوهراً قدسيا و روحاً الهياً، لقوله: فاذا سويته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين.

و اول مايظهر فيه قوة النزاع الموجودة فى النبات و الحيوان و هو الميل الى الملايم ميلا بالطبع، ثم قوة تناول الموافق و دفع المخالف، و هى قوة الشهوة و النفره، ثم الاحساس ثم التخيل ثم التصور ثم التفكر ثم التعقل النفسانى التفصيلى ثم العقل البسيط الاجمالى، لكنه لم يصر انسانا الا بالفكرة و بالعقل الذى به يتميز فى الجملة بين الحلال و الحرام فى الافعال، و بين الخير و الشر فى الذوات، و الجميل و القبيح فى الصفات، و هو اول درجة الانسانية.

و الى العقل اشار بقوله تعالى: و صوركم فاحسن صوركم، فالانسان صار بعقله معدن العلم و مركز الحكمة، و وجود العقل فيه فى ابتداء الامر بالقوة، كوجود النار فى الحجر المحتاج فى ان يورى الى القدح وكوجود النخل فى النواة المحتاج فى ان يثمر الى غرس وسقى، و نفس الانسان واقعة بين عالمين عالم الملكوت و عالم الملك، بل بين قوتين قوة العقل و قوة الشهوة، فبقوة الشهوة يحرص على تناول اللذات و المشتهيات البهيمية و السبعية، وبقوة العقل يحرص على تناول العلوم الحكمية والافعال الجميلة، و الى هاتين القوتين اشار بقوله: انا هديناه السبيل اما شاكراً و اما كفوراً، و الاغلب على اكثر الناس هى قوة الشهوة و الميل الى الدنيا، و لذلك قال تعالى: كلا بل تحبون العاجلة و تذرون الاخرة، و لذلك قال صلى الله عليه و آله: حفت الجنة بالمكاره و حفت النار بالشهوات، ولاجله لايستغنى اكثر الناس فى سلوك طريق الاخرة عن سياسة قاهر زاجر اياه، حتى وردانه قال عليه السلام: يا عجباً لقوم يقادون الى الجنة بالسلاسل.

و بالجملة فذات الانسان من حيث ما اجتمع قوى جميع الموجودات صار معدن آثارها و مجمع حقايقها، مستودعاً فيه معانى العالم، و كانه مركب من جماد و نبات و بهائم و سباع و شياطين و ملائكة، و لذلك يظهر فى شعار كل واحد منها، فيجرى تارة مجرى الجمادات فى الكسل و قلة التحرك و الانبعاث، و على هذا نبه بقوله: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة، وقد يظهر فى شعار النباتات الجميلة و الذميمة، فيصير اما كالاترج فى لونه و طيبه و طعمه، او كالنخل و الكرم فى المنافع، او كالحنظل فى خبث المذاق، و كالكشوث[1] فى عدم الخير، و على هذا نبه بقوله: مثل كلمة طيبة و مثل كلمة خبيثة الاية، و يظهر تارة فى شعار الحيوانات المحمودة او المذمومة، فيصير اما كالنحل فى كثرة منافعه و قلة مضاره و فى حسن سياسته، كما فى قوله تعالى: و اوحى ربك الى النحل الاية، او كالخنزير فى الشره، او كالذئب فى العيث[2]، او كالكلب فى الحرص، او كالنمل فى الجمع و الادخار، او كالفارة فى السرقة، او كالثعلب فى المراوغة[3]، او كالقرد فى المحاكاة، او كالحمار فى البلادة، او كالثور فى الاكل، و الى هذا النحو من المشابهات دل بقوله تعالى: و ما من دابة فى الارض و لاطائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم، و يظهر تارة فى صفات الشياطين و يسولا لباطل فى صورة الحق كما دل بقوله تعالى: شياطين الانس و الجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا.

و افضل قوة فيه التى بها يستحق خلافة الله فى العالم هى القوة العقلية، و اشرف صفاتها التى بها يفوق على الملائكة كلها هى العلم و الحكمة، كما جعل الله النبات زبدة العناصر و الحيوان زبدة النبات، و جعل الانسان سلالة العالم و زبدته، و هو المخصوص بالكرامة، كما قال: و لقد

۱ــ نبات محبتث مقطوع الاصل وهو اصفر يتعلق باطراف الشوك وغيره و الذى يركب النباتات الزارعية .

۲ــ عاث الذئب فى الغنم اى اسرع فى افساده .

۳ــ خادعه اى على وجه المكر .

کرمنا بنی آدم الایة، فکذا جعل قوة العقل و المعرفة غایة وجود الانسان و الغرض منه، اذ لیس فضل الانسان بقوة الجسم، فالفیل و البعیر اقوی منه اجساماً، ولا بطول البقاء فی الدنیا، فالنسر و الفیل اطول منه عمراً، ولا بقوة الغضب و شدة البطش، فالاسد و النمر منه اشد بطشا، ولا باللباس و الزینة، فالطاوس و الدراج احسن منه لباساً، ولابقوة النکاح، فالحمار و العصفور اقوی منه نکاحاً، ولا بکثرة الذهب و الفضة، فالمعادن و الجبال اکثر منه ذهبا و فضة، وما احسن قول الشاعر.

لولا العقول لکان ادنی ضیغم ادنی الی شرف من الانسان
لما تفاضلت النفوس و دبرت ایدی الکماة عوالی المران

و لیس فضل الناس علی غیره بعنصره الموجود منه، کما زعم ابلیس اللعین حیث قال: خلقتنی من نار و خلقته من طین، بل ذلك بما خصه الله تعالی من المعنی الذی ضمنه فیه، و الامر الذی اعطاه له وبه استحق سجدة الملائکة، فاشار الیه بقوله تعالی: فاذا سویته و نفخت فیه من روحی فقعوا له ساجدین، و الملئکة لما تنبهوا بذلك فاذعنوا و سجدوا له، کما امرهم الله، و ابلیس لما نظر ظاهر آدم و مبدء امره تغلظ و تعامی فیما ذکره الله تعالی، ولم یتأمل المعنی الذی ضمنه الله فیه، و العاقبة التی حوله الله الیها ابی و استکبر، و قد اقتدی بابلیس الکفار فی رد الانبیاء حیث «قالوا ما هذا الا بشر مثلکم یرید ان یتفضل علیکم»، و قوله: وما لهذا الرسول یأکل الطعام و یمشی فی الاسواق، و نبه الله تعالی ان الاعتبار بفضلهم لیس بظاهر ابدانهم، و انما ذلك لمعنی مستودع فی نفوسهم تعمی الکفار عنها فقال: و تریهم ینظرون الیك و هم لایبصرون، ای لایعرفون ما فضلهم الله به «ومن یؤت الحکمة فقد اوتی خیراً کثیراً وما یذکر الا اولوا الالباب ذلك فضل الله یؤتیه من یشاء و الله ذوالفضل العظیم»..

قاعدة

فی تفاوت افراد الناس و اختلافهم

الاشياء كلها متساوية غيرمتفاوته من حيث انها مصنوعة بحكمة صانع واحد حكيم، و على ذلك نبه بقوله تعالى: ماترى فی خلق الرحمن من تفاوت، و ذلك لاشتراكها بقبول فيض الرحمة و الجود، ولاتفاقها فی التوجه الى جانب الحق المعبود، ولكن يختلف من حيث ان كل نوع يختص بمعنى معين و حد محدود، بعد اتفاقها فی الاتصاف بالوجود، فاختلاف الماهيات انما نشأ من اختلاف مراتبها فی القرب و البعد من منبع الوجود و معدن الفيض و الجود، وكذلك يختلف افراد ماهية واحدة بعد اتفاقها فی النوع بامور لاحقة لها مخصصة لافرادها، ثم لاشیء من افراد نوع واحد اكثر اختلافاً و تفاوتا من افراد البشر، كما قال تعالى: وقد خلقكم اطوارا، و قال: و رفعنا بعضكم فوق بعض درجات، و قال: انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض و للاخرة اكبر درجات و اكبر تفضيلا.

و اعلم ان اختلاف افراد الانسان بحسب هذه النشأة اختلاف بالعوارض، و بحسب النشأة الاخروية اختلاف بالذاتيات، و تحقيق ذلك موكول الى بعض كتبنا، و سنشير اليه فيما سيأتی من احوال المعاد، و قال: ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيا آتيكم، و قال: ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك.

و اعلم ان الحكمة مقتضية لاختلاف الناس فی هذه النشأة، و ذلك لان الانسان لما كان غير مكفی بتفرده لان يعيش، حتى لو ان انساناً حصل وحده لامتنع او تعذر بقاؤه ادنى مدة، فان اول مايحتاج اليه مايغذوه وما يواريه، و ليس يجد ما يغذوه مطبوخا، ولامايواريه مصنوعا، كما يكون لكثير من الحيوانات بل هو مضطر الى اصلاحهما، و اصلاح شیء منهما يحوجه الى آلات غير مفروغ عنها، و الانسان الواحد لاتوصل له الى اعداد جميع مايحتاج لتعيش به المعيشة الحميدة، فلم يكن بد للناس ممن

يشارك و يعاون، فجعل لكل قوم صنعة و هيئة مفارقة للصنعة الاخرى و هيآتها، فقسمت الصناعات بينهم كما قال: نحن قسمنا بينهم معيشتهم،فيتولى كل صنعاً من الصناعات فيتعاطاه باهتزاز، كما قال: فتقطعوا امرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون، فاقتضى ذلك ان يختلف جثثهم و قواهم و هممهم و اغراضهم، ليكون كل ميسراً لما خلق له، و قال: قل كل يعمل على شاكلته، فيكون معايشهم مقتسمة بينهم كما نبه تعالى بالايات المتقدمة و يمثل قوله: ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة، فالناس اذا اعتبروا من حيث اختلاف اغراضهم و دواعيهم و هممهم فهم فى تعاطى صناعاتهم فى حكم المسخرين، و ان كانوا فى الظاهر من المختارين، و قد وقعت الاشارة الى ما يتعلق بالمصلحة بتباين الناس فى ما روى انه قال صلى الله عليه وآله: لايزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا.

تذكرة فيها تبصرة

و اعلم ان اسباب تفاوت الناس فى الصنايع و الاغراض امور سبعة.

اولها اختلاف الامزجة و تفاوت الطينة واختلاف الخلقه، كما اشير اليه فيما روى «ان الله لما اراد خلق آدم امران يؤخذ قبضة من كل ارض فجاء بنو آدم على قدر طينتها الاحمر و الابيض و الاسود و السهل والحزن و الطيب و الخبيث»، و الى هذا اشار بقوله: و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه و الذى خبث لايخرج الا نكداً، و بقوله: هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء.

و ثانيها اختلاف احوال الوالدين فى الصلاح و الفساد، و ذلك ان الانسان قد يرث من ابويه آثار ماهما عليه من جميل السيرة او قبيحها، كما يرث تشابههما فى خلقتهما، و لهذا قال تعالى: و كان ابوهما صالحاً، و على نحو ماروى انه قال فى التوراة انى اذا رضيت باركت، و ان بركتى

لتبلغ البطن السابع، و اذا سخطت لعنت و ان لعنتى لتبلغ البطن السابع تنبيهاً على ان الخير و الشر الذى يكتسبه الانسان و يتخلق به يبقى اثره موروثا الى البطن السابع.

و الثالث اختلاف مايتكون منه النطفة التى تكون منها الولد، ودم الطمث الذى يتربى به، فلذلك تأثر بحسب طيب مايكونان منه و خبثه، و لهذا قال صلى الله عليه و آله: تخيروا لنطفكم، و قال: الناكح غارس فلينظر اين يضع غرسه، و قال: اياكم و خضراء الدمن قيل و ما خضراء الدمن، قال: المرئة الحسناء فى منبت السوء.

و رابعها اختلاف ما يتغذى به من طيب الرضاع و طيب المطعم الذى يتربى به، و لتأثير الرضاع الطيب ورد فى الحديث «الرضاع يغير الطباع»، و يقول العرب لمن تصفه بالفضل «لله درك».

و خامسها اختلاف احوالهم فى تأديبهم و تلقينهم و تعويذهم العادات الحسنة و القبيحة، فحق الوالد ان يأخذ الولد بالاداب الشرعية، و اخطار الحق بباله، و تعويده فعل الخيرات، كما قال صلى الله عليه و آله: مروهم بالصلوة لسبع، و اضربوهم لعشر، و يجب ان يصان عن مجالسة الارذياء فى حال صباه، فانه كالشمعة يتشكل بكل شكل، و ان يحسن فى عينه الكرامة و الشرف و المدح، و يقبح عنده المهانة و المذلة و الخسة و الذم، و يعوده مخالفة الشهوة و مجانبة الهوى، قال بعض الحكماء: من سعادة الانسان ان يتفق له فى صباه من يعوده تعاطى الشريعة، حتى اذا بلغ الحلم و عرف وجوبها فوجدها مطابقة لمايعودها قويت بصيرته ونفذت فى تعاطيها.

و سادسها من يتخصص به، فيأخذ طريقة فيما يتمذهب به.

و سابعها اختلاف اجتهاده فى تزكية نفسه بالعلم و العمل حين استقلاله بنفسه.

فالفاضل التام الفضيلة من اجتمعت له هذه الاسباب المسعدة، و هو ان يكون طيب الطينة معتدل الامزجة، جاريا فى اصلاب آباء صلحآء ذوى امانة و استقامة، متكونا من نطفة طيبة و دم طمث طيب على مقتضى الشرع،

و مرتضع بدر طيب، مأخوذاً فى صغره من قبل مربية بالاداب الصالحة، و بالصيانة عن مصاحبة الاشرار، و متخصصاً بعد بلوغه بمذهب حق، و مجتهداً بنفسه فى تعرف الحق مسارعاً الى الخير فمن وفق فى هذه الاشياء يجمع فيه الخيرات من جميع الجهات، كما قال تعالى: لاكلوا من فوقهم و من تحت ارجلهم، و يكون جديراً ان يعد ممن وصفه الله تعالى: و انهم عندنا لمن المصطفين الاخيار، و الرذل التام الرذيلة، هو من يكون بعكس ذلك فى الامور التى ذكرناها.

قاعدة

فى ان افراد البشر ذوات نفوس حيوانية جزئية مجردة كلها عن البدن الطبيعى لا عن الصورة المثالية

اعلم ان لكل من افراد البشر قوة خيالية يحضر عندها الصور الادراكية الغير الموجودة فى مواد هذا العالم، اذ ليست هى ذوات جهات و اوضاع واحياز من هذا العالم الطبيعى، و كل قوة هذا شأنها فهى مجردة الذات عن المواد الطبيعية، فلكل من افراد البشر خيال بالفعل، و لاجل ذلك يحشرون فى الاخرة و يبعثون الى عالم آخر قوله تعالى: يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجاً، و لساير الحيوانات نفوس حساسة بالفعل متخيلة بالقوة، فليس لها نشأة اخرى، ولاحشر ولا نشر، اللهم الاعلى ضرب آخر لاعلى وجه الامتياز و الاستقلال كما بيناه فى بعض رسائلنا.

قاعدة

فى ان افراد الانسان تصير متخالفة الحقايق و المهيات فى آخر الامر بحسب الباطن، بعدما كانت متفقة الحقيقة و الماهية فى بداية الخلقة، بيان ذلك

ان النفس الانسانية هى آخر الصور الجسمانية و افضلها، و اول

المعانى الروحانية وادونها، لانها جسمانية الحدوث روحانية البقآء، و انها انما تحدث بسبب استعداد البدن، و تبقى بسبب ملكات نفسانية راسخة تصير صورة ذاته، و تخرج بها من القوة الى الفعل، لانها فى اول الحدوث امر بالفعل فى هذه النشأة الطبيعية، و هى بعينها امر بالقوة فى النشأة الاخرة، فهى صورة فى هذا العالم و هيولى فى عالم آخر، فلها ان تخرج ذاتها من القوة الى الفعل بواسطة حركات و استحالات نفسانية تستعد بها لصورة من اجناس الصور الاخروية و تتحد بها، و تصير ذاتها بعينها كالهيولى للاجسام الطبيعية ان يخرج من القوة الى الفعل بواسطة حركات جسمانية تستعد بها لصورة من اجناس الصور الدنياوية و يتحد بها، كما هو التحقيق من الاتحاد بين المادة و الصورة، و كما ان الله خلق فى هذا العالم من المادة الجسمانية انواعاً من الحيوانات كالسباع و البهايم و الوحوش و الحيات و العقارب وغيرها، فكذلك يخلق فى الاخرة من المادة النفسانية من الانسان انواعاً من المخلوقات كالملك و الشيطان و السبع و البهيمة و كل نوع من انواع الحيوانات، و هى كلها مخلوقة من النفس الانسانية، و الانسان نوع واحد فى هذا العالم، كما قال تعالى: انما انا بشر مثلكم، و ستصير انواعاً من اجناس كثيرة متخالفة، و فى القرآن آيات كثيرة دالة على ما ذكرناه من التحقيق، و هو مما الهمنا الله به خاصة من بين اهل النظر و لم اجد فى كلام احد من الحكماء وغيرهم، و الحمدلله العزيز الوهاب الذى شرفنا به من بين الاصحاب، منها قوله تعالى: و يوم نحشر من كل امة فوجاً ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون، و قوله: يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا اعمالهم، و قوله: وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون.

يعنى حكم عليهم فى الدنيا بماهو مقتضى صور قلوبهم وظهورها فى الخارج و تشكل ابدانهم باشكال مناسبة لهيأت نفوسهم كما فى الاخرة، و قوله: ولوشاءالله لجعلكم امةواحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء و لتسئلن عما كنتم تعملون، و قوله: افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف

تحكمون، و قوله: هل يستوى الذين يعلمون و الذين لايعلمون، و قوله: و امتازوا اليوم ايها المجرمون، و قوله: ماكان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الاية، و قوله فى حق بلعم بن باعور: مثله كمثل الكلب، و فى حق حملة الاسفار من غير فهم: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله، و قوله: اولئك كالانعام بل هم اضل، و قوله فى حق بعض افراد البشر «اولئك هم شر البرية» و فى حق بعض آخر «اولئك هم خير البرية».

ولا شبهة فى ان نفس من هو خير الخلايق لاتساوى فى الحقيقة النوعية لنفس من هو شر الخلايق، وما اشد فى السخافة و البطلان قول من زعم ان نفس افضل البرية خاتم الانبياء صلى الله عليه و آله مع نفس ابى جهل متماثلان فى تمام الحقيقة النوعية الانسانية، و انما التخالف بينهما بواسطة عوارض و احوال خارجة عن تمام المهية النوعيه و عن اصل الجوهر و الذات.

و اعلم ان الله قد حكم بكفر من قال بان نفس النبى صلى الله عليه وآله مماثلة لنفوس سائر البشر فى قوله: قالوا ابشر يهدوننا فكفروا و تولوا، و قوله تعالى: ابشراً منا واحداً نتبعه و اما قوله تعالى: قل انما انا بشر مثلكم فانما ذلك بحسب هذه النشاة الظاهرة.

قاعدة

فى ان الروح الناطقة باقية بعد خراب البدن وبيانه على ماهو المشهور

ان اجزاء البدن يتحلل و يتبدل و المدرك منك ثابت، فلو كانت النفس تبطل ببطلان البدن لبطلت عند التبدل، كيف و علاقتها مع الروح البخارى و هو ابدا فى التحلل و السيلان، و لان كل ماينعدم فانما ينعدم بانعدام شىء من علله و اسبابه، و النفس ليست لها مادة ولاصورة بل صورتها ذاتها و فاعلها غيرقابل للفناء، و كذا غايتها، و اذلا محل لها فلا مضاد ولا

مزاحم لها حتى يبطلها او يتغير به استعداد محلها، و ليس بينها و بين البدن الا علاقة شوقية و هى اضافة و الاضافة اضعف الاعراض، و زوالها لايوجب زوال الذات المضافة، و الا لكان اضعف الاعراض مقوماً لوجود الجوهر وهو محال، هذا خلاصة كلام الفلاسفة فى هذا الباب و فيه بحث من وجهين.

الاول ان النفس الانسانية عندهم جوهر عقلى و انها عندهم اولا عقل بالقوة و انما يصير عقلا بالفعل بعد مزاولة الاكتساب و تحصيل العلوم الحقيقية، حتى يخرج ذاتها من القوة الى الفعل، فقبل صيرورتها عقلا كيف يبقى بدون البدن مستقل الوجود مفارق الذات، فان كل مفارقة الذات مستقل الوجود عندهم عقل بالفعل، وكل عقل بالفعل كامل فى العلم و المعرفة، و المقدر خلافه، هذا خلف، و لهذا وقع الاختلاف بين تلامذة المعلم الاول و شراح كلامه فى بقاء العقل الهيولانى بعد بوار البدن، فذهب الاسكندر الافروديسى الى ان النفوس الانسانية اذا فارقت الابدان و هى هيولانية، فانها تبطل اذ لم يتصور بشىء من الصور العقليه التى تقوم بها بالفعل، و اما ثامسطيوس فانه كان يخالفه فى هذا الرأى و يرى ان هذه القوة باقية، و اما رئيسهم ابوعلى فقد مال الى مذهب ثامسطيوس فى اكثر كتبه و مال الى مذهب الاسكندر فى بعض رسايله.

و اعلم ان الموافق لاصول الفلاسفة القايلين بعرضية القوة الخيالية، الغافلين عن جوهريتها و قوامها بذاتها لا بالعضو الدماغى، هو المذهب الاول لما اشرنا اليه من ان المادة العقلية لاوجود ولابقاء لها الا بصورة عقلية تقومها بالفعل.

و اما ما رأينا و تفردنا باثباته بالبرهان من تجرد القوة الخيالية عن البدن الطبيعى، و اتحادها ببدن محشور باق فى عالم البرزخ، فجميع نفوس الانسانية حتى العوام و الصبيان باقية بعد هذا البدن، كما هو موافق للشريعة و الكتاب و السنة، بل هو من ضروريات الملة الحنيفة.

و ثانيهما ان نفسية النفس نحو وجودها الخاص الذى يلزمه الاضافة الى البدن الطبيعى، وليست هذه الاضافة كاضافة الاشياء التى عرضت

لها الاضافة بعد تمام وجودها و هويتها، كالملك و الربان و الرئيس و الاب وغيرذلك مما يعرض له الاضافة بعد تمام الذات فالاضافة التى من قبيل القسم الاول يزول بزوالها ذات المضافة بنفسها كهيولية الهيولى، و كذا حكم نفسية النفس، فيلزمهم بطلان جوهر النفوس ببطلان اضافاتها الى البدن، اللهم الا ان يذهبوا الى ماذهبنا اليه من اثبات الحركة الجوهرية و اثبات الاشتداد فى وجود الجوهر النفسانى، كمادلت عليه البراهن المذكورة فى كتبنا، و الايات القرآنية المذكورة آنفا، و المتأخرون من الحكماء كابى على و من يحذو حذوه مصرون غاية الاصرار فى نفى هذه الاستحالة الجوهرية، و لذلك قصروا و عجزوا عن اثبات كثير من المقاصد الحقة، كحدوث الاجسام و دثور العالم الطبيعى كله، و كاتحاد العاقل بالمعقول، و كاثبات المعاد الجسمانى، و بقاء اكثر النفوس و هى الناقصة و المتوسطة فى الكمال و غيرذلك من المطالب الشريفة التى من اوتيها فقد اوتى خيرا كثيراً.

اما الايات الدالة على بقاء النفوس بعد خراب هذا البدن الطبيعى فكثيرة منها قوله تعالى: ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله، و كان المراد من هذه الحيوة هى الحيوة العقلية المختصة بالكاملين فى العلم، فانهم الاحياء حيوة عقلية، الساكنون فى حظيرة القدس عند ربهم المرزوقون بالارزاق المعنوية و الانوار العقلية، و يكون فرحهم اى ابتهاجهم و لذتهم العقلية بالحكمة لابغيرها من اللذات الحسية و الخيالية، وقد وقع التعبير عن الحكمة بما آتاهم الله من فضله على وفاق قوله: من يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيرا، و قوله فى سورة الجمعة بعد ذكر تعليم الكتاب و الحكمة: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذوالفضل العظيم، فعلم ان المراد هاهنا بما آتاهم الله من فضله هو بعينه المذكور فى تينك الايتين، و منها قوله: ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله امواتا بل احياء ولكن لاتشعرون، و قوله: الى ربك يومئذ المستقر، و قوله: الى ربك يومئذ المساق، و قوله: الى ربك

الرجعى، و قوله: ان الابرار لفى نعيم و ان الفجار لفى جحيم، و قوله: وهو الذى ذرأكم فى الارض و اليه تحشرون، و قوله: وصوركم فاحسن صوركم و اليه المصير، و قوله: يوم يقوم الناس لرب العالمين، و قوله: ان كتاب الابرار لفى عليين وان كتاب الفجار لفى سجين، و المراد منه كتاب النفس، و كذا قوله: و اذا الصحف نشرت، فان النفوس فى هذا العالم مطوية بما فيها من الهيآت و النقوش، و الاجسام بما فيها من الاعراض و الصور منشورة، و فى الاخرة بالعكس من ذلك، فان اجرام السموات مطوية هناك لقوله تعالى: يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب، و الاجرام الارضية مقبوضة لقوله: و الارض جميعا قبضته يوم القيامة، و النفوس و الارواح مكشوفة بارزة.

و اعلم ان جمهور الفلاسفة لم يعلموا من حقيقة الروح و ماهية النفس الا قدراً يسيراً، يلزم من احوال بعض مراتبها و مقاماتها من جهة ما نظروا فى احوال البدن و عوارضه، و ذلك مثل كونها مدركة مدبره، و هاتان صفتان نسبيتان يشترك فيهما الحيوانات، و اما ما ادركوا من بقائها بعد انقطاع تصرفها عن البدن فانما عرفوا ذلك من كونها محل العلوم، وان العلم لاينقسم، فلا يتصور انقسام محله، و فيه مواضع انظار كما ذكرناه فى كتبنا العقلية، سيما عند المحقق العارف انه ليس العلم بالحقايق العقلية بحلول صورتها فى النفس، و اما الحكم بكونها قبل البدن فاكثرهم انكروا ذلك، و من قال منهم به فلم يقم عليه برهانا و لم يقدر على دفع الشكوك الواردة على ذلك، و لم يمكنه اختيار احد الشقين، من كون النفس قبل البدن هل كانت واحدة او كثيرة، لانه يلزم على كل من الشقين ما يخالف اصولهم الاعتقادية، و اذا كان حال هؤلاء العقلاء الفضلاء من امر النفس هكذا، فكيف حال من سواهم من اهل الجدال و اولى وساوس الخيال، و لاجل ذلك قال تعالى: و يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى و ما اوتيتم من العلم الا قليلا.

قاعـدة

فى بطلان التناسخ

التناسخ اعنى انتقال النفس الشخصية من بدن الى بدن محال، سواء كان البدن عنصرياً او فلكياً او طبيعياً او برزخياً، ببرهان افادنا الله تعالى اياه، و هو ان النفس فى اول تكونها الطبيعى متحدة مع البدن، وهى بالقوة فى كل مالها من الاحوال و الادراكات، حتى فى كونها حساسة، ثم يتدرج فى الاشتداد و الترقى، فيصير اولا طبيعية حافظة، ثم جوهراً غاذياً منمياً مولداً، ثم حساساً على التدريج من اكثف الحواس الى الطفها، فكانت اولا قوة اللمس ثم الذوق ثم الشم ثم السمع و البصر ثم يصير متخيلا،وهاهنا او ان تجرده عن البدن الطبيعى كما اشرنا اليه، ثم يصير متفكراً ذاكراً، ثم عاقلا و معقولا، و عند ذالك او ان تجردها عن العالمين و مفارقته للنشأتين، فقدبان ان للنفس قبل تجردها مطلقا مقامات طبيعية، يناسب كل منها لمزاج خاص و تكون معين، و سن مخصوص من اسنان البدن من الجنينية و الطفولية و الصبوية المراهقية و الشباب و الكهولة و الشيخوخة و الموت و البعث.

و بالجملة النفس و البدن يتحركان معاً فى التحولات الطبيعية، و يستكملان معاً فى الكمالات التى تناسب كلا منهما بحسبه الى ان يقع لها التفرد بذاتها منسلخة عن البدن، و الحاصل ان لكل طبيعة حركة جوهرية ذاتية الى غاية ما، و لها فى كل حد من حدود الانتقال مرتبة من الوجود يكون بحسبها فعلا و قوة، فعلا بالقياس الى سابقها، و قوة بالقياس الى لاحقها، و كل موجود صار بالفعل شيئا، فلايمكن عوده الى الحالة التى كانت فيها بالقوة، ولان الحركات الطبيعية متوجهة الى مالها من الكمال، فيمتنع ان يقع شىء منها على وجه الانتكاس مخالفاً للمجرى الطبيعى.

فاذا تمهد هذا فنقول: كما لايمكن ان تصير القوة الحيوانية نباتية ولا النباتية معدنية ولا المعدنية صورة عنصرية على عكس ماهو المجرى

الطبيعى الذى فطر الله الاشياء عليه، فكذا يمتنع ان يتعلق النفس التى كانت متعلقة ببدن و خرجت فى بعض مالها من الاحوال من القوة الى الفعل تارة اخرى بمادة بدنية حادثة عند اول تكونها كالنطفة او الجنين و نحو ذلك، فا نالنفس المنسلخة عن بدن من الأبدان قد خرجت فى بعض مالها من كمالات الوجود من القوة الى الفعل، و ظاهر انها لايمكن فرض تعلقها الثانوى ببدن جديد الا عند حدوثه و اول تكونه، فاذن يلزم من انتقال النفس الى بدن آخر كون انسان واحد بحيث يكون نفسه بالفعل و بدنه بالقوة، و هذا محال كما اوضحناه، فثبت ان التناسخ بالمعنى المذكور محال.

اما التناسخ بمعنى تحول النفس و انتقالها على سبيل الاتصال من نوع الى نوع فليس بممتنع، كنقل الصورة الطبيعية لمادة خلقة الانسان من الجمادية الى النباتية و منها الى الحيوانية و منها الى الانسانية ثم الى الملكية وما بعدها، او على وجه النزول كما فى امة موسى عليه السلام ظاهراً وفى هذه الامة باطنا، و هذا الانتقال على وجه النزول لاينا فى ما ذكرناه آنفاً، من توجه كل نفس الى مافوقها، و ذلك لان الخروج من القوة الى الفعل فى شىء من الكمالات الحيوانية لاينا فى الشقاوة فى الاخرة بل يؤكده، فان الطرق الى الدار الاخرة متفاوتة، بعضها طرق السعادة والوصول الى دار الكرامة و القرب من عند الله، و بعضها طرق الشقاوة و الوصول الى دار الانتقام و البعد من رضوانه.

و مما ورد فى مسخ الباطن لهذه الامة هو قول النبى صلى الله عليه وآله فى حق طائفة: اخوان العلانية اعداء السريرة، يلبسون جلود الكباش و قلوبهم كالذئاب، السنتهم احلى من العسل و قلوبهم امر من الصبر.

كشف خفاء لبسط ضياء

اعلم ان مانسب الى قدماء الحكماء كافلاطن و من سبقه من اساطين الحكمة و هم المقتبسون انوار علومهم من مشكوة النبوة، هو بعينه ما ورد

فى الشرايع الحقة الالهية من صيرورة النفوس الادمية على صور انواع الحيوانات، مناسبة لاعمالهم و افعالهم المؤدية الى ملكاتهم، و لهذا قيل: ما من مذهب الا و للتناسخ فيه قدم راسخ، ثم ان المتأخرين كابى نصر وابى على و من يقتفى اثرهما، لما لم يظفروا بتحقيق النشأة الاخروية الجزئية للنفوس الحيوانية المنسلخة عن الابدان الطبيعية، التجأوا تارة الى القول بان النفوس الشقية الفاجرة ينتقل بعد هذا البدن الى ابدان الحيوانات الصامتة فى جهنم، و هى عالم العناصر عندهم و النفوس الكاملة العارفة يرتقى الى عالم السموات و هى الجنة عندهم، و هذا ما ذهب اليه اخوان الصفا، و تارة التجأوا الى القول بان بعض النفوس كنفوس البله و العوام لاحشر لها، و ان بعض الصلحاء الغير العارفين ينتقل نفوسهم ببعض الاجرام السماوية و تصير موضوعا لتخيلاتهم حسب ماوعدهم الشريعة، و نفوس الاشقياء ايضاً يتعلق بتلك الاجرام، و عند بعضهم كصاحب التلويحات تتعلق هذه النفوس الشقية بجرم دخانى غير منخرق تحت كرة القمر و فوق العناصر، و كل هذه الاقوال خروج عن طريق الصواب و انحراف عن جادة الحق، و قد علمت من طريقتنا خراب الافلاك و من فيها فضلا عما تحتها، و ايضا لزوم التناسخ المستحيل بحاله، و ايضاً الجسم التام الصورة و الكمال يستحيل ان يصير منفعلا عن مؤثر آخر ليس طبيعة له ولامدبراً لجرمه، و مالم ينفعل عن مؤثر آخر كيف يصير موضوعا لتصرفاته و تأثيراته.

و العارف بكيفية ارتباط النفس بالاجرام الطبيعية يكفيه فى الحكم بفساد ماذكروه ادنى تأمل، بل الحق القراح مالوحناك اليه من تصور النفوس بصور ملكاتهم و هيئآتهم، و هى ابدانهم المكتسبة المحشورة فى النشأة الاخرة، و تلك الابدان معلقة ليست قائمة بمادة طبيعية، و لا فى جهة من جهات العالم الوضعى، و نسبتها الى النفوس نسبة الفعل اللازم الى فاعله لانسبة القابل الى المقبول، ولا نسبة المادة المستعدة لتعلق النفس الى النفس، و هذا مطابق لما ذهب اليه اهل الشرايع الحقة و عليه يحمل كلام قدماء الحكماء فى باب التناسخ، و هو المراد من الايات القرآنية الدالة

على المسخ، كقوله تعالى: كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، و قوله: ما من دابة فى الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء، و قوله: و جعلنا منهم القردة و الخنازير و عبد الطاغوت، و قوله: فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين، و قوله: يوم تشهد عليهم السنتهم و ايديهم و ارجلهم بما كانوا يعملون، و قوله: و قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء، وقوله: و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا و بكما و صما مأويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا، و قوله: و اذا الوحوش حشرت، اشارة الى انقلاب جواهر نفوسهم الى نفوس الوحوش لغلبة صفاتها عليهم، فتصورت نفوسهم فى القيامة بصورة الحيوانات الوحشية، المناسبة لاخلاقها و هيئات نفوسها، و كذا قوله: يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس، و قوله: يوم يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم، و قوله: و نحشر المجرمين يومئذ زرقا، و قوله: و نحشره يوم القيامة اعمى، و قوله: يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون، و قوله: الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا و اضل سبيلا، و قوله: و اذا وقع عليهم القول اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لايوقنون، و يوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون، و قوله: فوقع القول عليهم بما ظلموا فهم لاينطقون، الى غير ذلك من الايات المشيرة الى تبديل الصور و الاشكال بواسطة تبدل الاخلاق و الاحوال، و كذا قوله: ان الذين كذبوا باياتنا و لقاء الاخرة لاتفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط و كذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد و من فوقهم غواش و كذلك نجزى الظالمين، اياك و ان تظن من ظاهر هذه الاية وغيرها ان الجنة و طبقاتها هى بعينها ظواهر اجرام السماوات كما زعمه الناقصون فى العلم الذين يريدون ان يدخلوا بيوت العلم من ظهورها و لايدخلون البيوت من ابوابها، فان الجنة باقية لانها هى دار البقاء، و الافلاك و مافيها دار الفناء، و هى من عالم الدنيا، و الجنة من عالم الاخرة و عالم الصورة الغائبة عن

هذه الحواس الداثرة الطبيعية، و ايضا ان الجنة كما لوحناه اليك تكون فى داخل حجب السموات و الارضين، و منزلتها من هذا العالم منزلة الجنين من الرحم، فافهم ان كنت من اهله و الافغض بصرك عن مطالعة هذا الكتاب و التدبر فى غوامض علم القرآن، و عليك بممارسة القصص و الاخبار و الروايات، و علم السير و الانساب، و تتبع العربية و اللغة، و تحمل الرواية من غير دراية، و ماهو كالنتيجة عندك للكل من البحث عن المسايل الفرعية الخلافية، و نوادر تفريعات الطلاق و العتاق و السلم و الاجارة و الرهانة، و قسمة المواريث المشتملة فروضها على الكسور التى يدق فيها تحصيل المخرج، الى غيرذلك من المهمات التى يحتاج اليها على الندرة بعض الاحاد فى بعض الاوقات، و قد نصب الله لها كساير الامور التى هى ادون منزلة منها اقواماً يعظمون الامر فيها و يصرون عليها و يفرحون بها، وكل حزب بما لديهم فرحون، و قيمة كل احد على قدر همته، «ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم، و يريد الله ان يغويكم، ما يفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها و مايمسك فلا مرسل له من بعده و هو العزيز الحكيم».

و مما يدل على التناسخ المعنوى الاخروى ماروى عن النبى صلى الله عليه و آله من قوله: يحشر الناس على صور نياتهم، و قوله صلى الله عليه و آله: يحشر الناس على صورة يحسن عندها القردة و الخنازير، و قوله: كماتعيشون تنامون و كما تنامون تبعثون، و قوله ص: من خالف الامام فى الصلوة يحشر و رأسه رأس حمار.

تذكرة قرآنية

قد انكشف لك فيما مر و سيتضح لك زيادة ايضاح، ان جميع افراد الناس متوجهون بحسب ما اودع الله فى غرايزهم نحو المبدء الاعلى، فما من احد الا وفيه الحركة المعنوية نحو الاخرة، الا انهم متفاوتون فى هذا التوجه و الحركة الجبلية و السير الباطنى بحسب جهات الحركة و درجات القرب و البعد، فمنهم من يسعى نوره الى الله والى جهة الاخرة، لقوله تعالى:

نورهم یسعی بین ایدیهم و بایمانهم، و منهم من یجذبهم العنایة الالهیة بخطاب ارجعی کما قال: یا ایتها النفس المطمئنة ارجعی الی ربك راضیة مرضیة، و منهم من یساق الی الموت جبراً و قهرا بسطوة من سطوات سدنة عالم الجحیم و سوط من سیاط ملائکة العذاب، کما اشیر الیه بقوله: ولو تری اذ الظالمون فی غمرات الموت و الملائکة باسطوا ایدیهم اخرجوا انفسکم، و کذا عند المصیر بعضهم فرحون بلقاء الله و بعضهم کارهون، و من کره لقاء الله کره الله لقائه، کما فی قوله: کره الله انبعاثهم و ثبطهم و قیل اقعدوا مع القاعدین، و قوله: حتی جاء الحق و ظهر امر الله و هم کارهون، و بعضهم نواکس الرؤس من اعلی علیین، کما فی قوله: ولوتری اذالمجرمون ناکسوا رؤسهم عند ربهم.

المشهد الرابع

فی بیان النبوة و احکامها و فیه قواعد:

قاعـدة

فی اثبات الشجرة النبویة و فضلها علی جواهر ساير البرية

اقتضت الحکمه الالهية ان يکون الشجرة النبوية صنفا مفرداً بل نوعا واقعاً بين الانسان و بين الملك، جالساً فی حد المشترك، بين عالمی الملك و الملکوت، مشارکاً لکل واحد منهما علی وجه، فانهم کالملائکة فی اطلاعهم علی ملکوت السموات و الارض، و کالبشر فی احوال المطعم و المشرب و المنکح، و مثلهم واقعا بين نوعين مختلفين مثل المرجان، فانه حجر تشبه الاشجار يتشعب اغصانه، و کالنخل فانه شجر يشبه الحيوان فی کونها محتاجة الی تلقيح، و بطلانها اذا قطع رأسها، و جعل سبحانه النبوة فی ولد ابراهيم عليه السلام و من قبله فی ولد نوح عليه السلام، کما نبه بقوله: ذرية بعضها من بعض، فهم عليهم السلم و ان کانوا من حيث الابدان بشريين ارضيين، فهم من حيث الارواح ملکيون سماويون، قد ايدوا بقوة روحانية قدسية خصوا بها، کما قال فی عيسی عليه السلام: و ايدناه بروح القدس، و قال فی محمد صلی الله عليه وآله: نزل به الروح الامين علی قلبك لتکون من المنذرين، و تخصيصهم بهذا الروح ليمکنهم ان يقبلوا من الملائکة بما بينهم من المناسبة الروحانية، و يفيدوا للامة بما بينهم من المناسبة،

البشرية، فلذلك قال: ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا، تنبيهاً على انه ليس فى قوة عامة البشر الذين لم يخصوا بذلك الروح ان يقبلوا الا من البشر، و لما عمى الكفار عن ادراك هذه المنزلة، عزلوا الانبياء عليهم السلم من فضيلة النبوة و انكروا منزلتهم و نبوتهم و منزلة علمهم عليهم السلم، كما قال تعالى: قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا، فالانبياء بالاضافة الى ساير الناس، كالانسان بالاضافة الى سائر الحيوانات، و كالقلب بالقياس الى ساير الاعضاء و الجوارح، و ايضا منزلة الانبياء من اممهم منزلة ضوء الشمس من الارض و منزلة علمهم و علم وارثهم و نايبهم من علم الامم منزلة ضوء الشمس و نور القمر من ضوء نواحى الارض كما قال: هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نوراً، و كما ان وجه الارض لايستضىء الا بنور الشمس و القمر و النجوم، و نور الشمس هو المفيض على القمر و النجوم وغيرها، فكذلك منزلة علوم الخلايق لاتحصل ولايتزكى نفوسهم الا بواسطة نبوة الانبياء، وعلى هذا دل بقوله: ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم، و قوله: هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفى ضلال مبين، فالله تعالى يزكى الانبياء بواسطه الملك و يزكى الناس بواسطتهم، كالطابع الذى حصل له كتابة ثم بواسطته تثبت فى الشموع المختلفة مثل تلك الكتابة، و نسبة الملكية الى نفس النبى صلى الله عليه و آله كنسبة ضوء الشمس الى جرمها، و نسبتها الى ساير الناس كنسبة نور الشمس الى سطوح الارض.

قاعدة

فى هداية الله تعالى الاشياء الى مصالحها

كلما اوجده الله تعالى فانه هداه لما فيه مصلحته، كما نبه عليه بقوله تعالى: هو الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى، و هدايته لكل شىء ماينا سب خلقه، فهدايته للجمادات بالتسخير فقط، كالاشياء الارضية التى اذاخليت و

طبايعها ينحو نحو الارض، و كالنار ينحو نحو العلو، و هدايته للحيوانات الى افعال يتعاطاها بالتسخير و بالالهام، كالنحل فيما يتعاطاه من السياسة و اخذ البيوت المسدسات من غير اسراف و من عمل العسل، كما اشار بقوله: و اوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا و من الشجر و مما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات و اسلكى سبل ربك ذللا، و كالعنكبوت فى نسجه، و هدايته للملائكة بالتسخير و الالهام فى افاعيلهم المختصة بهم و ببديهة العقل، لان علومهم كلها ضرورية فطريه، فاما الانسان فهدايته تعالى اياه بكل ذلك و بالفكر، و ذلك انه هداه تارة بالتسخير كما فى تسخير نفسه لقواها بالتحريك، و الاستخدام فى افاعيلها الجزئية و ادراكاتها الحسية، و من هذا القبيل حركة نبضه و جذبه للغذاء و هضمه و دفعه و غير ذلك من افاعيله التسخيرية، و تارة بالالهام، كما عند الطفولية للارتضاع و مص الثدى و التشكى من الالم بالبكاء، و طوراً ببديهة العقل، فانه يعرف الاوليات ومبادى العلوم، وطوراً بالفكر حيث يتوصل الى استنباط المجهول بالمعلوم، فهو تعالى و ان خلق الانسان عاريا من المعارف التى جعلها للحيوانات بالالهام، و من الملابس و الاسلحة التى جعلها للحيوانات بالتسخير، و من العلوم التى جعلها للملائكة بالفطرة و البديهة، فقد جعل للانسان بالعقل و الفكرة قوة التعلم و قوة تحصيل الادوات و الاسباب المتنوعة و الالات المختلفة كالملابس و الاسلحة، فهو مكتف بذاته فى تحصيل ماينفعه فى عاجله و آجله، حيث مكنه الله فى استفادة ذلك و وكله الى نفسه، و ذلك فضيله له لارذيلة، و انه رفعة له لاضعة و نقيصة، فان الله باعطائه اياه العقل و الفكرة و اليد العاملة قد اعطاه كل شىء، ولو اعطى له حسبما اعطى غيره من البهائم شيئا شيئا لكان قد منع منه ساير الاشياء، لان فعلية البعض يمنع عن قوة ساير الاشياء.

و تحقيق هذه المسئلة يحتاج الى مقدمات غامضة ذهل عنها اكثر المنسوبين الى العلم، وقد ظن قوم ان الله خلق الناس من بين الحيوانات خلقا منقوصا، اذ لم يعط سلاحاً يدفع به عن نفسه كالاسد و النمر من الانياب

و المخالب، و لاجناحاً يهرب به عن الاعداء كما للطير، ولاقوة المشى و الجرى فى الماء كما للحيتان، ولاالكفاية فى لباسهم كما فى ساير الحيوان، حيث اغناها عن كثير ما يفتقر اليه الناس، ولاجل ذلك قال تعالى: خلق الانسان ضعيفا، و ذلك الظن صحيح من وجه، فاسد من وجه، اما وجه صحته فلما اشرنا اليه من ان فعلية الوجود و تاكد الصورة يمنع عن قبول الكمال الاعلى و الفضيلة القصوى، و اما وجه فساده فلما زعموا ان ذلك تمام صورة الانسان، و لم يعلموا ان ذلك ابتداء خلقته و مادة نشوه و كماله، كالحبة بالقياس الى الشجرة و النطفة بالقياس الى الحيوان، ولو كانت للحبة صلابة الحجر لم يمكن وصولها الى غاية النمو، ولو كانت للنطفه قوة الشجرية استحال ان يصل الى قبول الحيوة، فلو لم يكن فى الانسان بحسب اول الفطرة الخلو عن كل فضيلة وعلم، لما كان فى جوهر ذاته صلوح كل فضيلة و علم، ولاجل التنبيه على ذلك قال تعالى: و الله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون، ولاحاجة الى ما ذكره بعضهم فى معنى قوله تعالى: خلق الانسان ضعيفا، من ان المراد انه ضعيف بالقياس الى الملاء الاعلى لا بالاضافة الى الحيوانات، بل ان هذا الضعف اعده للوصول الى الدرجة العليا و الاستحقاق لخلافة الله تعالى.

قال بعض الحكماء جعل الله لكل شيء كمالا ينساق اليه طبعاً، وقد هداه الى التخصيص به تسخيراً، كما نبه عليه بقوله: اعطى كل شيء خلقه ثم هدى، و للانسان سعادات كثيرة ابيحت له، و هى النعم المذكورة فى قوله تعالى: و ان تعدوا نعمة الله لاتحصوها، و جميع النعم على القول المجمل ضرب دائم لايبيد و لايحول و هو النعم الاخروية، و ضرب يبيد و يحول و هو النعم الدنيوية، و ما احد الا وهو نازع الى سعادة يطلبها بجهده، و لكن كثيرا يخطى فيظن ماليس بسعادة فى ذاته انه سعادة، فيغتر بها فيكون كما قال تعالى: و الذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جائه لم يجده شيئا، و قوله: كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف، لانها كلها غرور و فتنة كما قال الشاعر:

انما الدنيا كرؤيا افرحت من رآها ساعة ثم انقضت

قاعـدة

فى تحقيق قوله تعالى: انك ميت و انهم ميتون، و بيان ان الموت حق

اعلم ان من الحكمة البالغة و النعمة السابغة ان الله تعالى قد جمع فى طينة الانسان ما افرد به الملائكة المقربين و ما افرد به الحيوانات المبعدين، فافرد الملك بروح علوى باق، و افرد الحيوانات بروح سفلى فان، و خص الانسان بمعجون مركب من الروحين، فان حيوانى و باق ملكى، اتحدا ذاتا احدية كما بين فى موضعه، فالحكمة فى ذلك ان الروح الملكى غير مستحيل ولانام ولامتغذ، و انما غذائه التسبيح و التقديس، و هو بمثابة التنفس الضرورى للحيوان[1] و لذلك ليس للملك ترق من مقام معلوم، و الروح الحيوانى مستحيل متغذ نام قابل للتحول و الانتقال، الا انه اذا مات مات ولم يبق منه شيء، فجعل الله الانسان جامعاً للروحين، لينطبع روحه الملكى بطبع روحه الحيوانى فى التغذى و قبول الفناء الذى يعبر عنه بالموت، ليصير بروحه الحيوانى كاينا مستحيلا قابلا للفناء، و ينطبع روحه الحيوانى بطبع روحه الملكى، ليصير عارفا بالله مسبحاً مقدساً له كالملك، باقيا بعد الموت اى موت كان طبيعياً او حيوانياً[2] او ارادياً.

فخاصية الروح الحيوانى ان يجعل الغذاء من جنس المغتذى ولونه و كيفه و صايراً من جنسه، و خاصية الروح الملكى ان يسبح الله و يقدسه

١ــ ان التسبيح الملائكة فعل اختيارى ولكنه ضرورى فطرى ارادى اضطرارى (نورى قدس سره)

٢ــ لولم ينطبع روحه الملكى بطبع روحه الحيوانى لم يتسير له فى النهاية الفناء فى الله وصيرورته انسانا ربانياً بل ربا انسانيا (لان الروح الملكى بالذات لافناءله و الفناء من خواص الروح الحيوانى) وكذلك الروح الحيوانى لو لم ينطبع بطبع ذلك الروح لم يتيسر له السلوك والسير الى تلك الغاية التى يصير الحيوان الدائر الزايل الفانى بالوصول اليها باقيا بالله، فاحسن التامل فى هذا الباب لينفتح عليك باب يفتح منه كثير من الابواب، ولايهتدى اليها الا اهل الكمال الذين هم اولوا البصاير و الالباب. نورى قدس سره.

و يتغذى بذكر الله و طاعته و الشوق الى لقائه الكريم فيتقوى فيه النور الالهى و يتجوهر به، و لاجل ذلك يزداد الجذبة الالهية، و فى تجوهره يحصل له نوع من الفناء عن وجوده و البقاء بنور ربه فهو فى كل انتشاء بنشأة و تطور بطور بمثابة ميت ذاق الموت و البعث، فكأنه مات عن نشأة ثم بعث الى ربه فى نشأة اخرى و احياه الله بنور ربه، كما قال تعالى: او من كان ميتا فاحييناه و جعلناه له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها، فهذا الموت الذى استحق به الروح الانسانى الاحياء بنور الله، انما استفاده من جهة النفس الحيوانية التى هى ذائقة الموت على الوجه المذكور، و لذلك عقبه بقوله: و نبلوكم بالشر و الخير فتنة، اى نبلوكم بما فيهما من موت النفس و حيوة الروح، فالاول كالمكروهات من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات و ساير ما تسمونه شراً، و فيها موت النفس و حيوة القلب، و الثانى كالمحبوبات التى تسمونها خيراً، و هى الشهوات من النساء و البنين و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة و الخيل المسومة و الانعام و الحرث، وفيها حيوة النفس و موت القلب، ففى كلتا الحالتين ابتلاء، فمن صبر على موت النفس بالمكروهات فله البشارة بحيوة القلب و اطمينان النفس، و لها حينئذ استحقاق الرجوع الى ربها بجذبة ارجعى الى ربك باللطف والكرامة، كما قال: والينا ترجعون.

فقد ظهر مما ذكرناه ان الانسان السعيد السالك الى صراط الله المستقيم الواصل الى درجة الواصلين، هو الذى حصل له فى كل وقت من اوقات حيوته الطبيعية له موت و بعث و حشر الى الله تعالى، حتى ينتهى به الغاية و المنتهى و الرجوع الى المبدء الاعلى، و ان قوله: انك ميت و انهم ميتون محمول على الحقيقة من غير حاجة الى التأويل كما فعله المفسرون.

قاعـدة

فى الكشف عن ماهية الانسان الحقيقى مظهراً لاسم الله وخليفة الرحمن

قال الله تعالى: انا عرضنا الامانة على السموات و الارض والجبال

فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا، قد تشعب اقوال العلماء و ائمة التفسير، و اختلفت آرائهم فى ان المراد من هذه الامانة المخصوص بحملها الانسان ماذا، فقائل ان المراد منها هو العقل فينتفض بالملك، و قائل انه التكليف فهو منقوض بالجن، لانه مساهم للانسان فى كونه مكلفا، و قائل انه التركيب بين الروح و الجسد فنوقض بالفلك، و قايل انه الهيئة الاجتماعية الحاصلة من اجتماع القوى الفاعلة و المنفعلة و النفسانية و البدنية المدركة بانواع الادراكات الحسية و الخيالية و الوهمية و العقلية المحركة بانواع الحركات الفكرية و الارادية و الطبيعية و الكمية و الكيفية و الاينية و الوضعية، و بالجملة كون الذات الواحدة بحيث يوجد فيها انموزج سائر الاشياء، و هو ايضا كما ترى لانتفاضه بصورة العالم الكبير، لانه ايضا شخص واحد له وحدة طبيعية، ولان شبه الجمعية المذكورة يوجد فى بعض الحيوانات التامة الحواس سيما عند من يرى ان لها نفسا مدركة للكليات، على انه قد اهمل فى كل من هذه الاحتمالات رعاية معنى الامانة و مؤداها، من كونها عارية مدة من الزمان ثم مردودة الى اهلها و صاحبها.

و تحقيق هذا المقام يستدعى تمهيد قاعدة، و هى ان جميع الموجودات سوى الانسان له حد خاص من قسط الوجود لايتعداه، و كل له مقام معلوم، لايتجاوزه، و هو له ثابت بالفعل ليس فيه قوة الانتقال من طور الى طور و من كون الى كون، فالفلك فى فلكيته، و الملك فى ملكيته، و الشيطان فى شيطنته، و الجماد فى جماديته و النبات فى نشوه و نمائه، و الحيوان فى شهوته و غضبه، كل منها فى غاية ماله من الكمال و الفعلية و التمام، و اما الانسان الكامل فانه فى كل ماله من الكمالات بلغ اليه مابين صرافة القوة و محوضة الفعل، كما هو شأن المتحرك بماهو متحرك، الاترى انه ضعيف الجسمية ليس كالجبال و المعادن، و انه ضعيف النباتية ليس كالاشجار فى قوة التغذية و التنمية و التوليد، و انه ناقص الحيوانية ليس كالاسد و الفيل و الحية و الطير وغيرها من الحيوانات التامة فى قوة

الحس و الحركة، و لهذا يحتاج فى بقائه الدنيوى الى معاونات و معونات خارجية تعاونه و تعينه و تحفظه و تصونه عن الافات والاضداد، كما قال: و هو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة، و قوله: له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من امر الله، و اليه الاشارة بقوله: خلق الانسان ضعيفا، و بقوله: ان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب.

و بالجملة ليس له مادام الحيوة الدنيوية مقام خاص فى الوجود لايتعداه، «يا اهل يثرب لامقام لكم»، و لاجل هذه الخاصية يمكنه التطور فى الاطوار و الخروج من كل ماله من الكون المستعار، و الانتقال من هذه الدار الى عالم الاخرة و دار الابرار، و المهاجرة من بيته الذى فيه مهاجراً الى الله الواحد القهار، كما فى قوله: و من يخرج من بيته مهاجراً الى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله، و اذ ليس له مقام معين، فله السير الى جميع المقامات، و اذ ليس له صورة معينة، فله التصور بكل صورة و التحلى بكل حليه، قال الشاعر:

لقد صار قلبى قابلا كل صورة فمرعى لغزلان و ديراً لرهبان

اذا تقرر ما ذكرناه فنقول: ان حقيقة الامانة و هى المعبر عنها تارة بفضل الله «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذوالفضل العظيم»، هى الفيض الالهى الاتم بلاواسطة، و المراد منه الفناء عن كل شىء و البقاء بالله، و الانسان من بين الممكنات مخصوص بذلك، وانما سميت امانة لان الفيض بلاواسطة هو من صفات الحق تعالى وقد حمله الانسان لاغير، لما ذكرنا من ان ماسواه غير مستعد لقبوله، لتقيد كل منها بوجوده الخاص، فالفلكية غير منسلخة من الفلك حتى يبقى فارغا عنها قابلا لغيرها، و هكذا الارضية من الارض و الجبلية من الجبال، و كذا كل من فى السموات و الارض و الجبال، اذالمراد من الاية عرض الامانة على كل الممكنات لاعلى بعضها، و التقدير انا عرضنا الامانة على اهل السموات و الارض و الجبال، و معنى عرض الامانة عرض تحمل الفيض الوجودى على وجه العارية المأخوذة اولا، المردودة الى اهلها اخيراً، وقبول الفيض الوجودى الفائض من الله

بلاواسطة على الوجه المذكور مختص بالانسان الكامل دون غيره كماعلمت، فكان العرض عاماً على الممكنات ماراً على المخلوقات كلها، فلم يقبلها احد للعلة المذكورة الا الانسان الكامل لفقره و عجزه و ضعف قوته و برائة ذمته عن جميع الشواغل الوجودية، و قطع التفاته عن ماسوى الحبيب المطلق، كما حكى الله عن خليله بقوله: فانهم عدو لى الا رب العالمين، و بقوله: انى ذاهب الى ربى سيهدين.

تنوير تمثيلى

ان نسبة الانسان الى ساير المخلوقات كنسبة القلب الى سائر الاعضاء، وقد تحقق فى علم الطبيعة ان قوة الحيوة تفيض من الروح الى القلب، و بواسطته الى ساير البدن، فيصير ذاحيوة و حس و حركة، فكما ان فيض الروح عام على اعضاء البدن كلها على وجه العارية المردودة الى اهلها، و هو الروح عند الموت، الا ان قبوله و حمله مختص بالقلب، ثم من القلب يسرى اثر الحيوة بواسطة الشرائين و عروق ماساريقا الى ساير الاعضاء، لكل منها ماينا سبه، فيكون به ذاقوة حيوة و حس و حركة، فكذلك عرض الفيض الالهى عام على جميع المخلوقات على وجه يقوم عليها مدة ثم يرجع الى مبدعه و مفيضه عند القيامة الكبرى، الا ان قبوله بلاواسطة و حمل اصله مختص بالانسان الكامل، و منه يصل اثر الفيض الى سائر المخلوقات، و هذا هو سر الخلافة المخصوصة بالانسان.

تتمة

و اما قوله: انه كان ظلوماً جهولا على صيغة المبالغه ففيه الاشارة الى ان الظالم من يظلم غيره، و الظلوم من يظلم نفسه، و كذا الجاهل من يجهل غيره، و الجهول من يجهل نفسه، اما ظلم الانسان على نفسه فافنائه ذاته و اماتته نفسه بالارادة، و اما جهله بنفسه فلانه ماعرف نفسه و لم يعلم انه

ليست ذاته هذه البهيمة الاكلة الشاربة الناكحة المايتة، و ماعلم ان هذه البهيمة الحيوانية هى قشر ذاته، ولها لب هو روحها و روحها ايضاً قشر وله لب هو روح روحها و هو محبوب الحق، كما قال: يحبهم و يحبونه، ومعلوم عند اهل البصيرة ان محبوب الحق ماذا يمكن ان يكون، و ان محب الحق ماذا يمكن ان يكون، فان الشيء لايحب الا ذاته، ولايحبه ايضاً الا ذاته، فمن احب غير الله فقد رغب عن ملة ابراهيم، حيث انه قال حكاية عن حاله «فانهم عدو لى الا رب العالمين»، و ايضا لاجهل اعظم من جهل الانسان نفسه لاستلزام ذلك جهله بربه، قال تعالى: نسوا الله فانسيهم انفسهم، و هو بمنزلة عكس النقيض لقوله صلى الله عليه و آله: من عرف نفسه فقد عرف ربه، و فى الحكمة العتيقة «من عرف ذاته تأله، فمن جهل نفسه فقد ظلم على نفسه غاية الظلم»، «اولئك الذين خسروا انفسهم و ذلك هو الخسران المبين.»

و اعلم ان علم النفس بذاتها حيث لايمكن الا بحضور ذاتها لها، فتحصيل هذه المعرفة لايمكن و لايتصور الا بتبديل الوجود الظلمانى النفسانى الى الوجود النورانى الروحانى، و فى قوله صلى الله عليه و آله: ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره، فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى، اشارة الى هذا المطلب، فان الظلمة اشارة الى ذوات الاشخاص النفسانية الظلمانية قبل خروجها من القوة الى الفعل، و من الظلمة الى النور، و مخرج الاشياء من الظلمات الى النور هو الله تعالى، و النور هو الفيض الوارد على النفوس القابلة، الخارجة به من الظلمات الى النور، كما تخرج القوة البصرية باشراق النور الشمسى عليها من القوة الى الفعل، فيصير به مبصرة بالفعل بعد ما كانت مبصرة بالقوة.

اذا تقرر هذا فنقول: لما عرض الله الامانة على المخلوقات فكل مخلوق لم يكن منوراً برشاش نور الله ماعرف شرف الامانة وما قصدها، اما الاجسام فلبعد مناسبتها، و اما ارواح الملائكة و غيرهم فلانهم لم يكن لهم راحلة تحملها بقوة الظلومية والجهولية، فما قصدوا و ما عرفوا حق المعرفة، فابين ان يحملناها و اشفقن منها لخطر حملها، و حملها الانسان لاجل

استعداد الجسدية و قوة الظلومية و الجهولية، فصارت الظلومية و الجهولية فى حق حامل الامانة و مؤدى حقها مدحاً، و فى حق الخائنين فيها ذما.

تبصرة اخرى

اعلم ان لهذه الاية الكريمة تأويلا اخر غير مامر يشعر بذم الانسان، كما ان الاول كان مشعراً بمدحه، و هو ايضا يستدعى بيان تمهيدمقدمتين.

احداهما ان كل ما عدا الانسان من الافلاك و العناصر و المركبات وغيرها فلها ضرب من الوصول و الشهود له سبحانه و الفناء عن ذواتها، لانخراط وجود كل منها فى وجود علته و فاعله، فان فاعل كل شىء هو بعينه غايتها و تمامها كما بين فى موضعه، فوجود كل معلول لمعة من وجود علته، و وجود كل علة تمام لوجود معلولها، و كذا الكلام فى وجود علة العلة بالقياس الى تلك العلة، و معلول المعلول بالقياس الى ذلك المعلول، فثبت ان جميع الممكنات المجعولة وجوداتها مضمحلة منطمسة فى وجود القيوم تعالى، و جميع انوارها مستهلكة فى سطوع النور الالهى الا افراد الانسان، فانهم بواسطة داعية سلطان الوهم و استيلائه عليهم و جهلهم بكيفية الصنع و الايجاد يزعمون ان لهم وجوداً و انانية و قدرة مستقلة.

و ثانيهما انه ما من موجود جسمانى او روحانى فى هذا العالم الاوله سلوك وجودى و استحالة ذاتية و حركة معنوية الى جانب الحق صايراً اياه، كما فى قوله: الا الى الله تصير الامور، فوجود كل موجود امكانى بمنزلة امانة عارية يرد الى صاحبها اخر الامر، و ماسوى الانسان لايعوق له شىء عن سلوكه سبيل الحق و خروجه عن تحمل هذه الامانة.

فعلى هذا نقول: المراد من الامانة، الوجود الفايض على كل موجود، لان وجودات الممكنات هى بمنزلة اشعة ولوامع لوجود الحق تعالى، فهى ليست قائمة بالممكنات بل قائمة بذاته تعالى، فلما وقع عرض الامانة يعنى بسط ضوء الوجود على هياكل اهل السموات و الارض والجبال، فابوا ان يحملوها بزعمهم ان لهم وجود امباينا لوجود الحق، كالانسان الغير

الكامل حيث يزعم ان له وجوداً، بل خرجوا عنها و انفكوا عن وجودهم الذى كانوا عليه و اشفقوا عن تحمله، لان التقيد بقيد الوجود الخاص الامكانى مناط الظلمة و البعد عن منبع الفيض و الجود و معدن الكرامة و الرحمة، و حملها الانسان لظلمه على نفسه بعدم الخروج عن ظلمة البعد الى نور القرب، و جهله بان السلامة و السعادة فى الخروج عن هذا الوجود الظلمانى و الذهاب الى عالم الحق تعالى، فقوله: انه كان ظلوماً جهولا على هذا التأويل مذمة للانسان، و على التأويل الاول مدح له ولامنافاة بين التأويلين بل الكل محتمل فافهم.

الطرف الثالث

فی علم المعاد و بیان حشر النفوس و الاجساد وفیه مشاهد:

المشهد الاول

فی بیان الفطرة الاولی للانسان و العود الیها و فی التقابل بین مراتب البدو و مراتب النهایة

اعلم ان المبدء هی الفطرة الاولی کما قال فطرة الله التی فطر الناس علیها لاتبدیل لخلق الله، و المعاد هو العود الیها، لقوله: کما بدأکم تعودون، فالاشارة الی المبدء قوله صلی الله علیه و آله: کان الله و لم یکن معه شیء، و قوله: وقد خلقتك من قبل ولم تك شیئا، و قوله: هل اتی علی الانسان حین من الدهر لم یکن شیئا مذکورا، فهذا الوجود للممکن هو الخروج من العدم الاصلی الی الکون و هو الحدوث، و الاشارة الی المنتهی قوله: کل من علیها فان ویبقی وجه ربك ذوالجلال و الاکرام، و قوله: کل شیء هالك الا وجهه و قوله: لمن الملك الیوم لله الواحد القهار، و هذا خروج من هذا الوجود الناقص المجازی الی العدم الاصلی، و البدو و الرجوع متقابلان فی الجهة، متحد ان فی الموضوع، کما وقعت الاشارة الیه، فبحکم المبدء ینبغی ان یسئل الرب تعالی و یجیب الخلق، فقال: الست بربکم قالوا بلی، و بحکم المعاد ینبغی ان یسئل الرب و یجیب هو عن نفسه، فقال: لمن الملك الیوم لله الواحد القهار، فالسقوط الاول للانسان من

الفطرة اى من العدم الى الوجود هو الجنة التى كان فيها ابونا آدم[١] و امنا حوا، كما قال: يا آدم اسكن انت و زوجك الجنة، و السقوط الثانى له من العدم الى الوجود، هو الهبوط منها الى دار الدنيا، لقوله تعالى: اهبطوا منها جميعاً، و الرجوع الى الفطرة هو العود من هذا الوجود المجازى الى العدم، و هو اما عدم القالب بالموت الطبيعى[٢]، «كل من عليها فان» و به يستحق المؤمن من اصحاب اليمين جنة السعداء، و الكافر من اصحاب الشمال جحيم الاشقياء، و الثانى عدم[٣] النفس بموت الفزع قوله: ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات و من فى الارض، و به يستحق جنة الكاملين، «يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية»، و الثالث عدم الروح بموت الصعق و الفناء فى التوحيد، قوله: و نفخ فى الصور فصعق من فى السموات و من فى الارض، وبه يستحق جنة الموحدين، «ادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى».

اعلم ان المجىء الى الدنيا هو النزول من الكمال الى النقص و السقوط من الفطرة الاولى، ولامحالة صدور الخلق من الخالق ليس الاعلى

١ــ يعنى ان ذلك المسقط هو تلك الجنة ولتلك الجنة عالمان عالم الملكوت الروحانى و عالم الملكوت الصورى والسقوط من تلك الجنة الى الدنيا بلاواسطة وفاصلة انما هو السقوط من الجنة الصورية الى يحاذيها فى المراتب الصعودية العودية جنة اصحاب اليمين الذينهم المحشورون بالصور والقوالب الجسمانية وهو المعروف بعالم المثال الواسطة بين العالمين عالم الروحانى المعنوى العقلانى و عالم الطبيعى الجسمانى الهيولانى (نورى قدس سره)

٢ــ و هو موت البدن يقوم الساعة والقيامة الصغرى، ولعدم النفس يقوم الساعة والقيامة الوسطى، ولعدم الروح يقوم الساعة والقيامة الكبرى . (نورى قدس سره)

٣ــ يعنى من هذا العدم انقلاب الوجود الصورى الملكوتى المثالى المجرد عن المادة الهيولانية والمدة الزمانية بوجود الروحانى المعنوى المجرد عن الصورة وعن المادة والمدة الواسطة بين عالم اليوم الالهى السرمدى وبين اليوم النفسانى الدهرى الصورى المعروفة باليوم الربوبى وذلك العالم الواسط برزخ روحانى بين الوجود الحقانى و بين الوجود الامكانى الصورى المجرد و الوجود الهيولانى و بنفخة الفزع ينتقل الارواح من القوالب الصورية الى ذلك العالم الواسط الروحانى الغير الحقانى ثم ينتقل تلك الارواح بنفخة الصعق الى الوجود الحقانى الذى هو عالم وجه الله الباقى ببقاء الله (نورى قدس سره)

هذا السبيل و الذهاب من الدنيا الى الجنة، ثم الى جوار الله هو العود الى الفطرة و التوجه من النقص الى الكمال، ولا محالة رجوع الخلايق الى خالقهم يكون على هذا السبيل، «الله يبدء الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون» فالاول هو افول النور و غروب الشمس، «الله نور السموات و الارض»، و الثانى هو صعود الكلمة و طلوع الشمس من مغربها، فالعبارة من الاول ليلة القدر، و العباره من الثانى يوم القيامة، ففى ليلة القدر «تنـزل الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل امر»، وفى يوم القيامة «تعرج الملائكة و الروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة.»

المشهد الثانی

فی الاشارة الی علم الساعة و سر القیامة و فیه قواعد:

قاعـدة

فی معنی الساعة

قال صاحب الکشف انما سمیت الساعة ساعة لانها تسعی الیها النفوس، لابقطع المسافات المکانیة بل بقطع الانفاس الزمانیة بحرکة جوهریـة ذاتیة و توجه غریزی الی الله تعالی، کما بینا فی لمیة ضرورة المـوت الطبیعی، فمن مات وصلت الیه ساعته و قامت قیامته، و هی ساعة القیامة الصغری، و علی هذا القیاس حصول یوم القیامة العظمی و الطامة الکبری التی لساعات الانفاس کالیوم للساعات او کالسنة للایام.

و اعلم ان اهل المعرفة و الیقین لایشکون فی امر الساعـة ولا ینتظرون قیامها، کانتظار اهل الحجاب و الغفلة الذین یشکون فی وقوعها، و یسئلون عن وقتها، «و یقولون متی هذا الوعد ان کنتم صادقین»، بل اهل الیقین یستعدون لقائها و یرونها کانها قائمة علیهم، کما فی قوله تعالی: وما یدریك لعل الساعة قریب یستعجل بها الذین لایؤمنون بها و الذین آمنوا مشفقون منها و یعلمون انها الحق الا ان الذین یمارون فی الساعة لفی ضلال بعید، و قوله: یسئلونك عن الساعة قل علمها عند ربی فی کتاب لایجلیها لوقتها الاهو ثقلت فی السموات و الارض، و قوله: و یقولون متی هذا الوعد

ان کنتم صادقین، قل لااملك لنفسی ضراً ولا نفعا الا ماشاءالله لکل امة اجل اذا جاء اجلهم فلایستأخرون ساعة ولایستقدمون، وقوله: یسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله لعل الساعة تکون قریبا، و قوله: ان الساعة لاتیة لاریب فیها ولکن اکثر الناس لایؤمنون.

قال بعض اهل المعرفة: الحق الذی لاشك فیه ان علم الساعةمردود الی الله، کما قال: الیه یرد علم الساعة، و لیس للمحجوبین ان یؤمنوا بشیء من اسرارها و اشراطها، الا کایمان الاکمه بالالوان من طریق الایمان بالغیب، کما قال تعالی: یؤمنون بالغیب، وکما ان مدرکات العقل اسرار علی الحواس فکذلك مدرکات القیامة اسرار علی العقل النظری، فلایتصور ان یحیط بها احد مادام فی الدنیا ولم‌یتخلص عقله عن اسر الوهم و قید الخیال، و قول الکفار «متی هذا الوعد ان کنتم صادقین» سؤال عمایستحیل الجواب عنه علی موجبه، فان امر الساعة کان کلمح البصر او هو اقرب، و متی سؤال عن زمان معین للحرکات والمتحرکات الزمانیة، فاستحال الجواب عنه، و هو کقول القایل الاکه اذا وصفنا له المبصرات من الالوان وغیرها کیف نشم او نذوق هذه الالوان، و الجواب الحق عن ذلك ان العلم بها عنه، و هو کقول القایل الاکمه اذا وصفنا له المبصرات من الالوان وغیرها ان یقال لهم ان العلم بذلك عند الله، فمن رجع الی الله تعالی و حشر الیه کان یعرف حینئذ علم الساعة و انه عند الله کما قال: و عنده علم الساعة ولا تمترن بها.

و اعلم ان اهل الحجاب و اصحاب الظن و الارتیاب یزعمون یوم القیامة بعیداً عن الانسان بحسب الزمان کما قال: وما اظن الساعة قائمة، و غائبا عنه بحسب المکان، کما قال: و یقذفون بالغیب من مکان بعید، و اما اهل العلم و الیقین فیرونه قریبا بحسب الزمان کما قال: اقتربت الساعة و انشق القمر، ویرونه حاضراً بحسب المکان کما قال: و اخذوا من مکان قریب، و قوله: یوم یرونه بعیدا و نریه قریباً، و کان نبینا صلی الله علیه‌وآله یشاهد الجنة و خازنها و یتناول من ثمارها، و کان ایضاً یشاهد النار و

يستعيذ بالله من شرها و حرها، كما روى عنه فى حال صلوة الكسوف، و لذلك لم يحكم ولم يصدق بكون حارثة مؤمنا حقا مالم يكن مشاهداً لامور الاخرة و احوال الجنة و اهلها و احوال النار و اصحابها بعين اليقين، اذ سئله كيف اصبحت قال اصبحت مؤمناً حقا، قال صلى الله عليه وآله لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك، قال رأيت اهل الجنة فى الجنة يتزاورون و اهل النار فى النار يتعاوون الحديث.

قاعـدة

فى سر القيامة و زمانها و مكانها

اعلم ان القيامة كما مرت اليه الاشارة من داخل حجب السموات و الارض، و منزلتها من هذه الحجب كمنزلة الجنين من الرحم لامه، و لذلك لايقوم القيامة الا «اذا زلزلت الارض زلزالها و اخرجت الارض اثقالها، و اذا السماء انشقت و اذنت لربها و حقت و اذا الارض مدت والقت مافيها و تخلت و اذنت لربها و حقت، و اذا السماء انفطرت و اذا الكواكب انتثرت، و اذا الشمس كورت و اذا النجوم انكدرت و اذا البحار فجرت و اذا القبور بعثرت و اذا النجوم طمست و اذا السماء فرجت و اذا الجبال نسفت و اذا البحار سجرت و اذا الصحف نشرت و اذا السماء كشطت و اذا الجحيم سعرت و اذا الجنة ازلفت علمت نفس ما قدمت و اخرت، يوم ترجف الراجفة، يوم يتذكر الانسان ماسعى و برزت الجحيم لمن يرى يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجاً و فتحت السماء فكانت ابواباً و سيرت الجبال فكانت سراباً، يوم ترجف الارض و الجبال و كانت الجبال كثيباً مهيلا، يوم يجعل الولدان شيباً السماء منفطر به، فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة و حملت الارض و الجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة و انشقت السماء فهى يومئذ واهيه، يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كأنهم الى نصب يوفضون، يوم ينظر المرء ماقدمت يداه، يوم لاتملك

نفس لنفس شیئا و الامر یومئذ لله، یوم تبلی السرائر، اذا بعثر ما فی القبور و حصل ما فی الصدور»، فمادام السالك خارج حجب السموات و الارض فلاتقوم له القیامة، لان القیامة کما مر داخل هذه الحجب عند الله، و عنده علم الساعة، و قوله صلی الله علیه و آله: لاتقوم الساعة وفی وجه الارض من یقول الله الله، اشارة الی ان الرجل مادام خارج الحجب فالقیمة سر علی علمه، فاذا قطع الحجب و تبحبح[1] فی حضرة العندیة سارت القیامة علانیة عنده بعد ما کانت غیباً عنه و لذلك لم یجز ان یری الله ولا امور الاخرة لانبی ولاولی مادام فی الدنیا، و ما لم یصر الابصار بصائر، و ان نبیاً صلی الله علیه و آله انما کانت القیامة علانیة عنده حین قطع حجب السموات و الارض و نفذ من اقطارها «فاوحی الی عبده ما اوحی ماکذب الفؤاد مارأی افتمارونه علی مایری ولقد راه نزلة اخری عند سدرة المنتهی عندها جنة المأوی اذ یغشی السدرة مایغشی ما زاغ البصر و ماطغی لقد رأی من آیات ربه الکبری»، ثم اذا رجع الی مستقره و مهبطه من خارج هذه الحجب صار ذلك الشهود عنده سرا و غیباً، و انقلبت المعاینة خبراً کما کان قبل العروج، و انما کان عینا و علانیة حین قطع حجب السموات و الارض وکان من وراء الحجب، و علی الجملة فالسر سر ابداً حیث هو سر، و العلانیة علانیة حیث هی علانیة.

و اعلم ان سر القیامة من الاسرار العظیمة التی لم یجز للانبیاء علیهم السلم کشفها، لانهم من حیث کونهم رسلا اصحاب شرایع، و القیامة یوم جزاء بلاعمل، و یوم الشریعة یوم عمل بلاجزاء، و تعب بلاثواب، و الاولیاء اهل قیامة من حیث ولایتهم و قربهم عند الله، کما فی قوله صلی الله علیه و آله: لی مع الله وقت لایسعنی فیه ملك مقرب و لانبی مرسل، اخبر عن حاله و مرتبته الباطنیة، و اما حاله فی غیر ذلك المقام فکما فی قوله تعالی: ما ادری مایفعل بی ولابکم ان الحکم الا لله، و قوله: و یسئلونك عن الساعة

۱ــ اذا تمکن و توسط المنزل والمقام

ايان مرسيها فيم انت من ذكريها الى ربك منتهيها انما انت منذر من يخشيها، و قوله: انما انت منذر و لكل قوم هاد، قال لعلى عليه‌السلم: انا المنذر و انت الهادى، و بالجملة الشريعة هى المشرع العام و القيامة هى المقصد و الغاية، فصاحب الشريعة من حيث هو كذلك يقول «لااعلم الغيب ولااقول لكم انى ملك ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسنى السوء».

تبصرة عقلية

لايخفى عليك ان الدنيا كون ناقص و مافيها اكوان ناقصة، و جواهرها جواهر ضعيفة الوجود متعلقة الذوات بغيرها، و لنقص جواهرها و ضعف وجودها التدريجى يحتاج النفوس الادمية مادامت فيها كالاطفال الى مهدودراية، فالمهد كالمكان، و الداية كالزمان، فكل من الزمان و المكان لغاية ضعف وجودها غير مجتمع الوجود ولا قار الذات، فوجود كل جزء من الزمان يقتضى غيبة صاحبه، و حضور كل حصة من المكان يستدعى فقد صاحبه، و اما وجود الاخرة فهى كون تام مستقل بنفسه، مستكف بذاته، و كذا الموجودات الاخروية، فهى اكوان ثابتة قائمة بذاتها و بذات مبدعها و منشئها بريئة الذوات عن القوة و الاستعداد، و عن الافتقار الى الازمنة و المواد، و انما هى مفتقرة بمبدئها الجواد، «الملك يومئذ لله و كل آتيه يوم القيامة فردا»، فليس لمكان الاخرة انقسام و انفصال ولاانصرام و زوال، ولا لزمانها تجدد و انقضاء، و لاشروع و انتهاء، بل هذان على هذا النحو مسلوبان هناك، لكن اذا اريد ان يخبر عنهما لاهل هذا العالم، المقيدين بسلاسل الزمان و اغلال المكان، لايمكن ذلك الا بضرب من المثال، فاذا اشير الى زمان الاخرة و اجيب عن السئوال عن متاها يعبر عنه باقل زمان و الطفه، و هو مايسميه الجمهور الان، «وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب»، و اذا اشير الى مكانها و اجيب عن اينها، يعبر عنه باوسع مكان فيقال «جنة عرضها كعرض السماء و الارض» وقد مر ان الامر الابداع مثل امر الاعادة، قوله: كما بدأكم تعودون، و قوله: كما بدأنا اول

خلق نعيده، و الاول غير زمانى، «وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر»، فكذا الثانى «وما امر الساعة الا كلمح البصر، ما خلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة».

حكمة كشفية

قال صاحب الكشف: القيامة قيامتان، الصغرى و هى معلومة، من مات فقد قامت قيامته، و الكبرى و وقتها مبهمة ولها ميعاد عند الله، و من وقتها فهو كاذب لقوله صلى الله عليه و آله: كذب الوقاتون، و كل ما فى القيامة الكبرى فله نظير فى الصغرى، لما علمت ان الانسان عالم صغير و احواله انموزج من احوال الانسان الكبير، و مفتاح معرفة هذه الحقايق معرفة النفس الانسانية، و قس الاخرة بالاولى، و الموت بالولادة، و الولادة الكبرى بالولادة الصغرى، و الدنيا بالام و القبر بالرحم، و البدن بالمشيمة، فمن اراد ان يعرف معنى القيامة الكبرى و ظهور الحق بالوحدة التامة، و طى السموات و قبض الارض، و اندراس الازمنة و الامكنة، و اضمحلال المواد و الاشخاص، و رجوع الخلايق كلهم الى الله، و عود الروح الأعظم و مظاهره و آثاره اليه تعالى، و فناء الكل عنده حتى الافلاك و الاملاك و النفوس والارواح، كما قال: فصعق من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله، و هم الذين سبقت لهم القيامة الكبرى، فليتأمل فى القواعد السابقة و الشواهد الماضية، من اثبات الحركة الجوهرية و الاستحالة الذاتية، و توجه كل سافل الى عال، و رجوع كل شىء الى اصله، و عود كل ناقص الى كماله، و من اثبات الغايات الذاتية للاشياء الطبيعية وافاعيلها الذاتية، فمامن موجود الا ويقع له الرجوع الى الله يوماً، ولو بعد احقاب و اكوار كثيرة، اما بموت او فناء او استحالة او انقلاب، فكل حركة و انقلاب لابد له من غاية و لغايته ايضاً غاية الى ان ينتهى الى غاية يجتمع فيها الغايات، و هى يوم واحد الهى، بل لحظة واحدة او اقرب منها، حاوية لجميع الاوقات و الازمنة و الانات التى يقع فيها النهايات، كما ان جميع البدايات يبتدى

من بداية واحدة لمبدء واحد يتشعب منه كل بداية و مبدء اثر.

و من تنور باطنه بنور اليقين، و شاهد حشر جميع القوى الانسانية مع تباينها و اختلاف ماهياتها و هوياتها الى ذات واحدة بسيطة روحانية، و رجوعها اليها و استهلاكها فيها، كما انها نشأت[1] و انبسطت منها و تكثرت بوحدتها، فالروح منه انبساط اشعة القوى على مواضع البدن، و اليه رجوع انوارها من محابس مظاهرها، هان عليه التصديق برجوع الكل الى الواحد القهار، و سهل له سلوك سبيل الاهتداء لهذا المطلب الشريف الذى اكثر الخلق عنه غافلون، و هو «النباء العظيم الذى عنه معرضون».

اما شاهدت يا حبيبى تبدل اجزاء العالم و طبايعها فى كل لحظة؟ و اما رأيت انها متزايلة متبدلة دائما بعضها الى بعض بحركة جوهرية ذاتيه و توجهاً جبلياً الى مبدئها و اصلها، كما قال: و لله ميراث السموات والارض، و قال: الا الى الله تصير الامور، قل كونوا حجارة او حديداً[2] او خلقا مما يكبر فى صدوركم.

قاعـدة

فى معرفة طريق الاخرة و منشأ اعراض الخلق عن سلوكها

اعلم ان طريق الاخرة سهلة يسيره غير وعرة ولا صعبة، و النفوس مجبولة على سلوكها، لانها التى وقع المرور عليها عند المجىء من ذلك العالم الى الدنيا، وقد علمت ان الطبايع كلها متوجهة الى الغايات، ثم ان هذا الطريق واضحة و العلامات منصوبة، و الهـداة قائمون، و القـواد موجودون، و المعلمون من قبل الله مرسلون، و الكتب و الرسائل منزلة، كما قال تعالى: لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان، وقوله: و

۱ــ تعليل ودليل الرجوع القوى الى ماانشأت منه كما بدأكم تعودون (نورى قدس سره)

۲ــ كأنه اشارة الى عموم رجوع كل شىء باية صورة كانت و رجعت و عادت فافهم كما قال لايعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء الا انه بكل شىء محيط (نورى قدس سره)

انزلنا اليك آيات بينات وقوله:قد جائكم بصائر من ربكم، وقوله: قدجائكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه، الى غير ذلك من الايات و الحجج و البينات، و مع ذلك فالناس غافلون عنها معرضون عن سلوك الاخرة، كما قال: و ان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون، و قوله: و كاين من آية فى السموات و الارض يمرون عليها و هم عنها معرضون، اشارة الى انهم مع كونهم مارين على منازل الاخرة بحسب الغريزة و الطبع معرضون عنها بحسب الارادة و الكسب، لافة و مرض قد طرئت على نفوسهم، و غيرتها عما جبلت عليه، و قوله: ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً، و قوله: قل هو نباء عظيم انتم عنه معرضون، و اما سبب اعراضهم عن سلوك طريق الاخرة فهو اشياء كثيرة، لكن مع كثرتها و كثرة شعبها مندرجة تحت ثلاثة امور، كما قيل: رؤساء الشياطين ثلاثة، شوائب الطبيعة، و وساوس العادة، و نواميس الامثلة.

اما الاولى فعبارة عن دواعى الطبيعة و شهوات النفس و الهوى المشار اليها فى قوله تعالى: زين للناس حب الشهوات من النساء و البنين الى قوله ذلك متاع الحيوة الدنيا، و هى كلها حجب و اغطية على القلوب اذا استغرقت فيها و استحكمت تصير غشاوة و طبعاً ورينا على مرآة القلب، و عمى على عينه، و وقراً على اذنه، كما فى قوله تعالى: فاغشيناهم فهم لايبصرون و سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه و فى آذانهم وقرا، و قوله: و ان تدعوهم الى الهدى لايسمعوا، و قوله: و تريهم ينظرون اليك وهم لايبصرون، وقوله: صم بكم عمى فهم لايعقلون، و ذلك لان السمع و البصر و غيرهما من المدارك التى يمكن بها ادراك الامور الاخرة ليست هذه الظواهر المادية التى اشتركت فيها ساير الحيوانات مع الانسان، بل هذه قشور و ملابس على تلك الحواس التى تدرك بها امور الاخرة، كما ان مدركات هذه المشاعر قشور و قبور و حجب على مدركات تلك المشاعر، و هى الصور الموعودة فى الجنان، المستورة عن اعين الخلايق من الانس و الجان، كما قال: ولاتعلم نفس ما

اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون، و ادراكها متوقف على نزعها من القشور و اخراجها عن موادها التى هى كالقبور، «كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره» و انما يتذكر اولوا الالباب و الابصار، فمن نظر اعتبر ومن اعتبر عبر.

و اما وساوس العادة فهى تسويلات النفس الامارة بالسوء و تزيينها الاعمال الغير الصالحة، و ترويجها الاعتقادات الكاسدة، و تصويرها الاراء الفاسدة بصورة الحق، و منشأها قوة الخيال و الوهم، كما ان منشأ القسم الاول قوة الطبع و الحس، «قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا و هم يحسبون انهم يحسنون صنعاً.

و اما نواميس الامثلة فهى كمتابعة اهل الضلال و تقليد المشهورين بالفضل و الدراية، و استهواء الشياطين من الانس، اعنى علماء السوء، و اجابة دعوتهم و تتبع آرائهم الفاسدة و اقتفاء آثارهم المغوية المضلة، قوله تعالى: و ان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن و ان هم الا يخرصون، ان الظن لايغنى من الحق شيئا، و قالوا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن و الانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين، و قالوا ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفاً من النار، و هذا سد عظيم و حجاب شديد وقع على اكثر الناس اعنى تقليد الجهال المتشبهين بالعلماء، من الجدليين الضالين المضلين المكذبين لانبياء الله وهم لايشعرون، و هم الذين قال الله فيهم: و من الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله، و قال: من الناس من يجادل فى الله بغير علم و يتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله و يهديه الى عذاب السعير، و قال: افرأيت من اتخذ الهه هويه و اضله الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون.

قاعدة

فی نتایج الاعراض عن سلوك سمت المعاد بتکمیل النفس و تطهیرها، و تنویر القلب و تهذیبه، و هی الظلمة و ضیق الصدر و عذاب القبر و الاحتراق بنار الجحیم و الحرمان عن لذات النعیم و الاحتجاب عن جمال رب العالمین.

و ذلك لما مران قوام النشأة و حیوة القلب انما یکون بالعلم والمعرفة فمن لاعلم له لاقوام لنفسه ولاحیوة لقلبه و لانور له.

و اعلم ان دارالاخرة دارحیوانیة علمیة،و وجودها وجود ادراکی، لیست کدار الدنیا التی هی دارالموت و الزوال و الجهل و الظلمة، قال تعالی ان الدار الاخرة لهی الحیوان لو کانوا یعلمون، فبقدر نورالمرفة تکون قوة السعی و سرعة المشی الی منازل الاخرة، قال یوم تری المؤمنین والمؤمنات یسعی نورهم بین ایدیهم و بایمانهم، فمن لا نور له لاعیش له هناك، قوله و من اعرض عن ذکری فان له معیشة ضنکا و نحشره یوم القیامة اعمی.

واعلم ان للعمی مراتب، اعنی عمی القلب الحقیقی «فانها لاتعمی الابصار ولکن تعمی القلوب التی فی الصدور»، والمراد من الصدر ایضاً الصدر المعنوی الذی هوالنفس الحیوانیة البشریه المدرکة للجزئیات، و تلك المراتب هی مثل الغشاوة،فاغشیناهم فهم لایبصرون، والختم، «ختم الله علی قلوبهم»،والطبع، «بل طبع الله علیها بکفرهم»،والرین «کلا بل ران علی قلوبهم ما کانوا یکسبون»، و هذا غایة مراتب العمی المؤدیة الی الحرمان و الیأس و اعظم الحجب الاحتجاب من الحق، «کلا انهم عن ربهم یومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحیم».

المشهد الثالث

فی تحقیق القبر و عذابه و ثوابه

قال بعض الاکابر ان نفس الانسان اذا تجردت عن البدن ربما لا یتجرد یتجرد عن آثاره و غباره، بل یصحبها الهیئات المکتسبة، و هی عند الموت عارفة بمفارقة البدن عن دار الدنیا[1]، مدرکة ذاتها بقوتها الوهمیة عین الانسان المقبور الذی مات علی صورته، کما کان فی الرؤیا یشاهد نفسها علی صورته التی کانت فی الخارج بعینها، و یشاهد الامور مشاهدة عیان بحسها الباطنی، و یشاهد الالام الواصلة الیها علی سبیل العقوبات الحسیة علی ماوردت به الشرایع الحقة، وهو عذاب القبر، و ان کانت سعیدة فیتصور ذاتها و صور اعمالها و نتایج ملکاتها و سایر المواعید النبویة علی وفق ما کانت تعتقده او فوق مایتصوره، فهذا ثواب القبر، ولذلك قال النبی صلی الله علیه و آله

۱ــ البدن العنصری الحی بالحیوة الدنیاویة، فهذا البدن العنصری الذی هو من المرکبات العنصریة و من الموجودات الدنیویة التی وجودها عین الموجودات الدنیاویة بما هی دنیویة، کیف یتصور و یتعقل مفارقته عن دار الدنیا و خروجه عنها الی دار اخری غیر دار الدنیا لاستلزام هذه المفارقة و الخروج مفارقة الشیء عن نفسه و انفکاکه عنهما، وانفکاك الشیء الشخصی بعینه عن نفسه من الامور النسبیة الاستحالیة وان ارادمنه البدن الاخروی المعروف بالقالب المثالی و هو الصورة المثالیة الملکوتیة التی هی بعینها الروح النفسانیة المعروفة بالحس الباطن ویسمی بالقوة الخیالیة والصورة الخیالیة فهذه المفارقة فرع القول بتجرد قوة الخیال و بوجود عالم المثال الصوری وبوجود البعد المجرد عن المادة والمدة وهذا الشیخ ومن یحذو حذوه لایقولون و لایمکن لهم القول بذلك والحق علی مشربه الکدر هو الاحتمال الاول و هو کماتری اظهر نافلاتغفل (نوری قدس سره)

القبر روضة من رياض الجنة اوحفرة من حفر النيران، فالقبر الحقيقى هذه الهيآت و عذابه و ثوابه ماذكرناه انتهى كلامه.

واعلم ان ما ذكره هذا العالم النحرير غاية مايمكن ان يقول هوو من يحذ و حذوه من الذين زعموا ان الجزء الباقى من الانسان بعد الموت ليس الا جوهراً عقليا لايصحبه قوة الخيال فضلا عن قوة الحس فصعب عليهم اثبات عذاب القبر وثوابه على الوجه الادراك الجزئى الحسى.

واما نحن بحمدالله فلماذهبنا الى ان للانسان غير هذا القشر الطبيعى بدنا نفسانياذاحواس جزئية من السمع والبصر والذوق والشم واللمس، يدرك بهاالصور والاشكال الاخروية من المثوبات والعقوبات الموعودة فى لسان النبوات، فلايعسر علينا اثبات كثير من امورالقيامة و ما بعدالموت على الوجه المسموع المنقول.

ثم العجب من هذا القايل و من فى طبقته كيف يمكنهم اثبات هذه الادراكات الجزئية بعد الموت، لانها التى يتوقف عندهم على الالات الجسمانية والقوى الطبيعية المادية، والوهم ايضاً عندهم قوة قائمة بجزء من الدماغ فكيف يبقى العرض بعد فساد موضوعه، والحق عندنا ان الجوهر المتخيل الحساس من الانسان امر باق بعد الموت الطبيعى.

قال اعظم المحدثين ابوجعفر محمدبن على بن بابويه طاب ثراه: اعتقادنا فى المسائلة فى القبر انها حق لابد منها، فمن اجاب بالصواب فاز بروح و ريحان فى قبره و بجنة نعيم فى الاخرة، ومن لم يجب بالصواب فله نزل من حميم فى قبره و تصلية جحيم فى الاخرة، واكثر مايكون فى عذاب القبر من النميمة و سوء الخلق والاستخفاف بالبول، و اشد مايكون عذاب القبر على المؤمن، مثل اختلاج العين او شرطة الحجام و يكون ذلك كفارة لما بقى من الذنوب التى لم تكفرها الهموم والغموم والامراض، وشدة النزع عندالموت.

قال بعض اهل الكشف و الشهود كل من كشف الغطاء عن بصيرته و شاهد بعين القلب باطنه فى الدنيا، لرآه مشحونا بانواع الموذيات و اصناف السباع، مصورة عنده مثل صورة الغضب و الشهوة والحقد والحسد والكبر

و العجب و الريا، اذ لكل من هذه المعانى صورة فى الباطن كما لها صورة فى الدنيا، لكن صورتها التى فى الدنيا مغشوشة بغيرها، مغموسة فى مادتها ممنوعة عن تأثيرها بعوايق خارجية.

فسبع الدنيا يمكن الاحتراز عنها بمانع او حجاب او عدم قصد من جانبه اوغير ذلك، بخلاف السبع الباطنى فان كله حقيقةالسبعية، وهو مع ذلك متمكن من صميم قلب من رسخت ملكةالسبعية فيه، و كذلك الحيات والعقارب التى فى البرزخ او فى الاخرة، فانها لازمة الايلام والايذاء من غير دافع ولامعارض، لانها صور خالصة بلاامتزاج بغيرها ولاافتراق و انفكاك بعد، اذالصور كلها فى القيامة صور محضة بسيطة غير مشوبة بغواش و ملابس و مواد، وكذا نارالاخرة ليست كنارالدنيا ممزوجة بغيرها من دخان اوهواء او مادة حطب اوفتيلة دهن اوغيرها، بل نارمحضة قطاعة «نزاعة للشوى تدعوا من ادبر و تولى».

وقد ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله فى عذاب القبر انه قال هل تدرون فيماذا انزلت «فان له معيشة ضنكا»؟ قالوا الله و رسوله اعلم، قال عذاب الكافر فى قبره ان يسلط عليه تسعة و تسعون تنينا، هل تدرون ماالتنين؟ تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤس ينهشونه ويلحسونه و ينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون، فانظر ياعارف بين التدبر والاعتبار فى هذا الحديث و تبصرواهتد.

فانى و الحمدلله اعلم بعين اليقين ان هذا الحديث ونظائره الواردة من طريق الكتاب والسنة فى احوال القيامة واهوالها حق و صدق، فآمنت بها ايمانا عيانياً مقروناً بالكشف والشهود «وبصرت بمالم يبصروا وجئتك من سبأ بنبأ يقين»، ولست كالمتفلسف الجاهل باحكام الاخرة و احوال القيامة ينكر هذا وامثاله ويجحدها، و يقول انى نظرت فى قبر فلان فلم ارشيئا من تلك الحيات اصلا، وليعلم الجاهل المتفلسف العنين فى معرفةالله و اليوم الاخران هذا التنين له صورة غائبة عن هذا الحواس، اذ مدركاتها مختصة بماله وضع مادى بالنسبة الى محل الحس الداثر، و لاجل ذلك

لم يقع الاحساس بهذا التنين ومايجرى مجراه من حيات الاخرة و موذياتها ولدغها وايلامها لخدر الطبيعة و غشاوة الحس الظاهرى، و ان تلك الحيات والموذيات ليست لها صور خارجة عن ذات الميت، اعنى صميم قلبه و عين باطنه ونفسه المصورة فى القيامة بصورة اخلاقه و اعماله، و قد مرت الاشارة الى ان الصور المحسوسة بماهى محسوسة بالذات متحد بالجوهر الحاس، بل الروح هى بالحقيقه الحساس اللامس الذايق الشام، و هى التى يتألم و يلتذ و يتنعم و يتعذب فى الدنيا والاخرة جمعياً، لكن فى الدنيا مع غواش و ظلمات و ملابس، وهى خالصة يوم القيامة، فصورة هـذا التنين كانت مع الكافر المنافق قبل موته ايضا متمكنة من باطنه، لكن لم يكن شاعرا بهذه الحيات و رؤسها و مباديها و صورها و موادها المعنوية، لخدر حسه و غشاوة طبعه وامور شاغلة له عن دركها، و حجب حاجبة اياها عن بصيرته، لغلبة الشهوات و الاغراض، فما احس بلدغ هذا التنين و عدد هذه الحيات التى عددها بقدر عدد الشهوات و عدد رؤسها بقدر عدد الاخلاق النفسانية الردية التى هى مبادى الشهوات.

قال بعض العلماء: اصل هذا التنين حب الدنيا التى هى رأس كل خطيئة، ويتشعب منه رؤس بعد دما يتشعب من حب الدنيا من الاخلاق الذميمة و ما يتبعها من الشهوات، و اصل هذ التنين معلوم بنور البصيرة، وكذا كثرة رؤسه، و اما انحصاره فيما ورد فى الحديث المذكور فانما توقف عليها بنور النبوة لاغير، فهذا التنين متمكن من صميم فوأد الكافر لالمجرد كفره بالله و جهله البسيط، بل لما يدعوه اليه كفره من حب الدنيا، كما قال: ذلك بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة.

۱ــ لسعه .

المشهد الرابع
فی البعث و الحشر

قاعدة

اماالبعث فهو خروج النفس عن غبار الهيأت البدنية المحيطةبها، كما يخرج الجنين من القرار المكين، و مدة كون الميت فی القبر ككون الجنين فی الرحم، ونسبة حالة القبر الی حالة البعث كنسبة الجنين الی المولود، قوله تعالی و من ورائهم برزخ الی يوم يبعثون، و قد مرت الاشارة الی ان للانسان انحاء مـن الوجود بعضها اقوی و اتم من بعض، و ان له بعد هذه النشأة العنصرية نشآت اخری، واما قول صاحب الاحياء ان دنياك و آخرتك ليستا الا حالتاك، و هما من جنس المضاف، فليس كما ينبغی الا ان يراد بالحالة نحو من الوجود الجوهری، و ليس المراد من كون الدنيا و الاخری امران اضافيان، ان هوية الانسان نحو واحد من الوجود، يكون اولا فی هذا العالم و ثانياً فی ذلك العالم من غير تحول جوهری و حركة معنوية، بل الدنيويه و الاخروية و الاولية و الاخرية صفتان جوهريتان له، و طوران وجوديتان لذاته لما سبق، من ان الانسان من لدن حدوثه يشتد وجوده شيئا فشيئا و يتطور فی الاطوار الوجوديه تدريجاً، الا ان الدنيا جامعة لطائفة من تلك الاطوار و الاخرة جامعة لمابعد هذه الاطوار الی مالا نهاية له، و جميع الاطوار الدنياوية علی تفاوتها فی الدنائة و الشرف خسيسته دنيـة

بالقياس الى الاطوار الاخروية، ولهذا المعنى يصح ان يقال انهما واقعتان تحت جنس المضاف، وا ليه الاشارة بقوله ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون، فكل من علم ان هذه النشأه الدنيوية من اوايل تكوناته الطبيعية الواقعه فيه على التدريج، يعلم ان ذاته متوجهة دائما من نشأة ادنى الى نشأة اخرى، و ان له اطوار مختلفة بعضها بعد بعض، على سبيل منازل السفر الى الله تعالى بعض هذه المنازل فى الدنيا و بعضها فى الاخرى، فاصل مادة وجوده من الدنيا، و كذا صورته العنصرية ثم الصورة النباتية ثم الصورة الحسية كلها من الدنيا، وبعد هذه الاطوار نشأة النفس ثم القلب والروح والسر والخفى، و ماوراه كلها من الاخرة «وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا».

و اقوى البراهين عندنا فى تحقيق النشأة الاخرة هو المأخوذ من اثبات الغاية فى الحركات الطبيعية سيما الحركة الجوهرية الانسانية، لانها واقعة فى جميع الحدود الامكانية من ادونها، كالنطفة بل التراب الى اعلاها اذا قطع بها القوس الصعودية كلها، و لهذا وقع هذا السياق من البرهان فى كثير من آيات القرآن مثل قوله، كيف تكفرون بالله و كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون، يعنى كنتم امـواتا قبل ولوج الروح الحيوانى فيكم كساير النباتات والجمادات، فاحياكم بهذه الحيوة الحسية، ثم يميتكم عن هذه الحيوة الطبيعية بافادة الحيوة النفسانية الروحانية، ثم اليه ترجعون بحيوة اخرى قدسية، و قوله حكاية عمن قال فى جواب من قال، و ماأظن الساعة قائمة، قال له صاحبه و هويحاوره اكفرت بالذى خلقك، من تراب ثم من نطفة ثم سويك رجلا، و قوله يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة و غير مخلقة لنبين لكم و نقر فى الارحام مانشاء ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم، الى هنا من الاطوار الدنياوية، ولابد لهذه الحركة الذاتية من غاية فى الطبيعة، والا لكانت عبثاً و باطلا، و تلك الغاية لابد ان يكون امراً خارجاً عن حدود الدنيا لوقوع المرور على مراتبها كلها، والغاية بالضرورة خارجة عن حدود المسافة و مراحلها، فهى من منازل الاخرة، و هى لاتحصل الا

بعدالموت والبعث، فالموت هوآخر منزل من منازل الدنيا و اول منزل من منازل العقبى، ولاجل هذا قال: ذلك بأن‌الله هوالحق و انه يحيى‌الموتى و انه على كل شئى قدير و ان الساعة آتية لاريب فيهـا و ان‌الله يبعث من فى‌القبور، و قال ايضا: ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك‌الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون، ثم انكم يوم القيامة تبعثون، و قال: افحسبتم انما خلقناكم عبثا و انكم الينا لاترجعون، و قال: ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من منى‌يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى و جعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيى‌الموتى، و قوله: اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين و ضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام و هى‌رميم قل‌يحييها الذى انشأها اول مرة و هو بكل خلق عليم،، الى غير ذلك من الايات التى وقع الاستدلال بها على ثبوت البعث تارة من‌جهة اثبات‌الغايات، و تارة من جهة‌البدايات، فان للانسان نشآت بعد هذه‌النشأة الطبيعية، كما ان له نشآت سابقة على هذه، والقوم ربما ذهلوا عن بعض مقاماته اللاحقة او كلها، كما انهم ربما غفلوا عن بعض‌مقاماته السابقة،فتارة انكروا بعض‌مراتب المعاد و منازل النفس كالظاهريين المنكرين للمعاد الروحانى و كالفلاسفة المنكرين للمعاد الجسمانى، و تارة كلها كالدهريه المنكرين للمعاديـن جميعاً الزاعمين ان الانسان اذا مات بطل، «قالوا ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر»، كما انهم ربما انكروا ان كان للانسان كينونة سابقة على حدوث هذا البدن، كاتباع ارسطو المنكرين لتقدم النفس على البدن تقدماً عقليا كما رآه افلاطون و من قبله، و اما اهل‌المعرفة و الشهود المقتبسون انوار الحكمة من مشكوة النبـوة فيعلمون ان للانسان نشآت وجودية بعد هذا الوجود، و نشآت وجودية قبله، كل بازاء نظيره قال تعالى اشارة الى بعض المقامات السابقة: واذا اخذ ربك، من بنـى‌آدم من ظهورهم ذريتهم و اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الاية، اى

اخذ ارواحهم من ظهور آبائهم العقلية، فهذا مقام عقلی تفصیلی[1] لافراد الناس بعد وجود اعیانهم فی علم‌الله علی وجه بسیط عقلی، و قال اشارة الی مقام آخر بعدالمقامین المذکورین: یا آدم اسکن انت و زوجك الجنة فکلا منها رغدا حیث شئتما الایة، فهذه ایضا نشأة سابقة للانسان علی نشأته الدنیاویة، فاذا ثبت ان‌له اطواراً سابقة علی هذاالوجود ثبت ان له‌العودالیها تارة اخری، اما سعیداً، او شقیاً محبوساً فی بعض المحابس و السجون.

و بالجملة من علم انه من این یجیء الی هذه‌الدار، یعلم انه الی این یذهب، بقوله: کما بدأنا اول خلق نعیده وعداً علینا انا کنا فاعلین، وقوله کما بدئکم تعودون فریقاً هدی و فریقا حق علیهم الضلالة.

تنبیه استبصاری

اعلم ان الانسان لو علم ذهاب بدنه و قلد طبیعته فی السلوك الی الکمال، و سلك فی ذهاب نفسه و تصرف احوالها کما سلك فی مذهب‌جسده و صورة بدنه، سیبلغ اقصی الغایات انشاءالله، فما سلکت فیه طبیعة بدنه و ذهب الیه مسافر جسده، انه ابتدء من تراب ثم من نطفة ثم کان علقة ثم مضغة ثم جنینا مصوراً ثم طفلا متحرکا حساسا، ثم صار صبیاً زکیا، ثم شابا متصرفا قویا نشیطا متفکرا، ثم یکون کهلا مجرباً عاقلا او مکاراً محیلا، ثم یکون شیخاً حکیما کاملا او زندیقاً کافراً، فله ان یصیر بعدالموت ان

۱ــ التفصیلی‌الوجودی، و قوله علی وجه بسیط عقلی تعنی من‌الوجه‌البسیط‌العقلی فی‌علم‌الله، العلمی الکمالی الذاتی السابق علی وجودالاشیاء وایجادها و علی‌العلم بهافی‌مراتب وجودها الوجود الاجمالی، و قوله الی مقام آخر بعدالمقامین یعنی الوجود الملکوتی الصوری المثالی الذی هو عالم‌الاشباح بعدعالم‌الارواح العقلیة، و تلك‌الارواح و الاشباح‌السابقة علی وجودهم فی‌النشأة الدنیاویة نشأتها نشأة الدهر بقسمیه‌الایمنی والایسری، والدهر باطن‌الزمان‌و سره، والوجود الدنیاوی زمانی والزمان‌ظل‌الدهر، وعن‌الایمنی والایسری من‌الدهر الداهر یخبر قوله صلی‌الله‌علیه‌وآله ان الارواح خلق قبل‌الابدان بالفی‌عام والاخبار بهذا الاخبار عنهم کثیرة جداً (نوری قدس سره)

استقامت طريقته و صلحت سريرته ملكاً مقربا ملتذاً بلقاءالله تعالى و قربه، و ان اعوجت سبيله وانسلخت فطرته فيصير مطروداً عن باب‌الله معذبا عذابا اليما، و معلوم ان فى‌الاستحالات والانقلابات الطبيعية كان له ذهاب من‌طور ادنى الى طور اعلى، و كان كلما انخلع عنه صورة ناقصة تلبس بما هوا على منزلة واجود من‌الاولى، و كان له فى كل موت حيوة جديدة اشرف من الحيوة السابقة، فهكذا ينبغى ان يتحرى فى‌مذهب نفسه فى‌العلم والعمل، فلا يروم ان يرقى الى درجة من‌الكمال الا ويخلع عن نفسه اراء و اخلاقاً و عاداة كانت مألوفة له معتاداً بها اولا، حتى يمكنه ان يفارق الصور البشرية كلها ويصعد الى ملكوت السماء و يجازى هناك باحسن الجزاء، و يكون «مع‌الذين انعم‌الله عليهم من‌النبيين و الصديقين والشهداء والصالحين و حسن اولئك رفيقا».

قاعدة

فى‌الحشر

اعلم ان الزمان علة التعاقب و التسابق فى الوجود، و المكان علة التكثر و الافتراق فى الحضور، فهما سببان لاختفاء الموجودات بعضها عن بعض، فاذا ارتفعا فى‌القيامة ارتفعت الحجب بين الخلايق فيجتمع الخلايق كلهم الاولون والاخرون، «قل ان الاولين و الاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم»، فهو يوم‌الجمع «يوم يجمعكم ليوم الجمع لاريب فيه»، وبوجه‌آخر هو يوم‌الفصل، لان الدنيا دار الاشتباه والاختلاط، متشابك فيها الحق مع‌الباطل، و يتخالط فيها الوجود و العدم و الخير و الشر و الخبيث والطيب، و فى‌الاخرة يتفرق المتخالفات لقوله: يوم يقوم الساعة يومئذ يتفرقون، وفيها يتميز المتشابهون لقوله، ليميز الله الخبيث من‌الطيب الاية، و ينفصل الخصمان لقوله، ليحق الحق و يبطل الباطل، و قوله: ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حى عن بينة، ولا منافاة بين هذا الفصل وذلك الجمع، بل هذا يوجب ذاك كما قال: هذا يوم الفصل جمعناكم و الاولين، والحشر ايضاً بمعنى الجمع قوله: وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا.

اعلام كشفى

اعلم ان حشر الخلايق على انحاء مختلفة لما علمت سابقا من ان الانسان سيصيرا نواعاً مختلفة بحسب الباطن والروح، بعد ان كان نوعاً بحسب الطبيعة البشرية، و ذلك من جهة اختلاف ملكاتهم الحاصلة من تكرر اعمالهم، فالحشر لقوم على سبيل الوفد الى الحق «يوم نحشر المتقين الى الرحمن و فدا»، و لقوم على سبيل الانسياق الى جهنم و قوله: و نسوق المجرمين الى جهنم ورداً، ولقوم على سبيل التعذيب «يوم يحشر اعداءالله الى النار»، و قوم كما فى قوله: يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر، و قوله يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون، و قوم كما قال: و نحشر المجرمين يومئذ زرقا، و قوم كما قال: و نحشره يوم القيامة اعمى.

و بالجملة يحشر كل احد الى غاية سعيه و عمله و نهاية قصده و نيته و همته مايحبه و يشتاق اليه، «المرء يحشر مع من احب»، كما قال: احشروا الذين ظلموا و ازواجهم، و قوله: فوربك لنحشرنهم و الشياطين، حتى انه «لواحب احدكم حجراً يحشر معه».

بصيرة برهانية

قد سبق ان تكرر الافاعيل من الانسان يوجب حدوث ملكات و اخلاق فى نفسه، و كل ملكة و صفة تغلب على جوهر النفس يتصور النفس فى القيامة بصورة تناسبها، ولاشك ان افاعيل الاشقياء المدبرين المردودين الى اسفل سافلين بحسب هممهم القاصرة عن الارتقاء الى جهة عليين، مقصور على اغراض بهيمية او سبعية غلبت عليهم شقوتهم، و نفوسهم مردودة فى البرازخ الحيوانية، فيحشرون على صور تلك الحيوانات فى الدار الاخرة، فان حقيقة كل نوع ليست مادتها بل صورتها التى هى بها بالفعل، سواء كانت بلامادة او فى مادة، و سواء كانت المادة من هذا العالم او من عالم

آخر، فصورة البهيمية اوالسبعية اذا حصلت فی‌قابلية النفس و رسخت فيها صارت بهيمة او سبعاً بحسب الباطن، و سيبرز فی‌الاخرة عند كشف الغطاء ويحشر فيها كذلك كما فی‌قوله: واذاالوحوش حشرت، وفی‌الحديث «يحشر بعض الناس على صورة يحسن عندها القردة والخنازير» و بالجملة يحشر الخلايق على صور ضمايرهم و نياتهم، و عليه يحمل معنى التناسخ الوارد فی لسان الاقدمين.

المشهد الخامس

فی الصراط

الصراط طریق[1] الحق و دین التوحید الذی جمیع الانبیاء والرسل علیهم السلام و متابعیهم علیه، و جمیع المقامات السنیة و احوال السالکین فی السیر الی الله و فی الله راجعة الیه، و علم التوحید انفع العلوم و انورها و اشرفها و اوثقها و نقاوتها و صفوتها، و هو المقصد الاقصی و المنزل الاعلی، و لیس وراء عباد ان قریة ولامطمع فی النجاة الا باقتنائه، ولافوز بالدرجات الاباجتنائه، ولعلو مرتبته انقلبت البصائر عنه کلیلة، والعقول علیلة، و النواظر خواسر، و حقیقة التوحید یجل عن ان یحیط بها فهم، اویحوم حوم حماها وهم، ولایصعد احد الی جوار الله وقربه الاصاحب علم التوحید، و مایمر علی درجات السلوك نحوه والصعود الیه الا بقوة هذا الیقین، فهو السالك الواصل الیه تعالی بقطع منازل الاحتجاب، وطی طبقات الحسنات و

۱ــ ان صراط التوحید هو نفس المؤمن المسافر من بیت نفسه الی الله امتثالا لامره تعالی حیث قال یا ایتها النفس المطمئنة ارجعی الی ربك راضیة مرضیة فادخلی فی عبادی و ادخلی جنتی وان تلك المسافرة الرجوعیة لاجل ان یسلم نفسه التی باعها من سبحانه بثمن الجنة کما قال جل شأنه ان الله اشتری من المؤمنین انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وبعد التسلیم لماصارت نفس المؤمن نفسه عمت رحمته کتب علی نفسه الرحمة و غرس فیها بیده فصارت جنة فیملکها حالتئذ ایاه تملیکا صریحاً ابدیا فیدخلها المؤمن مستوراً بالجنة التی هی ستر الله الساترة له سالمة مسلمة نفسه التی صارت مطمئنة ببرد الیقین و ذلك هو الغفران المبین (نوری قدس سره)

سجلات الكتاب، و غيره لايمكن له السعى والمشى الا بالاقتداء به والاعتصام بعروته والتمسك بضياء نوره و قوته، كالاعمى فى المشى بالقايد الاخذ بيده، على ان لكل طائفة صراطا تمر عليه كما قال تعالى: و ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم.

و قد علمت ان لكل موجود حركة جبلية و توجهاً غريزياً الى مسبب الاسباب، وللانسان مع تلك الحركة الجبلية حركة ارادية نفسانية لباعث دينى، و هذا المعنى اى تقلب الوجود فى اطوره الكمالية مشاهد مكشوف لاهل البصيرة فى اكثر الموجودات، و خصوصاً فى الانسان لسعة دائرة وجوده و عظم قوسه الصعودية اذا لم ينحرف عن صراط ربه و لم يسقط عن فطرته، قال تعالى: و انك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له مافى السموات و ما فى الارض، فالاستقامة عليه والتثبت فيه هو الذى كلف الله عباده به و ارسل رسوله اليهم، و انزل الكتاب عليهم لاجله و باقى الصراطات ليس شىء منها، هو هذا الصراط المختص باهل الله، لان كلا منها يؤدى سلوكه الى غاية اخرى غير لقاء الله، والى مظهر اسم آخر غير الرحمن الرحيم، كالقها رو المنتقم والجبار وغير ذلك، والى منزل آخر غير الجنة والرضوان كطبقات النيران، كما حققه العرفاء قال تعالى: قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى، والاستقامة عليه هى المراد بقوله: فاستقم كما امرت و من تاب معك ولا تطغوا، والانحراف عنه يوجب السقوط عن الفطرة والهوى الى جهنم التى «قيل لها هل امتلات و تقول هل من مزيد»، وهذا الصراط هو المدعو للمصلى فى كل صلوة بقوله اهدنا الصراط المستقيم، و هو «ادق من الشعر واحد من السيف»، لان كمال الانسان منوط باستعمال قوتيه، اما القوة النظرية فلا صابة نور اليقين فى الانظار الدقيقة التى هى ادق من الشعر، و اما القوة العملية فبتوسيط قواها الثلاثة التى هى الشهوية و الغضبيه والفكرية فى الاعمال، لتحصل للنفس حالة اعتدالية متوسطة بين الاطراف غاية التوسط، وهى احد من السيف، فالصراط له وجهان، احدهما ادق من الشعر، و الاخر احد من السيف، و الانحراف عن الوجه الاول

السقوط عن الفطرة، «ان الذين لايؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون» و الوقوف على الوجه الثانى يوجب الشق والقطع، كما قيل: من وقف عليه شقه، واليه الاشارة بقوله يسحبون فى الحميم، و قوله: اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا عن الاخرة، وعن النبى صلى الله عليه وآله فى قوله تعالى : ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه، اى «مروا على صراط الاخرة مستويا من غير انحراف وميل» فمعنى حسن الخلق الوسط بين الافراط والتفريط، فخير الامور اوسطها، وكلا طرفى قصد الامور فى الدنيا ذميم، ولذلك قال تعالى ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط، وقال والذين اذا انفقو الم يسرفوا ولم يقتر واوكان بين ذلك قواماً، وقال اشداء على الكفار رحماء بينهم.

و تحقيق ذلك ان كمال الادمى بحسب العمل، التجرد والبرائة عن هذه الاوصاف المتضادة الحيوانية، وليس فى قدرة البشر الانفكاك عنها بالكلية، لكن التوسط بين الاضداد بمنزلة الخلوعنها، وكلا جانبى هذا الصراط الحجيم، و وسطها طريق الجنة، ولهذا قيل «اليمين والشمال مضلة» وكماله بحسب العلم هو تحصيل نور الايمان واليقين، وغايته ان يصير ايمانه عياناً، وعلمه عينا، ويقينه شهوداً حقاً.

مشاهدة قلبية

هذا الصراط يظهر يوم القيامة على الابصار وعلى قدر نور اليقين للمارين عليه الى الاخرة، وبحسب شده نور يقينهم يكون قوة سلوكهم و سرعة مشيهم، فيتفاوت درجات السعداء بتفاوت نور معرفتهم وقوة يقينهم وايمانهم، لان المعارف انوار ولايسعى المؤمنون الى لقاء الله الابقوة انوارهم، كما قال: يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم .

وقد ورد فى الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل، وبعضهم اصغر، ويكون آخرهم رجلا يعطى نورا على قدر ابهام قدمه، فيضىء مرة و يطفى

مرة، فاذا اضاء قدام قدمه مشى و اذا طفى قام، و مرورهم على الصراط على قدر نورهم، فمنهم من يمر كطراف العين، ومنهم كالبرق الخاطف، ومنهم كالسحاب، ومنهم يمر كشد الفرس، والذى اعطى نوراً على قدر ابهام قدمه يجثو على وجهه ويديه و رجليه يجريداً ويعلق اخرى ويصيب جوانبه النار فلايزال كذلك حتى يخلص الحديث، وبهذايظهر تفاوت الناس فى الايمان، فرب ايمان رجل بالقياس الى ايمان رجل اخراذ اوزن معه كان الاف الف مثله فى القوة النورية والرسوخ العلمى .

بصيرة كشفية

عند كشف الغطاء يظهر لك ان النفس الادمية السعيدة صورة صراط الله المستقيم، الذى اذا سلكته متدرجاً على منازله ومقاماته اوصلك الى الجنة، فهو فى هذه الدار كسائر الامور الاخروية غايبة عن الابصار، فاذا انكشف عند الغطاء بالموت ورفع الحجاب عن عين روحك، يمد لك يوم القيامة كجسر محسوس على متن جهنم، اوله فى الموقف وآخره على باب الجنة، يعرف ذلك من يشاهده انه صنعتك و بناك، و تعلم حينئذ انه كان فى الدنيا جسراً ممدودا على متن جهنم طبيعتك التى قيل انها «ظل ذى ثلاث شعب لاظليل ولا يغنى من اللهب» لانها الذى تقود النفس الى لهب الشهوات التى يظهر اثر حرها فى الاخرة، فالسعيد من اطفى ناره بماء العلم وطهارة التوبة .

زيادة كشف وتوضيح

قال الشيخ الصدوق محمدبن على بن بابويه القمى رحمه الله اعتقادنا فى الصراط انه حق و انه جسر جهنم و ان عليه ممر جميع الخلق، قال الله تعالى: و ان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا، قال: و الصراط فى وجه آخر اسم حجج الله، فمن عرفهم فى الدنيا واطاعهم اعطاه الله جوازاً

على الصراط الذى هو جسر جهنم يوم القيامة، وقال النبى صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام يا على اذا كان يوم القيامة اقعد انا وانت وجبرئيل على الصراط ولايجوز على الصراط احد الا من كانت معه برائة بولايتك، عن الحسن البصرى فى صفة الصراط : انه مسيرة ثلاثة الاف سنة، ادق من الشعر واحد من السيف، الف صعود، والف استواء، والف هبوط، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شعار المؤمنين على الصراط رب سلم رب سلم، و قال صلى الله عليه وآله : ثلاث مواطن لايذكر احد احداً، عندالميزان حتى يعلم ايخف ميزانه او يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم ايقع كتابه فى يمينه ام فى شماله ام من وراء ظهره، وعند الصراط اذا وضع بين ظهر جهنم حتى يجوز.

قال اهل الشهودان الله تعالى خلق الصراط من رحمته اخرجها للمؤمنين، فالصراط للموحدين خاصة، و الكفار لاجواز لهم عليه، لان النار قد التقطت منا لموقف جبابرهم، وساير الكفار قد اتبعواما كانوا يعبدون من دون الله عزوجل الى النار، فقسم النور بين الموحدين على قدر ما جاؤا به من الدنيا، و الصراط يدق و يتسع على حسب منازل الموحدين، الدقة للمذنبين والسعة للمتقين، والاصل الواسع للانبياء والاولياء يصير لهم كالبساط سعة وبسطا، ولهم السرعة والابطاء، فاولهم كلمح البصر وآخرهم كعمر الدنيا سبعة آلاف سنة، تزل قدم تحترق، ثم يخرجها فتبرء من الرحمة، ثم تزل قدم والاخرى قدبرئت، فالاسلام خرج لهم من الرحمة، فلما قبلوه ولم يفوابه ضرب لهم جسراً من تلك الرحمة، فيمرون عليها فمن ضيع منهم شيئا من اعمال الاسلام فانما ضيع الرحمة التى رحم بها فزلت، فالدقة والاتساع على قدر الرحمة من الله للعبد فبحظ العبد من الرحمة التى قسمه سبحانه فى ايام الدنيا يتسع الصراط عليه هناك، والسرعة والابطاء فى قطع الصراط على قدر القرب، فبحظ العبد من نور القربة يسرع ويبطأ، فاولهم زمرة يقطع فى مثل طرف العين و لمع البرق و هم الانبياء عليهم السلام، والثانية فى مثل الريح والطير وهم الصديقون واولاولياء ، والثالثة مثل حضر[1]

١ــ ارتفاع الفرس فى عدوه .

الفرس واجاويد الخيل وهم المجاهدون انفسهم الذين صد قوا الله فى جميع حركاتهم، والرابعة مثل الراكب رحله وهم المتقون، والخامسة فى مثل سعى الرجل وهم العابدون ، والسادسة مشياً وهم العمال المستورون، و السابعة جثوا وهم المتهتكون من الموحدين وكل زمرة لها نور، نور النبوة ونور الولاية ونور الصدق ونور التقوى ونور العبادة ونور الستر ونور التوحيد، فمنهم من نوره مد بصره، ومنهم من نوره عند ابهام قدمه، وهو آخرهم و ليس النور هناك بكثرة الاعمال، انما النور بعظم نور الاعمال، وانما يعظم نور العمل على قدر مافى القلب من نور القربة وكل نور اقرب الى الله فهو اقوى وانور، فكم من رجل قل عمله هناك سبق الى الجنة ممن هو اربى بعمله منه اضعافا مضاعفة، الا ترى الى قوله صلى الله عليه و آله لمعاذ بن جبل، خلص يكفيك القليل من العمل، ولذلك روى فى الحديث «يا حبذا نوم الاكياس و فطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى و صيامهم، و لمثقال حبة من خردل من يقين افضل عند الله من امثال الجبال عبادة» .

المشهد السادس

فی نفخ الصور

لما سئل النبی صلی‌الله علیه‌وآله عن معنی الصور فقال قرن من‌نور التقمه اسرافیل فوصفه بالسعة و الضیق، فقیل ان اعلاه اوسع و اسفله اضیق، وقیل بالعکس و لکل من القولین وجه صحة کما لایخفی علی العارف، و الصور بضم الصاد و سکون الواو و قرء بفتحها ایضاً جمع الصورة، لان نافخها واهب الصور باذن الله.

قال الشیخ العربی فی الفتوحات المکیة بعد ذکر الناقور والصور لیعلم بعد ما قررناه ان الله تعالی اذا قبض الارواح من هذه الاجسام الطبیعیة والعنصریة، اودعها صوراً اخذها فی مجموع هذا القرن النوری، فجمیع مایدرکه الانسان بعد الموت فی البرزخ من الامورید رکها بعین الصورة التی هو بها فی القرن، والنفخة نفختان، نفخة تطفیء النار، و نفخة تشعلها، فکذلك نفخة الصور، نفختان.

الاولی لاماتة الانسان ولمن یزعم ان له حیوة، سواء کان من اهل السموات او من اهل الارض، قال تعالی: ونفخ فی الصور فصعق من فی السموات ومن فی الارض الا من شاءالله، وهم الذین سبقت لهم القیامة الکبری، والیهم الاشارة بقوله: ان الذین سبقت لهم منا الحسنی اولئك‌عنها مبعدون الی قوله: لایحزنهم الفرغ الاکبر وتتلقهم الملائکة هذا یومکم الذی کنتم توعدون یوم نطوی السماء کطی السجل للکتب، اذالفزع‌الاکبر هو اشارة الی قوله: ففزع من فی‌السموات ومن فی‌الارض، واولئك لیسوا

من اهل السموات والارض، لكون ذواتهم خارجة من عالم الاجسام وصورها ونفوسها، ولايجرى عليهم تجدد الاكوان ولاتغير الزمان، لاستغراقهم فى بحر قهر الاحدية وسطوة نور القيومية كالملائكة المهيمين و من يجرى مجراهم فى ان هوياتهم مطوية تحت الشعاع القيومى، فلا التفات لهم الى ذواتهم، ولا علم لهم الى غير الله «لاعلم لنا الاما علمتنا» .

والثانية لاجل الاحياء بعد الاماتة حيوة اخرى ارفع من الاولى، قوله : ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها، اى ار ض المحشر وارض الجنة وكذا النفوس .

واعلم ان الموادالكونية بصورها الطبيعية القابلة للاستنارة بالارواح كالفحم فى استعداده للاشتعال، والصورة البرزخية كامنة فيها بحسب ذلك الاستعداد كمون الحرارة و الحمرة فى الفحم، و الصور النفسانية كامنة فى الصور البرزخية كمون الاشتعال والانارة فى الحرارة، ففى النفخة الاولى زالت الصور الطبيعية بالاماتة، والصور البرزخية استعدت لقبول الاستنارة بالارواح الكامنة فيها استعداد الفحم بالنار التى كمنت فيه لقبول الاشتعال، فينفخ اسرافيل وهوالمنشىء للارواح فى الصور نفخة ثانية فتستنير بارواحها فاذاهم قيام ينظرون، فيقوم تلك الصور احياء ناطقة بما ينطقهم الله الذى انطق كل شى ، فمن ناطق بالحمدلله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور، ومن ناطق «بمن بعثنا من مرقد ناهذا» وكل واحد ينطق بحسب علمه و حاله وماكان عليه، ونسى حاله فى البرزخ، فيتخيل ان ذلك منام كمايتخيله المستيقظ من هذه النوم، وقدكان عند موته وانتقاله كالمستيقظ و ان الحيوة الدنيا كالمنام وهى فى جنب البرزخ والاخرة كمنام فى منام، وهذا القيام انما يتحقق عند القيامة وفى القيامة يتحقق البعث، لقوله : ثم انكم يـوم القيامة تبعثون، وعند البعث يتحقق الثواب والعقاب .

تنویر وتذکیر

اعلم ان من الناس من یری امور القیامة و احوالها بعین البصیرة و یحضر عنده شهود الاخرة، فلا فرق فی شهوده بین ان یکون قبل قیام الساعة او بعده، کما قال امیر المؤمنین علیه السلام لو کشف الغطاء ما ازددت یقینا، فلا یحتاج مثله فی الوصول الی عالم الیقین و بروز الحقایق له الی البعث، لزوال الحجب عن عین بصیرته کما فی قوله: فکشفنا عنك غطائك فبصرك الیوم حدید، و ذلك لایمکن الا بتبدل نشأتهم الدنیویة الی نشأتهم الاخرویة، و اذا تبدلت نشأتهم، تبدلت اسماعهم و ابصارهم و حواسهم الی اسماع و ابصار و حواس اخرویة تدرك بها امور الاخرة، و الی هذا التبدیل اشار تعالی بقوله: یوم تبدل الارض غیر الارض و السموات و برزو الله الواحد القهار، و بقوله: نحن قدرنا بینکم الموت و ما نحن بمسبوقین علی ان نبدل امثالکم و ننشئکم فیما لاتعلمون، و بقوله: فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون علی ان نبدل خیرا منهم و ما نحن بمسبوقین، و بهذا التبدیل فی الوجود سواء وقع قبل الموت اوبالموت او بعده یستحق الانسان لدخول الجنة و دارالسلام، و یتحقق الفرق بین اهل الجنة و اهل النار، فاهل الجنة لهم ابدان مطهرة و صور مجردة عن رجس هذه المواد، بخلاف اهل الجحیم لعدم تبدل نشأتهم کما قال تعالی: ایطمع کل امرء منهم ان یدخل جنة نعیم، کلا انا خلقناهم مما یعلمون، قال المفسرون المعنی انکم مخلوقون من نطفة قذرة لایناسب المکون من هذه المادة عالم القدس و الطهارة، و قوله: فلا اقسم برب المشارق و المغارب عقیب قوله: ایطمع کل امرء ان یدخل جنة نعیم کلا انا خلقناهم ممایعلمون، یجری جواب عن سؤال مقدر، کانه قیل: اذا کان المخلوق من ماء مهین لایستأهل جوار رب العالمین، اذمالتراب و رب الارباب، فکیف یدخل المؤمنون جنة النعیم، فقیل نبدلهم بنشأة خیر من هذه النشأة، فیحصل لهم بما اهلیة الدخول فی دارالقدس، کما قال سبحانه: انما یریدالله لیذهب عنکم الرجس اهل البیت

و يطهركم تطهيراً، و كما قال: انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام، اذلايستأهل دارالله و جواره و لاالصعود الى المنزل الاعلى، كما قال: لاتفتح لهم ابواب السماء و لايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط و كذلك نجزى المجرمين لكثافة جوهرهم و ثقلهم و تعلقهم بهذا البدن الطبيعى، وتثبطهم و قعودهم عن‌الارتقاء الى عالم السماء و اخلادهم الى الارض، لقوله: لكنه اخلد الى الارض واتبع هواه.

قاعدة

فى احوال تعرض يوم القيامة

اذا ظهر نور الانوار و انكشف جلال وجه‌الله القيوم، و غلب سلطان الاحدية، و اشتدت جهات الفاعلية و التأثير و التنوير، و اخرجت القوابل والمستعدات من القوة الى الفعل، و انتهت الحركات الى غاياتها، وبرزت الحقايق من مكامن غيبها و حجب موادها و امكاناتها الى مجالى‌ظهوراتها، انخرط كل ذى‌مبدء فى‌مبدئه، ورجع كل شىء الى اصله و عاد كل نقص الى كماله وكل ذى‌غاية الى غايته، قوله: الا الى‌الله تصير الامور، و قوله: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، و قوله: و له الحمد فى‌الاخرة والاولى، و قوله: و لله ميراث السموات والارض، فاذا اتصل كل فصل الى وصله، و التحق كل فرع باصله، و بلغ كتاب كل شىء اجله، و جمع كل مستفيض بمفيضه، «و جمع الشمس والقمر»،فلم يبق‌لانوار الكواكب‌عند ذلك‌ظهور، «واذا النجوم طمست»، ولالاجرامها قدرووضع، «واذاالكواكب انتثرت»، و زال ضوءالشمس وانكدر نورالكواكب «اذا الشمس كورت و اذا الكواكب انتثرت»، و محى نورالقمر «وخسف القمر» ولم يبق بعد و مسافة بين‌المنير والمستنير، ولاتفاوت ولاتباين «و جمع الشمس والقمر»، واتحدت النفوس بالارواح و زالت المباينة بين‌الاشباح والارواح، و لهذا يكون ابدان اهل الجنة بصورة نفوسها كالشخص وظله، ورجعت السموات و الارض على ما

كانتا عليه قبل انفتاقها من الرتق، فعادتا الى مقام الجمعية المعنوية من هذه التفرقة الطبيعة حيث كانتا رتقا قبل الفتق فعادتا كما كانتا رتقا بعد الفتق، و كذا العناصر الاربعة يصير كلها عنصرا واحداً مظلماً «لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً»، والجبال لكونها متكونة من الرمال المتفتة فعادت كما كانت عليه، «ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً ولاامتا»، و تنقلب كل العنصريات و المركبات ناراً غير هذه النار الاسطقسية وتصير الهيولى كلها بحراً مسجوراً، «واذا البحار سجرت»، كما وقعت الاشارة اليه فى حق آل فرعون، «اغرقوا فادخلوا ناراً»، و بالجملة يتصل البر بالبحر ويتحد الفوق والتحت، و يزول الابعاد والاحجام ويرتفع الحواجز والحوايل، ويرق الحجب لاهل البرازخ ومواقف الاشهاد، «يوم تبلى السراير، يوم يقوم الاشهاد» ويقام الخلايق عن مكامن الحجب الى مواقف كشف الاسرار، لقوله : وقفوهم انهم مسئولون، والمتخلصون عن محابس البرزاخ يتوجهون الى الحضرة الالهية، لقوله : فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون .

قال بعض العرفآء المكاشفين اذا اخرجت الارض اثقالها حتى مابقى فيها شيء اخترنته، جيء بها الى الظلمة التى هى دون المحشر، كما قال : وحملت الارض والجبال فدكتادكة واحدة، فيمد مدالاديم وبسطه فلايرى فيها عوجا ولاامتا، وهى الساهرة فلانوم فيها كما قال : فانماهى زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة، ويرجع ما تحت مقعر فلك الكواكب جهنم، وسميت بهذا الاسم لبعدقعرها يقال بئر جهنام اى بعيدالقعر، ويوضع الصراط من الارض علوا الى سطح فلك الكواكب وهوفرش الكرسى من حيث باطنه، اذكل امور الاخرة يقع فى باطن حجب الدنيا، ولذلك قيل ارض الجنة الكرسى وسقفها عرش الرحمن، ويوضع الموازين فى ارض المحشر لكل مكلف ميزان يخصه بعد الميزان العام، قوله: و الوزن يومئذ الحق للرحمن، وضرب بسور يسمى الاعراف بين الجنة والنار وجعل مكانا لمن اعتدلت كفتا ميزانه، ووقعت الحفظة بايد يهم الكتب التى كتبوها فى الدنيا من اعمال

المكلفين واقوالهم ليس فيها شئى من الاعتقادات القلبيه، لقوله : كل شئى فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر، وقوله : ويرسل عليكم حفظة، وقوله : لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون، فعلقوها فى اعناقهم وايديهم كما فى قوله : وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقيه منشوراً اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وقال و وفيت كل نفس ماعملت و هو اعلم بما يفعلون، فمنهم من اخذ كتابه بيمينه ومنهم من اخذه بشماله ومنهم من اخذه وراءظهره، وهم الذين نبذوا الكتاب وراء ظهورهم و اشتروا به ثمناقليلا وليس اولئك الا ائمة الضلال، قال ويأتى مع كل انسان قرينه من الشياطين و الملائكة لقوله تعالى: و جائت كل نفس معها سائق و شهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا مالدى عتيد، و قوله: اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين و عن الشمال قعيد مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد، ثم يأتى الله عزوجل على عرشه والملائكة يحمل ذلك العرش فيضعونه على تلك الارض المشرقة بنوره، كما قال : و اشرقت الارض بنور ربها و وضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق، وقوله : وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم، والجنة عن يمين العرش والنار من جانب الاخر، وقد غلبت الهيبة الالهية على اهل الموقف من ملك وانسان وجان، قوله : وخشعت الاصوات للرحمن فلاتسمع الا همسا، و يرتفع الحجب بين الله وبين عباده وهو معنى كشف الساق، قوله : يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود، فلايبقى احد على اى دين كان الايسجد السجود المعهود ، ومن سجد فى الدنيا اتقاء اورياء خرعلى قفاه، ويشرع فى الفصل والقضاء و الحكم بين عباده فيما كان بينهم، واما ما كان بينهم و بين الله، فان الكرم الالهى يسقطه ولايؤاخذ به، و قد ورد من الاخبار فى ذلك اليوم ما ورد، ودون الناس مادونوا، ونحن بصدد توضيح بعض منها مايبلغ اليه طاقتنا و يناله جهدنا .

المشهد السابع

فى الاشارة الى نشر الصحايف و ابراز الكتب و كرام الكاتبين

اعلم ان القول والفعل مادام وجود هما فى اكوان الحركات و الاصوات فلاحظ لهما من البقاء و الثبات، ولكن من فعل فعلا او نطق بقول يحصل منه اثر فى نفسه وحاله يبقى زمانا، واذا تكررت الافاعيل والاقاويل استحكمت الاثار فى النفس، فصارت الاحوال ملكات، اذالفرق بين الحال و الملكة بالشدة والضعف، و الاشتداد فى الكيفية يؤدى الى حصول صورة، اى مبدء جوهرى لها كالحرارة الضعيفة فى الفحم اذا اشتدت صارت صورة نارية محرقة، كذلك الكيفية النفسانية اذا اشتدت صارت ملكة راسخة، اى صورة نفسانية هى مبدء لاثار مختصة بها فيصدر بسببها الفعل المناسب لها بسهولة من غير روية و حاجة الى تعمل وتجشم اكتساب من خارج، و من هذا الوجه يحدث ملكة الصناعات و المكاسب العلمية و العملية، ولو لم يكن للنفوس الادمية هذا التأثر اولا ثم الاشتداد يوما فيوماً لم يكن لاحد اكتساب شئى من الصناعات والحرف، ولم ينجع التأديب والتعليم لاحد، ولم يكن فى تأديب الاطفال وتمرينهم على الاعمال فائدة، وذلك، قبل رسوخ اخلاق مضادة لماهوا لمطلوب فى نفوسهم، ولاجل ذلك يتعسر تعليم الرجال البالغين وتأديبهم، لاستحكام صفات حيوانية فى نفوسهم بعدما كانت هيولانية قابلة لكل صنعة وعلم، كصحيفة خالية من النقوش و الصور، فالاثار الحاصلة من الاعمال والاقوال فى القلوب بمنزلة النقوش الكتابية فى الالواح والصحايف،

كما قال تعالى : اولئك كتب فى قلوبهم الايمان، وتلك الالواح القلبية يقال لها صحائف الاعمال وتلك النقوش والصور الكتابية كما يحتاج الى قابل يقبلها كذلك يحتاج الى فاعل اى مصور وكاتب، والمصورون والكتاب فى مثل هذه الكتابة هم الكرام الكاتبون، لكرامة ذاتهم وفعلهم عن المواد الجسمانية، فهم لامحالة ضرب من الملائكة المتعلقة باعمال العباد واقوالهم، قوله : وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون، وهم طائفتان، ملائكة اليمين وهم الذين يكتبون اعمال اصحاب اليمين، وملائكه الشمال وهم الذين يكتبون اعمال اصحاب الشمال، قوله تعالى : اذيتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد، وقوله : يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولايظلمون فتيلا، و قوله: فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظنت انى ملاق حسابيه، لان كتابه من جنس العلوم و الاعتقادات اليقينية والاخلاق الحسنة، والظن ها هنا بمعنى اليقين، «واما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ماحسابيه» لان كتابه من جنس الاكاذيب الباطلة و الاغاليط الواهية و الاوصاف الشيطانية و الشهوات الدنيوية المحرقة للنفوس المولمة للقلوب، «ومن اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً» .

وقد ورد فى الخبران من عمل حسنة كذا يخلق الله منها ملكا يستغفرله الى يوم القيامة ، كما قال : تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا و لاتحزنوا و ابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا و فى الاخرة، و هكذا قياس الحكم فى جانب الكفر و السوء، من فسد اعتقاده وبالغ فى كفره وسوء اعتقاده يتنزل عليه شيطان يوعده بالشر و الجحيم، و كان قرينه فى القبر و فى القيامة و يتعذب به فى الاخرة كما قال تعالى : هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم، وقوله : ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهوله قرين، وهذه الهيئة الراسخة فى الباطن المتمثلة للنفس هى

المسماة فى عرف الحكمة بالملكة وفى لسان النبوة بالملك و الشيطان فى جانبى الخير والشر، و المآل فيهما واحد بشرط ان يكون معلوماً عندك ان الملكات الراسخة النفسانية تصير صوراً جوهرية، بل ذواتا مستقلة متمثلة فعالة فى النفس منعمة اوموذيه لها، ولو لم يكن لتلك الملكات من الثبات والتجوهر مايبقى ابد الاباد، لم يكن لخلود اهل الجنة فى الثواب ابداً و اهل النار فى العقاب سرمداً وجه صحة، فان منشأ الثواب والعذاب لوكان نفس العمل اوالقول وهما امران زايلان يلزم بقاء المعلول مع زوال العلة المقتضية، وذلك غير صحيح، والفعل الجسمانى الواقع فى زمان متناه كيف يصير منشاء للجزاء الواقع فى ازمنة غيرمتناهية، و مثل هذه المجازاة لاسيما فى جانب العقاب لايليق بالحكيم، و قد قال: وما انا بظلام للعبيد، و قال: بما كسبت قلوبكم، و لكن انما يخلد اهل الجنة فى الجنة و اهل النار فى النار بالثبات فى النيات، ومع ذلك فان من فعل مثقال ذرة من الخير والشر يرى اثره مكتوباً فى صحيفة ذاته اوصحيفة ارفع من ذاته مخلدا ابدا، كماقال: فى صحف مكرمة مرفوعةمطهرة بايدى سفرة كرام بررة، واذاحان وقت ان يقع بصره الى وجه ذاته عندفراغه عن شواغل هذه الحيوة الدنيا وما تورده الحواس، و يلتفت الى صفحة باطنه و لوح ضميره و قلبه، وهو المعبر عنه بقوله تعالى : واذا الصحف نشرت، فمن كان فى غفلة عن احوال نفسه وروحه و حساب حسناته و سيئاته يقول عند حضور ذاته لذاته و مطالعة صفحة وجهه ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة الا احصاها ووجد واما عملو احاضراً ولايظلم ربك احدا، يوم تجد كل نفس ماعملتمن خير محضراً وما عملت من سوء تودلو ان بينها وبينه امد بعيداً .

وقد ورد فى هذا الباب من طريق اهل البيت عليهم السلام وغيرهم احاديث كثيرة عن النبى صلى‌الله عليه‌وآله، منها ما روى عن قيس بن‌عاصم انه قال صلى‌الله عليه‌وآله: ياقيس ان مع العز ذلا و ان معالحيوة موتا وانمع الدنيا آخرة، وان لكل شئى رقيباً، وعلى كل شئى حسيباً، وان لكل اجل

كتاباً، وانه لابدلك من قرين يدفن معك وهو حى، وتدفن معه وانت ميت، فان كان كريماً اكرمك، و ان كان لئيماً اسلمك، ثم لايحشر الا معك و لاتحشر الامعه، ولاتسئل الا عنه فلاتجعله الا صالحاً، فانه ان صلح آنست به، و ان فسد لاتستو حش الامنه، وهو فعلك.

فانظر يا وليى فى هذا الحديث تجد فيه لباب معرفة النفس، وفيه اشارة الى عدة اصول من مسائل علم النفس و احكامها ليس هاهنا موضع بيانها و شرحها، من اراد الاطلاع فليطالع كتابنا الكبير المسمى بالاسفار الاربعة، و المجلد الاول من تفسيرنا الكبير المسمى ذلك المجلد المفتتح بمفاتيح الغيب و غيرهما من المطولات و المتوسطات، و منها قوله صلى‌الله عليه وآله: ان الجنة قيعان وان غراسها سبحان‌الله، و منها المرء مرهون بعمله، و منها خلق الكافر من ذنب المؤمن، و منها ما ورد من فعل كذا خلق‌الله له ملكا يستغفرله الى يوم‌القيامة، و امثال ذلك من‌الاخبار.

و فى كلام فيثاغورس و هو من اعاظم الحكماء السابقين انك ستعارض لك فى افعالك و اقوالك و افكارك، و سيظهر لك من كل حركة فكرية او قولية او عملية صور روحانية و جسمانية، فان كانت الحركة غضبية او شهوية صارت مادة لشيطان يؤذيك فى حياتك و يحجبك عن ملاقات النور بعد و فاتك، وان كانت الحركة عقلية صارت ملكاتلتذ بمنادمته فى دنياك و تهتدى به فى‌اخراك الى جوارالله و كرامته.

و مما يدل على ان صورة الانسان فى‌الاخرة نتيجة عمله و غاية فعله فى‌الدنيا قوله تعالى فى حق ابن نوح عليه‌السلام: انه عمل غير صالح على قرائة فتح الميم، و مما يدل على ان نفس العمل يعنى الملكة الحاصلة منه نفس الجزاء، و قوله تعالى: ولاتجزون الا ماكنتم تعملون، وقوله: انما تجزون ما كنتم تعملون، لم‌يقل بما كنتم تعملون، تنبيهاً على هذا المطلب، و قوله: ذلك جزاء اعداءالله النار، و توضيح ذلك ان مواد الاشخاص الاخروية كما مر هى التصورات الباطنية والتأملات النفسانية، لان دار الاخرة ليست من جنس هذه‌الدار، فما فى‌الدنيا مادة يطرء عليها صورة او نفس من

خارج ولها حيوة عرضية، و مافى الاخرة ارواح هى بعينها صور معلقة قائمة بذاتها حيوتها نفس ذاتها، و هى مع وحدتها الشخصية متكثرة الصور، والانسان اذا انقطع عن الدنيا و تجرد عن لباس هذا الادنى و كشف عن بصره هذا الغطاء، كانت قوته الادراكية قدرة و علمه عينا و غيبه شهادة و سره معاينة، فيصير مبصراً لنتايج اعماله و افكاره، مشاهداً لاثار حركاته و افعاله، قارياً لصحيفة اعماله ولوح كتابه، مطلعا على حساب حسناته و سيئاته، كما فى قوله تعالى و كل انسان الزمناه طائره فى عنقه و نخرج له يوم القيامة كتاباً يلقيه منشورا اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، و مما يدل على ان الانسان الكائن فى دار الاخرة غير متكون من مادة طبيعية، بل من صورة نفسانية ادراكية، قوله تعالى: ايطمع كل امرء منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون، فعلم ان المرء متكون فى القيامة من معلومه و معتقده، فان كان علمه من باب الشهوات و الامانى و الاهوآء الفاسدة، يكون من اهل النار محترقاً بنار الجحيم، و يكون كتابه فى السجين، و ان كانت معلوماته من باب الامور القدسية و معرفة الله وعالم ملكوته و كتبه و رسله و ساير المعارف الحقة مع صفاء ذاته من الامراض والاغشية والظلمات، فيكون لامحالة من اهل الملكوت الا على، و يكون نفسه ككتاب الابرار «لفى عليين و ما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون»، و للاية تأويل آخر هو ايضاً صحيح و بالجملة فقد ظهر ان كل واحد من افراد الناس يتكون من مادة النيات والاعتقادات كما يتكون فى الدنيا من مواد النطفة و الاغذية.

المشهد الثامن

فی المیزان و الحساب

قال تعالی: و نضع الموازین القسط لیوم القیامة فلا تظلم نفس شیئا و ان کان مثقال حبة من خردل اتینا بها و کفی بنا حاسبین، و قال تعالی: والوزن یومئذ الحق فمن ثقلت موازینه فاولئك هم المفلحون و من خفت موازینه فاولئك الذین خسروا انفسهم بما کانوا بایاتنا یظلمون، اوتی بلفظ الجمع اشارة الی ان الموازین انواع کثیرة، بعضها میزان العلوم و بعضها میزان الاعمال، و سئل الصادق علیه السلام عن قول الله عزوجل و نضع الموازین القسط لیوم القیامة، قال علیه السلام: الموازین الانبیاء و الاوصیاء.

و قال شیخ الطایفة ابو جعفر محمدبن علی بن بابویه رحمه الله، اعتقادنا فی الحساب انه حق منه من یتولاه الله عزوجل، و منه من یتولاه حججه، فحساب الانبیاء والائمة یتولاه الله عزوجل، و یتولی کل نبی حساب اوصیائه، ویتولی الاوصیاء حساب الامم، والله تبارك و تعالی هو الشهید علی الانبیاء والرسل، و هم الشهداء علی الاوصیاء، والائمة شهداء علی الناس، و ذلك قول الله عزوجل: لیکون الرسول شهیداً علیکم و تکونوا شهداء علی الناس، و قوله تعالی: فکیف اذا جئنا من کل امة بشهید و جئنا بك علی هؤلاء شهیداً و قوله تعالی: ان الینا ایابهم ثم ان علینا حسابهم.

اما میزان العلوم فاعلم ان الله قد وضع میزاناً مستقیما انزل من السماء لیعرف باقسامه مکائیل الاغذیه المعنویة و مثاقیل الارزاق الروحانیة

الباطنية، و يعلم بها حقها من باطلها، و يوزن بها نقود الحقايق العقلية و جواهر الصور الادراكية، ليميز رايجها فى سوق الاخرة من زيفها وخالصها من مغشوشها، و علمنا بتعليم رسول الله صلى الله عليه وآله كيفية الوزن به و معرفة اقسامه الخمسة و تميز مستقيمها عن مايلها، حيث قال: و زنوا بالقسطاس المستقيم، فمن يعلم هذه الموازين الخمسة التى انزلها فى كتابها المنزل على رسوله و علم بها انبيائه و عباده الصالحين فقد اهتدى، و من عدل عنها و عمل بالرأى والتخمين فقد ضل وغوى و تردى الى الجحيم.

فان قلت: اين ميزان العلوم فى القرآن وهل هذا الا افك و بهتان،

قلنا: الم تسمع قوله تعالى فى سورة الرحمن، الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الى ان قال: والسماء رفعها و وضع الميزان و اقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان، الم تسمع فى سورة الحديد: لقد ارسلنا رسلنا بالبينات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط، اترعم ايها العاقل ان الميزان المنزل من عندالله مع انزال الكتاب المقرون اسمه باسم الكتاب هو ميزان البر و الشعير و الارز و الاقط[1] و غيرها؟ اتتوهم ان الميزان المقابل وضعه لرفع السماء هو القبان والطيار وامثالهما، ما ابعد هذا الحسبان، وما اسخف هذا البهتان، و اتق الله يا اخى ولاتتعسف فى باب التأويل و اترك الجهالة واللجاج «انى اعظك ان تكون من الجاهلين».

و اعلم ان هذا الميزان برهان معرفة الله و صفاته و افعاله وملائكته و كتبه و رسله و ملكه و ملكوته، ليعلم كيفية الوزن به تعليماً من قبل انبيائه عليهم السلم كما تعلم الانبياء من ملائكته، فالله هو المعلم الاول، والمعلم الثانى جبرئيل، و ثالث المعلمين هو الرسول صلى الله عليه وآله، و اول من استعمل هذا الميزان بتعليم الله و تعليم جبرئيل هو اب الانبياء و شيخهم ابراهيم الخليل ثم سائر الانبياء الى ابنه المقدس محمد صلى الله عليه وآله وقد

۱ــ الجبن.

شهدالله لهم بالصدق، و تفصيل ذلك مذكور، فى المفاتيح الغيبية.

واعلم ان الموازين الواردة فى القرآن فى الاصل ثلاثة، ميزان التعادل، و ميزان التلازم، و ميزان التعاند، لكن ميزان التعادل تنقسم الى ثلاثة اقسام، الاكبر و الاوسط و الاصغر، فيصير الجميع خمسة و تفاصيلها و بيان كل منها و كيفية استنباطها من القرآن المجيد مذكورة هناك.

الاول الميزان الاكبر من موازين التعادل و هو ميزان الخليل عليه‌السلام و قد استعلمه مع نمرود و هو كما حكى‌الله بقوله: قال ربى‌الذى يحيى و يميت الى قوله: فبهت الذى كفر، وقد اثنى الله عليه فى استعماله لهذا الميزان، قال: و تلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم، فان فى حجته الثانية التى بها صار نمرود مبهوتا، لانه ادركها و لم يبلغ دركه الى الحجة الاولى اصلين، اذمدار القرآن على الحذف والايجاز، و كمال صورة هذا الميزان ان يقال كل من قدر على اطلاع الشمس من المشرق هوالاله، هذا احدالاصلين، و الهى هوالقادر على اطلاعها منه الاصل الاخر، فلزم من مجموعها ان الهى هوالاله دونك يا نمرود، والاصل الاول مقدمة ضرورية متفق عليها، والثانى من المشاهدات ويلزم منهما النتيجة، فكل حجة صورتها هذه الصورة وصح‌فيها اصلان كان حكمها فى‌لزوم النتيجة المناسبة هذا الحكم، اذ لادخل لخصوص المثال، فاذا جردنا روح‌الميزانية عن خصوصية المثال نستعملها فى اى موضع اردنا و ننتفع بها، كما يأخذ الناس معياراً صحيحاً و صنجة معروفة، فيزنون الذهب و الفضة و غيرهما بتلك الصنجة المعروفة.

الثانى الميزان الاوسط و هو ايضا واضعه‌الله و مستعمله الاول خليل حيث قال: لااحب الافلين، و كما صورته ان القمر آفل، والا له ليس بآفل، فالقمر ليس بآله، واما حد هذا البرهان و روحه فهو ان كل شيئين وصف احدهما بوصف يسلب عن‌الاخر فهما متباينان.

الثالث الميزان الاصغر فهو ايضا مبناه من‌الله، حيث علم به نبيه محمداً صلى‌الله عليه وآله فى‌القرآن وهو قوله: و ما قد روالله حق قدره

اذ قالوا ما انزل الله على بشر الاية، و وجه الوزن به ان يقال قولهم بنفى انزال الوحى على البشر قول باطل للازدواج بين اصلين، احدهما ان موسى و عيسى بشر، والثانى انه منزل عليهما الكتاب، فيبطل بها الدعوى العامة بانه لاينزل الكتاب على بشر اصلا.

الرابع ميزان التلازم وهو مستفاد من قوله تعالى: قل لو كان فيهما الهة الاالله لفسدتا، وكذا من قوله: لو كان هؤلاء الهة ما وردوها، و اما حد هذا الميزان وروحه و عياره، فهو ان من علم لزوم امر لامر آخر و علم وجود الملزوم يعلم منه وجود اللازم، و كذالو علم نفى اللازم يعلم منه نفى الملزوم، اما الاستعلام من وجود اللازم على وجود الملزوم اومن نفى الملزوم على نفى اللازم فهو ملحق بموازين الشيطان ، اذربما كان الملزوم اخص من لازمه.

الخامس ميزان التعاند اما موضعه من القرآن فهو قوله تعالى تعليما لنبيه، (ص) قل من يرزقكم من السماء والارض قل الله و انا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين، ففيه اضمار اصل آخر لامحالة، اذ ليس الغرض منه ثبوت التسوية بينه و بينهم، وهو انه معلوم انا لسنا فى ضلال مبين، فيعلم من ازدواج هذين الاصلين نتيجة ضرورية و هى انكم فى ضلال مبين، واما حد هذا الميزان وعياره، فكل ما انقسم الى قسمين متباينين فيلزم من ثبوت احدهما نفى الاخر و بالعكس، لكن بشرطان القسمة حاصرة لامنتشرة، فالوزن بالقسمة الغير المنحصرة وزن الشيطان، فهذه هى الموازين المستخرجة من القرآن وهى بالحقيقة سلاليم العروج الى عالم السماء بل الى معرفة خالق الارض و السماء، و هذه الاصول المذكورة فيها هى درجات السلاليم.

واما المعراج الجسمانى فلايفى به سعة قوة كل احد بل يختص ذلك بالقوة النبوية.

فان قلت: فماوجه التطابق بين الميزان الروحانى والميزان الجسمانى، و اين فى ميزان الاخرة العمود الواحد و الكفتان، و اين فى

موازين الاخرة مايشبه القبان.

قلنا: قد مر ان هذه المعارف التى هى سبب عروج النفس الى معارج الملكوت مستفادة من اصلين، فكل اصل كفة، والحد المشترك بين الاصلين الداخل فيهما عمود، واما مايشبه القبان فهو ميزان التلازم، اذا احد طرفيه اطول، و الاخر اقصر، و يتولد النتيجة من ازدواج اصلين يدخل شيء من احدهما فى الاخر، فهذه الموازين الخمسة التى يعرف بها مثاقيل الافكار و مكائيل الانظار فى العلوم الحقيقية التى هى الارزاق المعنوية لاهل الاخرة، و قد انزل الله تعالى هذه الموازين من السماء ليعلم كل احد مقدار علمه و عقله و ميزان سعيه وعمله، و يحسب حساب رزقه و اجله، و يحضر كتاب عمره و امله، فان لكل مخلوق رزقا خاصا و بحسب كل رزق له اجل مكتوب و حساب محسوب، والارزاق المعنوية كالا رزاق الحسية متفاوتة فى الاكل متفاضلة فى دوام الحيوة والاجل كماً و كيفاً و نفعاً وضرابل الارزاق الاخروية اكثر تفاوتا و اشد تفضيلا من الارزاق الدنيوية، كما فى قوله تعالى: و للاخرة اكبر درجات و اكبر تفضيلا، و قال ايضاً مخاطبا لنبيه المنذر: ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى احسن، فامر الله نبيه بدعوة الخلايق الى انواع مختلفة من الرزق حسب تفاوت الغرايز والجبلات للخلق، فالقرآن بمنزلة مايدة نازلة من السماء الى الارض مشتملة على اقسام من الرزق لطوايف من الناس، ولكل منها رزق معلوم و حيوة مقسوم، فالحكمة و البرهان لقوم، والموعظة والخطابة لقوم، والجدل والشهرة لقوم، ويوجد فيه لغير هؤلاء الطوايف الثلاث اغذية ليست بهذه المثابة من اللطف، بل انزل منها على حسب مقاماتهم فى الكثافة والسفالة الى حد القشور والنخالة، كما فى قوله تعالى: ولارطب و لايابس الا فى كتاب مبين، فكما يوجد فيه اللبوب كذلك يوجد فيه التبن والقشور، و هى للعوام الذين درجتهم درجة الانعام كما قال: متاعاً لكم ولانعامكم، و ذلك لان الغذاء يجب ان يكون مشابهاً للمغتذى.

تبصرة ميزانية

و من الامور التى لابد من معرفتها لكل احد ممن آمن بالله وباليوم الاخر، و هو ان يعلم كيفية الموازنة بين الامور الدنيوية و الاخروية، وتحقق التطابق بين النشأتين، فمن فتح على قلبه باذن الله باب الموازنة بين العالمين، عالم الملك و الملكوت، عالمى الغيب و الشهادة، يسهل عليه سلوك سبيل الله و ملكوته، واطلع على اكثر اسرار القرآن واغواره، و شاهد حقايق آياته و انواره، مما غفل كافة علماء الرسوم و متفلسفة الحكماء المشهورين بالفضل و الذكاء من هذه الموازنة، و هى باب عظيم فى معرفة احوال الاشياء وحقايق الموجودات على ماهى عليها، سيما معرفة امور المعاد، و هو اول مقامات النبوة، لان مبادى احوال الانبياء عليهم السلام ان يتجلى لهم فى المنام النشأة الثانية، و يتصور واحقايق الاشياء فى كسوة الاشباح المثالية، لان الرؤيا الصادقة جزء من اجزاء النبوة، ولايتجلى حقايق الاشياء بلا التباس الا فى عالم القيامة لقيامها بذواتها، و اما فى هذا العالم فهى فى اغطية من الصور الحسية، و الان «فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد»، فتأمل فى هذا المقام فعساك تنفتح لك روزنة الى عالم الملكوت، والا فمازلت متوجهاً الى ملابس عالم التقليد الحيوانى، مصروف الهمة والوجهة اليه من انوار الملكوت، مستفيداً من آثار الحس و التقليد، فمحال ان يتجلى لك شىء من عجائب الحكمة و غوامض اسرار القيامة.

تذكير

اعلم يا حبيبى انك مسافر من الدنيا الى الاخرة، و انت تاجر ايضاً و رأس مالك حيوتك الدنياوية، و تجارتك هى اكتساب القنية العلمية، و هى زاد سفرك الى معادك، و فايدتك و ربحك هى حيوتك الابدية تنعمها بلقاءالله و رضوانه، و خسرانك هو هلاك نفسك باحتجابك عن جوارالله و دار كرامته.

و اعلم ان الناقد بصير لايقبل منك الاالخالص من ذهب المعرفة و فضة الطاعة، فوزن حسناتك بميزان صدق، واحسب حساب نفسك قبل ان توافى عمرك، و قبل ان يحاسب عليك فى وقت لايمكنك التدارك والتلافى، فالموازين مرفوعة ليوم الحساب و فيه الثواب والعقاب «فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية و اما من خفت موازينه فامه‌ها هاوية و ما اردیك ماهية نار هامية».

و اماالقول فى‌ميزان الاعمال، فاعلم ان لكل عمل من‌الاعمال الحسنة كالصلوة و الصيام و القيام وغيرها، باعتبار تأثيره فى النفس و تخليصها من اسرالشهوات وتطهيرها عن غواسق الطبيعة و جذبها من‌الدنيا الى الاخرة واصعادها عن‌المنزل الادنى الاسفل الى المحل الا رفع الاعلى مقداراً معينا و قوة معينة، و كذلك لكل عمل من الاعمال السيئة قدرا معينا من التأثير فى اظلام جوهر النفس و تكثيفها و تكديرها و تعليقها بالدنيا و شهواتها و تقييدها بسلاسلها و اغلالها، و كل ذلك محجوب عن مشاهدة الخلق فى الدنيا، و عند وقوع القيامة ينكشف لهم، لاجل رفع الحجاب و كشف‌النقاب حقيقة الامر فى‌ذلك، فكل احد يرى غاية عمله و سعيه فى‌الدنيا والاخرة، و قوة انجذابه الى النعيم والجحيم، ويرى ثقل احد جانبى‌ميزانه و رجحان احد كفتى ميزانه رفعا و وضعا، و بالجملة كل واحد من افراد الناس له تفاريق اعمال، اما حسنات او سيأت او مختلفات، فاذا جمعت يوم القيامة متفرقات حسناته اوسيأته كان اما لاحدهما الرجحان اولا، فان كان الرجحان للاولى كان من اهل السعادة و ان كان للثانى كان من اهل الشقاوة، و من استوت حسناته و سيئاته كان متوسطاً بين‌الجانبين حتى يحكم‌الله فيه، وهاهنا قسم آخر ارفع من‌الثلاثة، و هم‌الذين استغرقوا فى شهود جلال‌الله ولاالتفات‌لهم الى‌عمل صالح اوسيئى فكسروا كفتى ميزانهم و خلصوا من عالم الموازين والاعمال الى عالم المعارف و الاحوال وانوار الجمال والجلال.

فنقول من‌الرأس: كل احد ما لم‌يتخلص ذاته بقوة اليقين و نور

الايمان عن قيدالطبيعة و اسر الدنيا فذاته مرهونة بعمله، فهو بحسب مزاولة الاعمال و الافعال و ثمراتها ونتايجها وتجاذبها للنفس الى شيء من الجانبين بمنزلة ميزان ذى كفتين، احدى كفتيه تميل الى الجانب الاسفل اعنى الجحيم بقدر ما فيها من متاعها متاع الدنيا الفانية و زادها، والاخرى تميل الى العالم الاعلى ودارالنعيم بقدر ما فيها من متاع الاخرة و زادها، ففى يوم القيامة و يوم العرض الاكبر اذا وقع تعارض بين الكفتين، والتجاذب الى الجنبتين، فالحكم من الله العلى الاكبر لكل احد فى ادخاله احدى الدارين، دارالنعيم و دار الجحيم على حسب ميزانه من جهة رجحان احدى الكفتين، كفة الحسنات و كفة السيأت.

واعلم ان كفة الحسنات فى جانب المشرق وكفة السيأت فى جانب المغرب، و ان الاولى كفة اصحاب اليمين و الاخرى كفة اصحاب الشمال، ثم لايذهب عليك انه اذا وقع الترجيح و المجازاة ونفذ الحكم وقضى الامر، تصير الكفتان كلتاهما فى حكم واحدة فى اليمينية و الشمالية و المشرقية و المغربية و الجنانية و الجحيمية، فاهل السعادة كلتا يديهم تصير يمينية، و كلتا يدى اهل الشقاوة تصير شمالية.

قاعدة

فى الحساب

الحساب جمع متفرقات شتى ليعلم حاصل مجموعها، وقدسبق انه ما من انسان الاوله متفرقات اعمال واقوال، ولاعماله واقواله المتفرقة آثار و نتايج فى القلب تنويراً و اظلاماً و تقريباً الى الله تعالى وتبعيداً عنه، ولايعلم فذلكتها ولايعرف جمع متفرقاتها الان الاالله، فاذا احضرت الملائكة فذلكة متفرقاتها، و حاصل اعدادها، وصورة نتايجها وجمعية ثمراتها باذن الله تعالى كانت حساباً بهذا الاعتبار، وباعتبار اثباتها فى صحيفة مكتوبة كتبها كرام الكاتبين كانت كتاباً، فكل احد يصادف يوم الاخرة جامع كل دقيق و فيدخلون جهنم بلاحساب، و قسم منهم صدر منهم بعض الحسنات لكن وقع فى حقهم قول: فحبط ما صنعوا فيها و باطل ماكانوا يعملون، وقوله: وقدمنا

جليل من اعماله واقواله فى صحيفة باطنية، طويت منا اليوم ونشرت يوم القيامة، وهى كتاب حفيظ لقوله تعالى : وعند ناكتاب حفيظ، وقوله :لايغادر صغيرة ولاكبيرة الا احصيها ووجد واما عملوا حاضراً ولايظلم ربك احداً، ففى قدرة الله تعالى ان يكشف فى لحظة واحدة للخلايق كلهم حاصل حسناتهم وسيئاتهم وهو اسرع الحاسبين .

قاعدة

فى الاشارة الى طوايف الناس من جهة الحساب

الناس يوم القيامة صنفان، صنف يدخلون الجنة و يرزقون من نعيمها، و هم ثلاثة اقوام، منهم المقربون الكاملون فى المعرفة و التجرد، و هم لتنزههم و ارتفاع مكانتهم عن شواغل الكتاب و الحساب يدخلون الجنة بغير حساب، كما قال تعالى فى حقهم: ما عليك من حسابهم من شئى و ما من حسابك عليهم من شئى، و منهم جماعة من اصحاب اليمين لم يقدموا فى الدنيا على معصية ولم يقترفوا سيئة ولا فساداً فى الارض، لصفاء ضمايرهم و قوة نفوسهم على فعل الطاعات و ايتاء الحسنات، فهم ايضاً يدخلون الجنة بغير حساب، كما قال: تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولا فساداً و العاقبة للمتقين، و منهم جماعة نفوسهم ساذجة وصحايف اعمالهم خالية عن آثار السيئات والحسنات جميعاً، «فينالهم الله برحمة منه و فضل لم يمسسهم سوء العذاب[1]»، لان جانب الرحمة ارجح من جانب الغضب، اذ لايمكن هناك رجحان الا مجرد الامكان، و تحقق قابليته مع عدم المنافى، فهؤلاء ايضاً يدخلون الجنة بغير حساب، و قد قال: و رحمتى وسعت كل شئى، و قال: سبقت رحمتى غضبى.

و اما الصنف الثانى الذينهم اهل العقاب فهم ايضاً ثلاثه اقسام،منهم صحيفة اعمالهم خالية من العمل الصالح ولا محالة يكون كافرا محضاً،

١ــ هذه ليست بآية، بل تركيب من آيات مختلفة.

فيدخلون جهنم بلاحساب، و قسم منهم صدر منهم بعض الحسنات لكن وقع فى حقهم قول: فحبط ماصنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون، و قوله: وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً، و قسم منهم و هم فى الحقيقة من اهل الحساب، حيث «خلطوا عملا صالحاً و آخر سيئا»، فهؤلاء قسمان، قسم من نوقش معهم فى الحساب بكل دقيق و جليل، لأنهم بهذه الصفة عاشوا فى الدنيا و عاشروا مع الخلايق فاستوفوا حقوقهم فى المعاملات مع الخلق من غير مسامحة، فعومل معهم فى الاخرة هكذا، والقسم الثانى و هم الذين كانوا يخافون سوء الحساب و يشفقون من عذاب يوم القيامة، فهؤلاء لايعذبون كثيراً بالمناقشة معهم فى الحساب، فكيف فى العذاب بالنار.

المشهد التاسع

فی الجنة و النار و الاشارة الی ابواب النیران

قال محمدبن علی بن بابویه القمی رحمه‌الله اعتقادنا فی الجنة انها دارالبقاء ودارالسلامة لاموت فیها ولاهرم، ولاسقم ولامرض، ولا آفة ولا زوال ولا زمانة ولاهم ولاغم ولاحاجة ولا فقر وانها دارالغنی و دارالسعادة و دارالمقامة و دارالکرامة لایمس اهلها نصب ولایمسهم فیها لغوب لهم فیها ما تشتهی الانفس وتلذالاعین وهم فیها خالدون، وانها داراهلها جیران‌الله واولیاؤه واحباؤه واهل کرامته،وهم‌انواع‌علی مراتب‌الجنة،منهم المتنعمون بتسبیح الله و تقدیسه و تکبیره فی جملة ملائکته، و منهم المتنعمون بانواع المآکل و المشارب و الفواکه و الارائك و حورالعین، و استخدام الولدان المخلدون، و الجلوس علی النمارق والزرابی و لباس السندس و الحریر،و کل منهم انما یتلذذ بما یشتهی و یرید علی حسب ما تعلقت علیه همته، و یعطی ما عندالله من اجله، و اعتقادنا فی‌النار انها دارالهوان ودارالانتقام من اهل‌الکفر والعصیان، ولایخلد فیها الا اهل الکفر والشرك، فاما المذنبون من اهل التوحید فانهم یخرجون منها بالرحمة التی تدرکهم، والشفاعةالتی تنالهم، وفی‌الروایة انه لایصیب احداً من اهـل التوحید الم فی النار اذا دخلوها، و انما یصیبهم الله الا لام عندالخروج منها، فیکون تلك الا لام «جزاء بما کسبت ایدیهم و ما الله بظلام للعبید»، و اهل النار هم‌المشرکون حقا لایقضی علیهم فیموتوا ولا یخفف عنهم من عذابها، «لایذوقون فیها

برداً ولاشراباً الا حميماً وغساقاً»، و ان استطعموا اطعموا من الزقوم وان استغاثوا اغيثوا «بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب و سائت مرتفقاً» ينادون من مكان بعيد ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون»، فيمسك الجواب عنهم احياناً ثم قيل لهم: اخسئوا فيها ولاتكلمون، و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون.

وابواب الجنان هى التى اشير اليها فى القرآن بقوله تعالى: والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، و قوله: لاتفتح لهم ابواب السماء و لايدخلون الجنة، وقوله: جنات عدن مفتحة لهم الابواب، و ابواب النيران هى المشار اليه بقوله تعالى: ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها، و قوله: حتى اذا جاؤها و فتحت ابوابها، و قوله: لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم، لكنهم اختلفوا فى تعيين ماهيتها فقيل هى المدارك السبعة، و هى الحواس الخمس الظاهرة و الحاستان الباطنتان يعنى الخيال و الوهم، احدهما مدرك الصور والاخر مدرك المعانى الجزئية، و هذه الابواب كما انها ابواب النيران فهى ابواب الجنان، اذا استعملها الانسان فى الطاعات و فيما خلقها الله لاجله، وللجنة باب ثامن مختص هو باب القلب، و قيل هى الاعضاء السبعة التى وقع التكليف بها، و قيل هى الأخلاق السيئة للجحيم، و مقابلاتها من الاخلاق الحسنة للجنة، و هى مثل الحسد و الكبر و البخل والعجب و النفاق و غير ذلك، فلا يبعد ان يكون لها سبعة جوامع، لكل منها شعب كثيرة، اوهى ابواب، والقول الاول اقرب الى الصواب، فان كلا من المشاعر السبعة باب الى الشهوات الدنيوية التى ستصير نيرانات محرقة فى الاخرة، و هى ايضاً ابواب لادراكات المعارف التى يثاب بها فى الجنة، و ان كلا منها فيه باطن وظاهر، باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب، و اذا غلقت ابواب النيران فتحت ابواب الجنان، بل هى على شكل الباب الذى اذا فتح على موضع انسد عن موضع آخر، فعين غلقه على منزل عين فتحه الى منزل آخر الاباب القلب وهوالباب الثامن، فانه مغلق دائما على اهل الحجاب الكلى والكفر، و هو مختص باهل الجنة ولاينفتح لاهل النار،

«فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون»، والنار لها على الافئدة اطلاع لادخول لغلق ذلك الباب عليها، فما ذكرالله من ابواب النار الا السبعة التى يدخل منها الناس والجان، و اما الباب المغلق الذى لايدخل فيه اهل الكفر و الاحتجاب، فباطنه محل الايمان والعبودية.

و فى الحديث التراب لا يأكل محل الايمان و مافيه، سعيد فى الدنيا والاخرة ليس للعذاب والشقاء فيه مدخل، فهو كالجنة حفت بالمكاره، و باطنه فيه الرحمة وظاهره فيه العذاب، وهى النار التى تطلع على الافئدة.

واما منازل جهنم و دركاتها و خوخاتها[1] فعلى قياس مايذكر فى الجنان، و اما اسماء ابوابها السبعة فهى باعتبار الاضافة الى منازلها، باب جهنم، وباب الجحيم، و باب السعير، و باب السقر، و باب اللظى، و باب الحطمة، و باب السجين، والباب الثامن المغلق الذى لايفتح فهو الحجاب والسد، واما خوخات النار فهى شعب الكفر والفسوق، و كذا خوخات الجنة هى شعب الايمان والطاعة، فمن عمل من خير فانه يراه فى الاخرة، و اما الشر فقد يراه و قد يعفى عنه.

تنبيه

اعلم ان باطن الانسان فى الدنيا هو ظاهره فى الاخرة، و ما كان لها غيبا هاهنا يصير شهادة هناك، والحق ان اطلاق ابواب الجنان على هذه المشاعر من باب التوسع ليس على الحقيقة، لان باب الدار ما اذا فتح فتح اليها، و به يقع الدخول اليها بلامهلة، و ماهى الا الحواس المحشورة مع النفس الباقية معها، فان للنفس فى ذاتها كما مر سمعاً و بصرا و شماً وذوقا و لمساً و تخيلا و تصرفا وفعلا وحركة، و ان لها عينا باصرة الى ربها ناظرة، و اذنا سامعة يسمع بها كلمات الملائكة و اصوات طيور الجنان و نغماتها، و شماً يشم به روايح الانس ونسايم القدس، و ذوقاً يذوق به طعوم

١ــ الكوة ــ الباب الصغير فى الباب الكبير.

الجنة، و لمساً يمس به حور العين، و هي المشاعر الروحانية والحواس الباطنية، و انها مع محسوساتها من اهل الجنة ان لم يحجبها سدو لم يمنعها مانع، واما هذه الحواس فهى داثرة و محسوساتها مستحيله كائنة فاسدة توجب العذاب الاليم و الحرمان عن النعيم، و يؤدى الى الهاوية و يحترق بنار الجحيم، فكل نفس تتبع الهوى و تسخر الشهوة عقلها، و يستخدمها الشيطان و يستعبدها، كما قال: افرأيت من اتخذ الهه هواه و اضله الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة، فيصير على كل من مشاعره السبعة له سبباً من اسباب طاعته للهوى و انقياده للشهوات و عدوله عن طريق الهدى، و بابا من ابواب الوقوع فى المهالك، «فمن يهديه من بعدالله افلاتذكرون»، فيكون حاله كما افصح عنه قوله تعالى: فاما من طغى و آثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى، فظهر ان كل مشعر من المشاعر باب من ابواب جهنم، لهاسبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم، واما القلب فاذاتنور بنور المعرفة والايمان وخرج من القوة الى الفعل كالحديد اذا صقل و خرج من الحديدية الى المرآتية، صار كعين صحيحة استنارت بنور الملكوت الاعلى، فيطالع بكل مشعر آية من آيات ربه الكبرى و بابا من ابواب معرفة ربه الاعلى فينتزع من صورها المحسوسة معانى كلية، و يفهم منها اسرار الهية يقف عليها و يستعد بذلك للسعادة القصوى و مجاورة الرحمن «فى مقعد صدق عند مليك مقتدر»، و هذا بخلاف حال اهل الهوى و الجهالة المعرضين عن سماع آيات الله، مصرين مستكبرين كما قال سبحانه: يسمع آيات الله ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى اذنيه وقراً فبشره بعذاب اليم، و هم الذين غلقت عليهم الابواب و سدت عليهم الطرق كقوله تعالى: وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لايبصرون، فلا لهم قوة نظرية لادراك المعقولات الالهية، ولا ايضا لهم سلامة قلب فى تلقى السمعيات الدينية، فلا جرم حالهم فى القيامة كما اعترفوا به حين ما لا تنفعهم ذلك الاعتراف، «قالوا لوكنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير»، فقدوضح وانكشف

ان جميع هذه المشاعر الثمانية يصلح لان يصير ابواب الجنان فى حق من صرفها فيما خلق الله لاجله، «واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى»، والسبعة منها ابواب الجحيم فى حق من صرفها فى الدنيا و لذاتها، لذات عالم الزور والات القبور «فاما من طغى و آثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى».

فان قلت: باب الدار يشبه الدار، و الجنة و النار داران متخالفتان فى نحو الوجود و تجوهر الحقيقة، فكيف يصح ان يكون المشاعر الانسانية تصلح لأن يكون ابواب الجنة و ابواب الجحيم جميعاً.

قلنا السمع والبصر و غيرهما التى لأهل السعادة تخالف بالنوع عندنا لما بازائها من التى لأهل الشقاوة، و ان وقع الاشتراك بينهما فى اصل الحاسية و الشعور، فان مدارك اهل الجنة و مرائيهم منورة بنور المعرفة و التقوى، ومرائى هؤلاء المخذولين مغشاة بغشاوة الطبع، مظلمة بظلمات النفس و الهوى، و بالجملة السمع والبصر والفؤاد التى لاولئك الاصحاب قد وقع لها التبديل الاخروى والتحويل الالهى الذى به يستأهل لان يكون من ابواب الجنة التى هى دار الحسنات و منزل الخيرات، و اما السمع والبصر والفؤاد التى لاصحاب النار فقد وقع لها التبديل ايضاً ولكن صارا نجس واظلم مما كانت فصلحت و ناسبت لأن يكون مداخل و ابواباً لدار الظلمات و معدن البوار والشرور والافات، قال الله تعالى: افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار و الافئدة قليلا ما تشكرون، فما اشد حال المكبين على وجوههم فى استعمال الحواس و صرف القوى، و ما ابعد عن حال من يمشى سويا على سبيل الله الذى افاده سمعاً و بصرا و فؤاداً استعملها فى المعرفة و العبودية شاكراً لله، فاين هؤلاء و مداركهم من هؤلاء و مداركهم فافهم انشاءالله.

المشهد العاشر

فی الاشارة الی الزبانیة و عددها

قال تعالی: علیها تسعةعشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملائکة و وما جعلنا عدتهم الافتنة للذین کفروا لیستیقن الذین اوتوا الکتاب، ولیقول الذین فی قلوبهم مرض و الکافرون ماذا ارادالله بهذا مثلا کذلك یضل الله من یشاء و یهدی من یشاء وما یعلم جنود ربك الاهو و ماهی الا ذکری للبشر.

واعلم ان مدبرات الا مور فی‌برازخ عالم الظلمات و اشباح عالم الطبیعة التی ظاهرها الدنیا و باطنها طبقات الجحیم هی المشارالیه بقوله: فالمدبرات امراً بعد قوله: والسابقات سبقا، لان وجود کل منها تحت‌وجود جوهر قدسی مفارق الذات سابق الوجود علی النفسانیات و الطبیعیات، المدبرات کروحانیات العالم الکبیر الجسمانی و العالم الصغیر الانسانی، فهی فی‌العالم الکبیر العلوی ارواح الکواکب السیارة و البروج الاثنی عشریة والمجموع تسعةعشر مدبرا، و کذا فی العالم الصغیر البشری هی رؤس‌القوی المباشرة للتدبیر والتصرف فی‌البرازخ السفلیة تسعة عشرقوی، سبعة منها مبادی الافعال النباتیة و اسبابها و قواها، ثلاثة منها الاصول فی فعل‌التغذیة و التنمیة و التولید، و اربعة منها الفروع و الخوادم، و اثنی‌عشر منها مبادی الادراکات، خمسة ظاهرة و خمسة باطنة و اثنان مبدأن قریبان للتحریك، احدهما الشهوة مبدء الجذب الملایم، والثانی الغضب مبدءالدفع

المنافر، فان لكل من هذه التسعة عشر مدخلا فى انـارة نارالجحيم التى منشأها ثوران حرارة جهنم الطبيعة و شهواتها التى هى نيرانات كامنةاليوم عن نظر الخلايق، و ستبرزيوم القيامة بحيث يراها الناس محرقة للجلـود مذيبة للابدان، قطاعة «نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى، و اما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا»، والانسان مادام كونه محبوساً فى الدنيا بهذه المحابس الداخلية و الخارجية التى باطنها مملوأ بنار الجحيم، مسجوناً بسجن الطبيعة مقبوضا اسيراً فى ايدى المدبرات العلوية التسعة عشر، والمؤثرات السفلية التسعة عشر، لايمكنه الصعود الى عالم الجنان و دارالحيوان و منبع الروح والريحان، فهو لايزال معذب بعذاب الجحيم محتـرق بنار الحميم مقيد بالسلاسل والاغلال كالاسارى والعبيد، وحـاله كما افصح الله عنه بقوله: خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوة ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه، لعدم استكمال نفسه بالعلم والعمل، ليصير كالاحرار خلاصاً عن الاسر والقيد، ولذا وقع التعليل، بترك العلم والعمل فى قوله: انه اى لانه كان لايؤمن بالله العظيم ولايحض على طعام المسكين، فالاول اشارة الى ترك العلم، و الثانى الى ترك العمل الصالح، فاذا انتقل من هذا العالم الى عالم الاخرة التى هى فى داخل حجب السموات والارض كما مر ينتقل من السجن الى السجين، و كان هاهنا ايضاً مسجوناً محاطاً بالجحيم، ولكن لايحس بالم السجن و عذاب الحبس، وليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام الا من غسلين لايأكله الا الخاطؤن، فاذا كشف عنه الغطاء احس بذلك وانتقل العذاب من باطنه فى الدنيا الى ظاهره فى الاخرة، فيؤديه المالك الى ايدى هذه الزبانية التسعة عشر التى هى من نتايج تلك المدبرات الكلية، فيتعذب فى الاخرة بها، كما كان يتعذب بها فى الدنيا من حيث لايشعر، و من كان على هدى مـن ربه مستوياً على صراط مستقيم صراط الله العزيز الحميد، فيسلك سبيل الله بنور الهداية بقدمى العلم والعمل يصل الى دارالسلام ويسلم من هذه المعذبات والمهلكات، ويتخلص عن رق الدنيا واسر الشهوات، «ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلماً لرجل هل يستويان مثلا الحمـدلله بل اكثرهم لايعقلون».

المشهد الحادی عشر

فی الاشارة الی درجات الجنان و درکات النیران

قال بعض المحققین: الخلق اتصف اولا بالوجـود، ثم بالعلم، ثم بالقدرة، ثم بالارادة، ثم بالفعل، و حیث یکون المعاد عوداً الی الفطرة الاصلیة ورجوعاً الی البدایة فی النهایة، فلابد ان ینتفی منه هذه الصفات علی التدریج و الترتیب المعاکس للترتیب الاول الحدوثی، فالسالك الی الله تعالی بقدم الایمان و نور العرفان لابد ان ینتفی منه اولا الفعل، و هو مرتبة التقوی و الزهد فی الدنیا، ثم لابد ان ینتفی منه الاختیار، ولم یبق فیه ارادة و اختیار، بل یستهلك ارادته فی ارادة الله، «وما کان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضی الله و رسوله امراً ان یکون لهم الخیرة»، لان جمیع الاشیاء صادرة عنه تعالی علی ابلغ وجه واحکم نظام، فاذا تقرر له هذا المقام واستقام فیه، رضی بالقضا و حصل له مقام الرضا واستراح له من کل هم و غم، لانه رأی الاشیاء کلها فی غایة الجودة والحسن والنظام والتمام، ورآی رحمة الله وسعت کل شئی بل رأی فی کل شئی وجه الحق الباقی، و رأی الحسن المطلق والجمـال المطلق متجلیاً علیه وعلی کل شیئی فیکون مبتهجاً به ملتذا راضیاً، فان من رآی صورة جملة العالم مکشوفة لدیه، حاضرة عنده حضوراً علمیا علی احسن ترتیب و خیر نظام واجود نسق و تمام، من جهة العلم باسبابه و مبادیه الاخذة من عندالله، و عند ذلك قد تبدلت علیه صور الاشیاء عما کانت هی علیه عنده اولا، فصارت الارض غیر الارض و السموات غیر السموات، و هکذا کل شئی

حتی نفس ذلك السالك، فانه قد تبدل وجوده الظلمانی بوجود نورانی مطهراً مذهوباً عنه رجس الجاهلية، فيكون فی جنة عرضها السموات و الارض، و بهذا الوجه يسمى خازن الجنة الرضوان، لان الانسان ما لم يبلغ الى هذا المقام من الرضا لايدخل الجنة ولا يصل الى دار الكرامة والقرب، كما ورد فی الحديث الالهی من لم يرض بقضائی ولم يصبر على بلائی فليعبد رباً سوائی وليخرج من ارضی وسمائی، و قال تعالى: و رضوان من الله اكبر، ثم بعد هذا المقام لابد ان ينتفی عن السالك القدرة، حتى لايرى لنفسه حولا ولاقوة و قدرة مغايرة لقدرة الحق و قوته التی لايخرج منها شئی من المقدورات، فيكون فی مقام التوكل و من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره، وهو مقام التفويض و افوض امری الى الله، ثم بعد ذلك لابد ان ينتفی منه صفة العلم لاضمحلال علمه فی علم الله الذی لايعزب عنه مثقال ذرة فی الارض ولا فی السماء، كما فی قوله حكاية عن الملائكة الذين انخرطت علومهم فی علم الله: لاعلم لنا الا ماعلمتنا، وهو مقام التسليم كما قال: و سلموا تسليماً، و قوله: فسلام لك من اصحاب اليمين، و قوله: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، ثم بعد ذلك لابد ان ينتفی وجوده الذی به يوجد الان فی وجود الحق الذی به يوجد كل شئی و يقوم، و بنوره يظهر كل ظل و فیء ويدوم، حتى لايكون له فی نفسه عند نفسه وجود، وهذا مقام اهل الوحدة، و هو اجل المقامات وافضلها اعنی الفناء فی التوحيد، «اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و الصالحين، قوله: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار و يبقى وجه ربك ذوالجلال و الاكرام» فهذه نهاية درجة السالكين الى الله «و ليس وراء عباد ان قرية».

و اما من لم يسلك سبيل اهل الوحدة و العرفان، و كانت افعاله على حسب ارادته و مقتضى طبعه كان كما اشير اليه بقوله تعالى: ولو اتبع الحق اهوائهم لفسدت السموات والارض و من فيهن، فيصير لامحالة ممنوعاً عما استدعاه هواه، محجوباً عن مقتضى طبعه و مشتهاه، كما قال: وحيل بينهم و بين مايشتهون، فوقع فی سخط الله و نار غضبه، «افمن اتبع رضوان الله كمن

باء بسخط من الله»، و اوصله الهواء الى الهاوية محروماً عن جميع ما يهواه قلبه و هواه، و يقيد و يغل بالسلاسل والاغلال كما هو صفة المماليك والعبيد و لهذا الوجه يسمى خازن النار والهاوية بالمالك، فيكون له بازاء كل درجة من درجات اهل الجنة دركة فى الجحيم، فله بازاء درجة التوكل دركة الخذلان كما فى قوله: و ان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده، وبازاء درجة التسليم دركة الهوان قوله: و من يهن الله فماله من مكرم، و فى مقابلة درجة القرب والوحدة دركة الطرد واللعنة «اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون»، و كما ان انتفاء القدرة و العلم و الوجود فى الطايفة الاولى اوجب لهم القدرة الغير المتناهية و العلم الذاتى اللدنى و الوجود المخلد الا بدى، فكذلك فى هذه الطايفة اقتضى استبدادهم بهذه الصفات عجزاً غير متناه وجهلا كلياً وهلاكاً سرمدياً، و ذلك هو الخزى العظيم.

و مما ورد فى هذا الباب من احاديث رواها ثقات اصحا بنا رضوان الله عليهم ماروا ه شيخ المحدثين محمد بن على بن بابويه فى كتابه المسمى بمعانى الاخبار.

المشهد الثانی عشر

فی سر شجرة الطوبی و شجرة الزقوم

قال سبحانه: طوبی لهم و حسن مآب، و قال ان شجرة الزقوم طعام الاثیم ای طعام الاثمین، انها شجرة تخـرج فی اصل الجحیم یعنی طبیعة الدنیویه، طلعها کأنه رؤس الشیاطین والطلع عبارة عن مبدء وجود البذر الموجب لحصول الاثمار و بروزها عن الاکمام، والاثمار هی الاغذیة، کأنه ای کل طلع منها رأس شیطان من الشیاطین وهی الاهویة المردیة المغویة والامانی الباطلة التی تتغذی بها و تتقوی نفوس اهل الضلال، و یمتلی بها طبایعهم و بواطنهم من الشهوات الدنیویة الموجبة لنار الجحیم والعذاب الالیم، قال تعالی: ثم انکم ایها الضالون المکذبون لاکلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون، ای یملؤن بطونهم ای نفوسهم من الشهوات و مواد الامراض النفسانیة الباعثة لفنون من العذاب و انواع من المحن و الالام فی الاخرة، کمن ادی به نهمته الی الحمی والصداع وغیرها من الاوجاع والامراض.

و اعلم ان النفس الانسانیة اذا کملت فی العلم والعمل صارت کشجرة طیبة فیها ثمرات العلوم الحقیقیة و فواکه المعارف الیقینیة، و کانت اصولها علوم ثابتة، وفرعها نتایج هی حقایق عالم الملکوت و معارف عالم اللاهوت، هذا من حیث قوة العلم والادراک، و اما من حیث قوة العمل و التأثیر، فکون الانسان بحیث کلما تریده نفسه و تشتهیه فیحضر عنده بقوته الباطنیة القویة علی احضار الصور المطلوبة دفعة من غیر مهلة، لما مرت الاشارة الیه سابقاً

ان باطن الانسان فى الدنيا هو ظاهره فى الاخرة و ظاهره فى الاخرة باطنه فى الدنيا، و الانسان يتصور و يخترع هيهنا بقوته الخيالية مشتهيات كثيرة، يحضر صورها فى عالم التمثل الذهنى، الا ان تلك الصور ليست بمحسوسة ولاحاضرة عند حسه فى العين، بل عند خياله فى الذهن، ولاجل ذلك لايعظم لذته منها، بل لايلتذ منها اصلا للشواغل الحسية، و اما اذا كان يوم القيامة، و كان الباطن مكشوفا ظاهراً والعلم عيناً والغيب شهادة والذهن خارجاً، كانت اللذة على حسب الظهور والوجود، لانها نزلت تلك الصور بمنزلة الصورة الموجودة فى العين، ولن تفارق الاخرة الدنيا فى هذا المعنى، الا من حيث كمال القوة و القدرة للنفس الانسانية على تصوير الصور عند القوة الحاسة، كما تشتهيه، و كلما تشتهيه الانسان السعيد حضر عنده دفعة، و تكون شهوته سبب تخيله و تخيله سبب تمثل الصورة بين يديه و حضورها لديه كما قال تعالى: فيها ما تشتهيه الانفس و تلذ الاعين و هم فيها خالدون، و قوله: ولكم فيها ما تدعون، و هذه القدرة اوسع و اكمل من القدرة على ايجاد الشيئى فى الدنيا اى فى خارج الحس، فان الموجود فى الدنيا لايوجد فى مكانين و لا فى مكان واحد يوجد اثنان للتزاحم و التضايق الواقعين فى هذا العالم، وايضاً النفس اذا اشتغلت بمحسوس خارجى احتجبت به عن الاخر، فشغلها محسوس عن محسوس و حجبتها لذة عن لذة اخرى، والملذ ايضاً ليس بقوى فى الذاذه لانقماره فى المادة وامتزاجه بغيره، و كذا فى الالم والمولم وهاهنا كله بخلاف ما فى الدار الاخرى، فان الصور المحسوسته هناك، يتضاعف عند الانسان بلامزاحمة ولاتضايق، ولا يستحيل هناك وجود محسوسات غير متناهية دفعة، اذ لايجرى فيه براهين امتناع الامور الغير المتناهية مجتمعة، و ايضا لايشغل النفس بعض تلك المحسوسات عن بعض، ولكونها صورا بلامادة تكون اللذة بها مفرطة لخلوصها عن الشوائب والمكدرات.

فاذا تقرر هذا فثبت ان مثال شجرة طوبى مثال للنفس السعيدة

الكريمة علما و عملا.

و قد روى عن طريق اصحا بنا رضوان‌الله عليهم ان طوبى شجرة اصلها فى‌دار على‌بن ابى‌طالب عليه‌السلام و ليس مؤمن الا وفى داره غصن من اغصانها، و ذلك قوله تعالى: طوبى لهم و حسن مآب فتأويل ذلك من جهة العلم ان المعارف الالهية سيما ما يتعلق باحوال الاخرة و ما لايستقل بادراكه العقول على طريقة الفكر البحثى انما يحتاج فيها الى اقتباس‌النور عن مشكوة نبوة خاتم الانبياء صلى‌الله عليه وآله بواسطة اول اوصيائه واشرف اولياء امته، فان انوارالعلوم الالهية انما انتشرت فى نفوس المستعدين من بدر ولايته و نجم هدايته، كما افصح قول النبى صلى‌الله عليه وآله: انا مدينة العلم و على بابها، و ذاته المقدسة بالقياس الى سايرالاولياء و العلماءبالولادة المعنوية كذات آدم ابى البشر فى‌الولادة الصورية، و لهذا ورد عن النبى صلى‌الله عليه وآله: يا على انا و انت ابواهذه الامة.

قال العارف المحقق فى‌الفتوحات المكية، ان شجرة طوبى لجميع شجرات الجنان كآدم لما ظهر منه من البنين، فان الله لما غرسها بيده و سواها و نفخ فيها من روحه، و لما تولى‌الحق غرس شجرة طوبى بيده و نفخ فيها من روحه زينها بثمرةالحلى والحلل اللذين همازينة للابسها، فنحن ارضها فان‌الله جعل ما على‌الارض زينة لها واعطت فى‌ثمرة الجنة كله من حقيقتها عين ماهى عليه، كما اعطت النواة النخلة و ما يحمله معالنوى التى فى ثمرها انتهى كلامه.

وقد ظهر منه ان شجرة طوبى يراد بها اصول المعارف و الاخلاق ليكون الزينة للنفوس القابلة، كما ان ما على الارض زينة لها، و ذلك لأن ارض تلك الشجرة اذا كانت نفوسنا فحللها لابد ان تكون من قبيل زينة العلوم والمعارف و محاسن الاخلاق والملكات.

قاعدة

فی کیفیة تجدد الاحوال و الآثار علی اصحاب الجنة و اصحاب النار

اما اهل النار فلاشبهة فی تجدد احوالهم و تبدل جلودهم واستحالة ابدانهم، و تقلبها من صورة الی صورة لقوله تعالی: کلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غیرها لیذوقوا العذاب، ولا شبهة فی ان تبدل الابدان و استحالة المواد لابد فیه من حرکة دوریة صادرة عن اجسام سماویة محیطة باجسام ذوات جهات متباینة کاینة فاسدة، فیکون الحکم فی اهل النار بحسب ما یعطیه الامر الالهی بما اودعه من القوة المحرکة الجابرة للفلك الاقصی علی حرکاته، و الکواکب الثابتة فی سباحة الدراری السبعة المطموسة الانوار، فهی کواکب لکنها لیست بثواقب ولامضیئة ولها تأثیرات فی حق اهل النار بفنون من العذاب و صنوف من العقاب بحسب مایقتضیه سوابق اعمالهم و مبادی افعالهم و اعتقاداتهم و نیاتهم، ولهذا قال بعض العرفاء ان حکم النار واهلها یقرب من حکم الدنیا و اهلها، و لیس للذینهم من اهلها الخالدین فیها بعد استیفاء العذاب و انقضاء مدة العقاب نعیم خالص ولا عذاب خالص، کما قال: لایموت فیها ولا یحیی، والسبب فی ذلك انه بقی فیهم ماادوع الله فیهم من آثار حرکات الافلاك، ولم یقع لهم توفیق الخروج من حکم الطبیعة و تأثیرها، فلا جرم لم ینجوا من عذاب النار و ان تغیر منهم علی قدر ما تغیر من صور الافلاك و الکواکب من التبدیل والطمس والانکدار والانتثار، ولا تغیر لها بحسب الذات الا ماشاءالله کما قال: فاما الذین شقوا ففی النار لهم فیها زفیرو شهیق خالدین فیها ما دامت السموات والارض، الا ماشاء ربك.

واما اصحاب الجنة فلیس لهم هذا التبدل والاستحالة والکون و الفساد، لارتفاع نشأتهم عن نشأة الطبیعة و حکمها، فحرکاتهم و افاعیلهم نوع آخر، ما فیها نصب ولاتعب و اعمالهم ما فیها لغوب لان السموات و

حركاتها مطوية فی حقهم، لانهم من اصحاب اليمين، و لهم مقام فيه يطوی الزمان و المكان، فزمانهم زمان يجمع فيه الماضی والمستقبل من هذا الزمان، و مكانهم مكان يحضر فيه جميع ما يسعه السموات والارض، و مع ذلك تكون الجنة و نعيمها من المحسوسات بلاشبهة، الا انها ليست طبيعية مادية، بل محسوسته، و وجودها و جود ادراكی حيوانی مجرد عن عالم الطبيعة والهيولی المستحيلة الكاينة الفاسدة، كما ان ما يراه الانسان فی عالم نومه محسوسات بلاشبهة الا انها غيرطبيعية، و النوم جزء من اجزاء النبوة و نشأته مثال نشأة الاخرة.

قال العارف المحقق فی الفتوحات المكيةفی الباب السابع والاربعين منها، فلا يزال الاخرة دائمة التكوين، فانهم يقولون فی الجنان للشئی الذی يريد ونه كن فيكون، فلايتمنون امراً ولايخطر لهم خاطر فی تكوين امر الا ويتكون بين ايديهم، و كذلك اهل النار لايخطر لهم خاطر خوفاً من عذاب اكبر مما هم فيه الا ويكون فيهم ذلك العذاب، و هو حضورالخاطر، فان الدار الاخرة يقتضی تكوين الاشياء حسا بمجرد حصول الخاطر والهم والارادة والشهوة، كل ذلك محسوس و ليس ذلك فی الدنيا اعنی الفعل بمجرد الهمة لكل احد انتهی كلامه.

و من عرف كيفية قدرةالله فی وجود الخيال، و ما تجده النفس من صورالاجرام والابعاد العظيمة و صفاتها و احوالها فی طرفةعين، هان عليه التصديق بتجسد الارواح و تصور النيات و حضور المشتهيات دفعة بمجرد الهمة و القصد و الشهوة، لامن جهة مادة جسمانية، و من هذا القبيل تمثل الاشخاص الملكية عندالانبياء والاولياء عليهم السلام و نزولهم بالوحی و الكرامات فی صور الاجسام المحسوسة، لظهور سلطان الاخرة على قلوبهم و قوة باطنهم، وقد يقع الاشتباه لبعض المكاشفين فيما يراه من الصور المتمثلة الحاضرة عنده هل رآه بعين الحس او بعين الخيال، والحق انها صور محققة الوجود و هی اقوی تحصلا من الصور الطبيعية، الا ان شرط تحققها على الوجه الاتم غلبة القوة الفاعلة النفسانية اعنی المصورة وحفظها

اياها بالهمة الشديدة، فان هذه الصور كما توجد بمشاركة المادة واستعدادها و جهات القابلية، كذلك توجد من الفاعل بمجرد جهات الفاعلية من غير مشاركة المادة، و هكذا الصور التى اوجدها الله لاهل الجنة و اعطاهم الاقتدار على انشائها وحفظها بقوة العزيز الحميد، ولا يؤدهم حفظهم اياها، لان ذلك الانشاء والحفظ ليس من جهة قوة مادية اوآلة طبيعية يكلها تكرر الافعال، ولابوسيطة حركة توجب التعب و الانفعال والتغير، بل بمجرد القصد و الهمة والشهوة، كما ان الحال فى تخيلات الانسان و احضار الصور المتمثلة فى الخيال على هذا المنوال، حيث لا يوجب بقوته الادراكية كلالا و تعباً ولا فيها نصب ولالغوب، و من هاهنا يعلم ان القوة الخيالية منا ليست من القوى الطبيعية بل النفسانية، ولا من الامور الدنيوية بل من الامور الاخروية التى ستبرز عند القيامة فهى مفارقة الجوهر عن هذا العالم، نعم لها تعلق تصرف و تحريك بهذه الطبيعة المنطبعة فى هذا الجسم المستحيل، و هذه الطبيعة ايضاً متصله بها و واسطة لتعلقها بهذا البدن المتبدل الكائن الفاسد فى كل آن كما مر ذكره مراراً فما دامت الطبيعة البدنية موجودة طرية قوية، فتلك القوة النفسانية ضعيفة القوام و التأثير فى تصويراتها المثالية و انشائها النشاة الثانية، و اذا دثرت الطبيعة و بادت المادة او ضعفت و وهنت، قويت قوة الباطن واصبحت القوة النفسانية مخترعة للصور الخيالية على الوجه الاقوى، فصار الحس و الخيال واحداً حينئذ، والمتخيل بعينه محسوساً و المحجوب مكشوفاً و المعلوم حاضراً، كقوله: علمت نفس ما احضرت.

تمت

فهرس الايات القرآنية

الاية	الصفحة
الفاتحة	
١	٧٦
البقرة	
٢	١٥، ١٩
٣	١٥، ١٧٠
٦	٣٠، ١٤٤
٧	٣٠، ١٤٤، ١٧٨
٨	٣٠
٩	٣٠
١٠	١٥، ٣٠
٢٢	٦١، ١١٧، ١٢٥
٢٤	١١٤
٢٦	٢، ١٥
٢٨	١٣٥، ١٨٤
٢٩	١٢٥
٣٠	١٠٩، ١٢٨
٣١	١٢٩
٣٢	٢٢٥
٣٣	٤٠، ٤٢
٣٥	١٦٧
٣٨	١٦٧
٦٥	١٥١
٨٧	١٥٤
٩٩	١٧٦
١١٦	٨٠
١١٧	٢٣، ٧٦
١١٨	٥٥
١٢٩	١٥٥
١٣٧	٢٣
١٤٨	٥١
١٥٤	١٤٦
١٥٦	١٠٣
١٥٩	٢٢٦
١٦٣	٣٤
١٦٧	١١٤
١٧١	١٧٦
١٧٤	١١٤
١٧٧	٣
١٨٢	١٢
١٨٥	١٧
٢٠٠	١١٦
٢١٢	١١٦
٢٢٥	٢٠٤
٢٤٧	٥٠
٢٥٥	٣٩، ٤٤، ١١٩

الاية	الصفحة
	البقرة
٢٥٧	٢٨، ٥٢، ١٠٧
٢٥٨	٢٠٩
٢٦٩	٢، ١٤، ١٣٨، ٢٦٩
٢٨٤	٣٩
٢٨٥	٢، ٣، ٢٧
	آل عمران
٣	١٨—١٩
٤	١٧
٦	٥١، ١٤٠
١٤	١٧٦
١٨	٢٦
٣٠	٢٣، ٢٠٤
٣٤	١٥٤
٥٩	١٢٨
٨٣	٨٢
١٢٤	٧٦
١٢٥	٧٦
١٣٣	١١٤
١٦٠—١٦٢	٢٢٦
١٦٩	١٤٦
١٧٤	٢١٥
١٧٩	١٤٤
١٨٠	١٧٥، ١٩٩
١٨٥	٩٣
١٩٢	٣
١٩٢	٤
	النساء
٢٨	١٥٧، ١٦١
٤١	١١٠، ٢٠٧
٥٦	٢٣٠
٦٩	٢٢٥

الاية	الصفحة
١٠٠	١٦١
١١٣	١٧، ١٩، ١٠٥
١٣٦	٢، ١١، ٢٧
١٥٥	٩، ١٧٧
١٦٢	١٢
١٦٣	١٠
١٧١	٧٥، ١٠٥
١٧٤	١٩، ١١٠، ١٧٥
	المائدة
٦	٨٧
١٣	٩
١٥	١٣، ١٧، ٢٠
١٦	١٣، ١٧٦
١٨	٨٧
٢٠	١٣٣
٣٠	١٣٢
٤٣	١٧
٤٨	١٣٩
٥٤	١٦١
٦٠	١٥١
٦٤	٥٩، ٧٨
٧٣	٣٥
٨٣	٥٥
١٢٠	٤٩
	الانعام
١	١١٢
٢	١٢٨
٩	١٥٥
١٨	٢٣، ١٦١
٢٥	٣٠، ١٧٦
٣٨	١٣٧، ١٥١
٥٠	١٧٣

الاية	الصفحة
الانعام	
٥٢	٢١٥
٥٧	١٧٢
٥٩	٤٦، ٤٩، ٥٩، ٦٠، ٧٨، ٢١١
٦١	٢٠١
٧٠	١١٦
٧٥	٧٨
٧٦	٢٠٩
٨٣	٢٠٩
٨٨	١١
٩٠	١١
٩١	٢٠، ٢١٠
٩٣	١٥٣
١٠٤	١٧٦
١١٢	١٣٧
١١٥	٧٥
١١٦	١٧٧
١٢٢	١٤، ١٣٠، ١٥٨
١٢٨	١٥١
الاعراف	
٨	٢٠٠، ٢٠٧
٢٩	١٦٦، ١٧٣
٣٤	٩٦
٣٨	١٧٧
٤٠	١٥١، ٢١٨
٤١	١٥١
٤٣	٨٦
٤٩	١٧٠
٥٤	٧٥، ٧٩، ١٠٤
٥٧	١٢٣
٥٨	١٤٠
١٢٩	١٣٣

الاية	الصفحة
١٤٥	١٩
١٥٦	٥٠، ٢١٥
١٦٠	١١١
١٧٢	١٦٦
١٧٦	١٤٤، ١٩٩
١٧٩	٣٠، ٥٥، ١٤٤
١٨٠	٤٠
١٨٥	١٠٥
١٨٧	٩٦، ١٦٩
١٨٨	١٧٣
١٩٨	١٣٨، ١٧٦
٢٠٦	٦٥
الانفال	
١٧	٣٩، ٥١، ١١١
٢١	٣١، ٥٦
٢٢	٥٦
٢٣	٣١، ٥٥، ٥٦
٣٧	٩
التوبة (البرائة)	
٦	٥٣
١٤	٣٩، ٥١
١٩	٣
٣٠	٥٩
٣٢	٩١
٤٠	٧٥
٤٦	١٥٣
٤٨	١٥٣
٤٩	١١٤
٦٧	٥
٧٢	٨، ٢٢٥

الاية	الصفحة
	التوبة (البرائة)
٨٧	٢١٩
١٠٢	٧٧، ٢١٦
	يونس (ع)
٥	١٢٥، ١٥٥
٦	١٦
٧و٨	٥، ١١٦
١٩	١٤٣
٢٣	٩٦
٢٤	١١٢
٣٠	٩٦
٣٣	٣٠
٣٤	٩٦
٣٦	١٧٧
٣٧	١٣
٣٩	٣١
٤٣	٣١
٤٨	١٧٠
٦١	٤٦
٦٤	٢٨، ٥٩
٩٢	١١٢
١٠١	٣
	هود (ع)
١	١٣
٦	٦١
٧	٨٨
١٥	١٠، ١١٦
١٦	٢١٥
١٨و١٩	١٣٩
٢١	١٦١
٣٤	١٥٢
٣٧	٧٨

الاية	الصفحة
٤٦	٢٠٥، ٢٠٨
٦١	١٢٨
١٠٦	٢٣٠
١٠٨	٧٤
	يوسف (ع)
١	١٦
٦	٥٣
١٠٣	١١
١٠٥	٣، ١٧٦
١٠٦	١١
١٠٨	١، ٥٣
	الرعد
١	١٥
٤	٨٠
٧	١٧٣
١١	٧٦، ١٦١
١٢	١٢١
١٣	٧٦، ١٢١
١٦	٣٥
١٧	١٢٣
١٩	١٥، ٥٦، ١٧٧
٢٣	٢١٨
٢٩	٢٢٧، ٢٢٩
٣٣	٢٣
٣٩	١٦، ٤٨، ١١٧
	ابراهيم (ع)
٢	٥
٣	٥، ١١٦
١٠	٣٤، ١٥٥
١٨	١٥٧
١٩	٨٦

الآية	الصفحة
	ابراهيم (ع)
٢٤	١٣٧
٢٦	١٠٣، ١٣٧
٣٢	٧٧
٣٣	٧٧
٣٤	٤٨، ١٥٧
٤٨	٨٦، ٩٦
	الحجر
١٩	١٢٤
٢٠	١٢٤
٢١	٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٩، ٦١، ٧٨
٢٦	١٢٨
٢٩	١٢٨، ١٣٦، ١٣٨
٤٤	٢١٨
٤٦	٥٢
	النحل
١	١٠٤
٥ــ٨	١٢٥
٨	٧٨
١٠و١١	١٢٥
١٣و١٤	١٢٤
١٥	١٢٤
٤٠	٧٥
٤٨	٨١
٤٩	٨١
٥١	٣٣
٦٠	٢٣
٦٤	١٥
٦٦و٦٧	١٢٥
٦٨	١٢٥، ١٢٦، ١٣٧، ١٥٦
٦٩	١٢٥
٧٧	١٧٠، ١٧٣، ١٧٤

الآية	الصفحة
٧٨	١٥٧
٨١	١٢٣، ١٢٤
٨٣	١١
٩٣	١٤٣
٩٦	٦٤، ٦٨، ٨٨
١٠٢	١٥
١٠٦	٨، ١١٦
١٠٧	٨، ١١٦، ١٨٢
١٠٨	٤، ٧
١١٢	١٠٣
١٢٥	٢١١
١٢٨	١٢
	الاسرا (بنى اسرائيل)
٢	١٩
٩	٦
١٠	٦
١٣	٢٠١، ٢٠٦
١٨	٦، ١١٦
١٩	٦، ١١٦
٢٠	٦، ٤٩، ٧٤
٢١	٦، ١٣٩، ١٨٤، ٢١١
٢٢	٦
٣٩	٦
٥٠	١٧٥
٧٠	١٣٨
٧١	٢٠٣
٧٢	٥
٨٤	٤٣، ٧٧، ١٤٠
٨٥	٧٥، ١٠٤، ١٠٥، ١٤٧
٩٧	١٥١
١٠٥	١٧، ١٨
١١١	٣٣

الاية	الصفحة
الكهف	
٢٩	٢١٨
٣٥	١٨٤
٣٦	١٧٠
٣٧	١٣٦
٤٦	١٣٢
٤٩	٣٧، ٢٠٤، ٢١٥
٥١	١٣٢
٨٢	١٤٠
١٠٠	١٠
١٠٣	١٧٧
١٠٩	٤٩، ٦٤، ٧٤
١١٠	١٤٣، ١٤٤
مريم (ع)	
٦	٦
٩	١٦٦
٣٧	٦
٤٠	٩٦
٦٥	٧٦
٦٨	٩٢
٧٦	٦
٨٥	٦
٩٣—٩٦	٩٦
٩٥	١٧٣
طه	
٥	١١٩
١٠—١٤	٥٣
٥٠	١٥٥، ١٥٧
٥٥	١٠٣
٧٤	٦
٧٥و٧٦	٦
٩٦	١٨١
١٠٢	١٥١
١٠٥	٩٦، ٢٠٠
١٠٨	٢٠١
١١١	٢٣
١١٥	١٧٦
١٢٤	١٥١، ١٧٨، ١٨١
١٢٦	٤
الانبياء	
١٦	١٠٠
٢٠	٦٥
٢٢	٣٤، ٢١٠
٢٤	١٠
٢٥	١٠
٣٨	١٦٩
٤٧	٢٠٧
٩٨	١٠
٩٩	٢١٠
١٠٤	٩٧، ١٤٧، ١٧٤
الحج	
٣و٤	١٧٧
٥	٩٧، ١٨٤
٦و٧	١٨٥
٨و٩	١٧٧
١١	١٦١
١٨	٨٠، ٢٢٦
١٩	٧
٢٠و٢١	٧
٤٦	١٧٨
٤٧	٨٨
٥٦	١٧٣
٧٣	١٦١
٧٨	٢٠٧

الاية	الصفحة
المؤمنون	
٧	٧٦
١٢و١٣	١٢٧، ١٢٩، ١٨٥
١٤	١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٦، ١٨٥
١٥و١٦	١٨٥
٢٤	١٣٨
٥٣	٧٧، ١٤٠
٧١	٢٢٥
٧٩	٩٧، ١٤٧
٨٦—٨٩	٣٤
٩١و٩٢	٣٤
١٠٠	١٨٣
١٠٣	٢١٣
١٠٧و١٠٨	٢١٨
١١٥	٩٧، ١٨٥
النور	
٢٤	١٥١
٣٥	١٦٨
٣٩	١١٢، ١٥٧
٤٠	١٠٧
٤١	٨١
٤٢	٩٨
٤٣و٤٤	١٢٢
٥٥	١٢٨
الفرقان	
٧	١٣٨
٢٣	٢١٦
٣٤	١٥١
٤٣	١٣٢
٦٣	٧٧

الاية	الصفحة
الشعراء	
٧٧	١٦١
١٨٢	٢٠٨
١٩٣	١٥٤
١٩٢—١٩٦	٥٣
٢١٢	٥٥
٢٢١و٢٢٢	٢٠٣
النمل	
٦	١٧
٧٥	٥٩
٨٠	٥٥
٨٢	١٥١
٨٣	١٤٣، ١٥١
٨٥	١٥١
٨٧	٩٨، ١٦٧
٨٨	٧٩، ٨٦
القصص	
٧٠	٣٣، ١٩٩
٧٢	٣٣
٨٣	١١٧، ٢١٥
٨٨	٣٣، ٣٥، ٣٧، ١١٦
العنكبوت	
١٩	٣، ٩٨، ١٠٠
٢٠	٣، ٨٩، ٩٨
٢١	٨٢، ٩٨
٤٣	١٠٦، ١١٣
٤٨	١٨
٥٧	٩٨
٦٤	٩٨، ١١٣، ١٧٨

الاية	الصفحة
الروم	
٨	٩٩، ١٣٢
١١	٩٩، ١٦٨
٢٤	١٢٢
٢٥	٧٢، ٨٢، ١٠٠
٢٧	١٠٧
٣٠	٧٢
٤٠	٣٣
٤٨	١٢٢
لقمان (ع)	
٧	٧، ٢٢٠
٢٠	١٢٥
٢٧	٤٩
٢٨	٩٣، ١٣٥، ١٧٤
٢٩	١٠٠
٣٠	٣٣
السجدة	
٣	١٥
٥	٨٨، ١٠١، ١٠٧
٧	١٣١، ١٣٤
٨—١٠	١٣١
١٢	١٠٣، ١٢٨، ١٥٣
١٧	١٧٧
٥٣	٢٣، ٢٧
الاحزاب	
٤	٦٨
١٣	١٦١
٣٦	٢٢٤
٦٣	١٧٠
٥٦	٢٢٥
٧٢	١٦٠

الاية	الصفحة
سباء	
٣	٤٦، ٢٢٥
٦	١٢، ٥٦
٢٤	٢١٠
٥١—٥٣	١٧٠
٥٤	٢٢٥
فاطر (الملائكة)	
٢	١٥٢
٩	١٢٢
١٠	٣، ١٠٥، ١٢٧
١٣	١٠٠
٢٧	١٢٣
٣٩	١١٠
٤١	٧٤
٤٣	٣١، ٧٢
يس (ص)	
٧	٧٥
٩	٣٠، ١٧٦، ١٧٨، ٢٢٠
١٠	١٧٦
٣٢	٥٩
٥١	٢٠٠
٥٤	٢٠٥
٥٩	١٤٤
٧١	٧٩
٧٧—٧٩	١٨٥
٨٢	١٦، ٥٤، ٧٦، ١٠٤
٨٣	٨٠
الصافات	
١	٧٩
٢٤	٢٠٠
٦٤	٢٢٧

الاية	الصفحة
	الصافات
٩٩	٢٢، ١٦١
١٦٤	٧٧
١٨٠	٢٣
	ص
٢٠	١٣
٢٦	١٠٩
٥٠	٢١٨
٦٨	١٧٦
٧١	١٢٩، ١٣٠
٧٢	١٢٤
	الزمر
٥	٧٦
٩	١٤٤
٢١	٤
٢٢	٢٨
٢٣	١١، ١٥
٢٩	٢٢٣
٣٠	١٥٨
٦٢	٣٩
٦٧	٥٩، ٧٨، ٨٦، ١٤٧
٦٨	٨٦، ٨٩، ١٠١، ١٦٧، ١٧٤
٦٩	٥٩، ٩٠، ٩٦، ٢٠١
٧٠	٢٠١
٧١	٢١٨
٧٣	٢٢٥
٧٥	٧٦، ٢٠١
	المؤمن (الغافر)
١٥	١٤
١٦	٨٩، ١٦٦، ١٩٩، ٢٢٥
٢٥	٢٠٧

الاية	الصفحة
٢٦	٢٠٧
٤٦	٧٠، ١١٤
٥١	٢٠٠
٥٩	١٧٠
٦٤	١٣٦
٦٧	١٢٩، ١٣٠
٦٨	١٣٠
٧٢	١٥١
٧٦	٢١٨
٧٩	١٢٥
	فصلت (حم سجدة)
٣	١٣
١١	٥٤، ٨٢، ٩١
١٢	٧٥
٢١	١٥١
٢٨	٢٠٥
٢٩	١٧٧
٣٠	٢٨، ٢٠١
٣١	٢٢٨، ٢٠١
٣٨	٦٥، ٨١
٤٣	١٠
٤٤	١٥
٤٧	١٧٠
٥٣	٢٧، ١٠٦، ١١٠، ١٣٢
٥٤	٥١
	الشورى (حمسق)
٣	١٠
١١	٢٣
١٣	١٠
١٥	١٠١
١٧و١٨	١٦٩
٢٠	١١٦

الاية	الصفحة
	الشورى (حمسق)
٢٤	٥٩
٢٩	٨٣
٥١	١٩
٥٢	١٣، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٧٥
٥٣	١٠٣، ١٠٦، ١٦٤، ١٧٥، ١٩٩
	الزخرف
٤	١١٧
١٤	٨٧، ١٠١
٣٢	١٣٩، ١٤٠
٣٣	١٤٠
٣٦	٢٠٣
٤٣و٤٤	١٥
٦١	١٧٠
٦٨	١٠١
٧١	٢٢٨
٧٧	٢١٨
٨٤	٢٣، ٥١
٨٥	١٧٠، ١٧٢
	الدخان
٤٣	٢٢٧
	الجاثية
٦	١٦
٧و٨	٧
٩و١٠	٧
٢٢	٢٠١
٢٣	١٧٧، ٢٢٠
٢٤	١٨٥
٣٥	١٠

الاية	الصفحة
	الاحقاف
٣	٣٨
٩	١٧٢
	محمد (ص) (القتال)
١٢	١٠
١٦	٩
٣٨	٢٣
	الفتح
١٠	٧٨
٢٣	٧٢
	الحجرات
١٤	١١، ٣١، ٦٩
	ق
٤	٦١، ٢١٥
٧	١٢٤
٨	١٢٤
١٥	٦٣، ٨٦، ٢٠١
١٦	٢٠١
١٧و١٨	٢٠١، ٢٠٣
٢١	٢٤، ١٢٣، ٢٠١
٢٢	٨٧، ٢٠١، ٢١٢
٢٣	٢٤، ٢٠١
٢٩	٧٢، ٢٠٤
٣٧	٦٩
٤١	١٠٢
٤٢	١٠٢
٤٣	٨٢
	الذاريات
٢١	٤، ٢٧، ١٣٢

الاية	الصفحة
	الذاريات
٢٢	٦٢
٤٧	٧٩
٥٦	١٢٨
	الطور
١—٦	٦٩
٩	٧٦، ١٠٢
١٠	١٠٢
١٦	٢٠٥
٣٧	٥٩
	النجم
٣و٤	٥٣، ١١١
٦و٧	٥٣
١٠	١٩، ١٧٢
١١	١١١، ١٧٢
١٢—١٨	١٧٢
٢٩و٣٠	١١٧
	القمر
١	١٧٠
٢٤	١٤٤
٤٩	٤٨
٥٠	٥٣، ٧٥، ١٠٦، ١٧٤
٥٢	٢٠١
٥٥	٢٢٠
	الرحمن
١—٧	٢٠٨
١٤	١٢٨، ١٢٩
٢٦	١٦٦
٢٧	١٦٦، ٢٢٥
٤٣	١١٥

الاية	الصفحة
٧٨	٧٨
	الواقعة
٧و٨	٧٧
٥١—٥٣	٢٢٧
٦٠و٦١	٨٦
٦٢	١٨٤
٦٣	٥١
٦٤	٥١
٧١	٥١
٧٢	٥١
٧٤	٢٣
٧٧	٦١، ١١٧
٧٩	٧٧، ١١٧
٨٨	٧٧
٩١	٢٢٥
	الحديد
٣	٣٦
٩	١٧، ٢٨
١٢	٢٨، ١٧٨
١٣	٢١٨
١٩	٢٨
٢٠	١١١
٢١	١١٤، ١٣٨، ١٧٣
٢٢	٦١
٢٥	١٢٨، ١٧٥، ٢٠٨
	المجادلة
٧	٣٥، ٣٦
١١	٢٩
١٩	٤
٢٢	٢٠، ٧٥، ٢٠٣

الاية	الصفحة
الحشر	
٢	٤، ١١٤
١٩	١٣٤، ١٦١
٢٣	٢٣
٢٤	٢٣
الجمعة	
٢	١٤، ١٥٥
٤	٢، ١٤، ١٦١
٥	١٤٤، ١٤٦
المنافقون	
٧	٤٧
التغابن	
٣	١٤٧
٦	١٤٤
الطلاق	
٣	٢٢٥
١١	٢٨
١٢	١٦
التحريم	
٨	١٥٣
الملك	
٢	١٠٣، ١٠٧، ١١٢
٣	٧٩، ١٣٩
١٠	٩، ٢٢٠
١٤	٤٦
٢٢	٢٢١
٢٣	٢٢١

الاية	الصفحة
القلم (النون)	
١	١١٧
٤	١٧، ١١٢
٣٦	١٤٤
٤٢	٢٠١
الحاقة	
١٤	٢٠٠
١٥	١٠٢
١٣—١٦	١٧١
١٦	١٠٢
١٧	٩٠
١٩و٢٠	٢٠٣
٢٥و٢٦	٢٠٣
٣٠—٣٧	٢٢٣
٣٩	٧٨
المعارج	
١—٣	٨٨
٤	٨٨، ٩٤، ١٠١، ١٦٨
٥	٨٠١
٧	١٧٠
١٦و١٧	١٨١، ٢٢٣
٣٨	٢٠٦
٤٣	١٧١
نوح (ع)	
١٤	١٣٩
١٧	١٣٥
٢٢	٣١
٢٥	٧٠، ١١٤، ٢٠٠
الجن	
١٥	٢٢٣

الآية	الصفحة
المزمل	
١٤	١٧١
١٧	١٧١
المدثر	
٣٠	٢٢٢
٣١	٧٨، ٧٩،، ٢٢٢
٥٥	١٧٧
القيامة	
٨	١٩٩
٩	١٩٩
١٢	١٤٦
١٦—١٩	١٢
٢٠	١٣٦
٣٠	١٤٦
٣٦—٤٠	١٨٥
الدهر (الانسان)	
١	١٣٥، ١٦٦
٢	١٣٥، ١٣٦
٣	١٣٦
١٣	٢٠٠
٣٠	٣٩
المرسلات	
٨	١٧١، ١٩٩
٩و١٠	١٧١
٥٠	٣
النباء	
١٨	١٤٢، ١٧١
١٩و٢٠	١٧١
٢٤و٢٥	٢١٨

الآية	الصفحة
٣٨	٩٤
٤٠	١٧١
النازعات	
٥	٧٦، ٧٩، ٢٢٢
١٣	٢٠٠
٣٣	٢١٢
٣٥	١٧١
٣٦	١٧١
٣٧	١١٦، ٢٢٠، ٢٢١
٣٨—٤١	٢٢١
٤٢—٤٥	١٧٣
عبس (الاعمى)	
١٣—١٦	٢٠٤
التكوير (كورت)	
١	٩٢، ١٧١، ١٩٩
٢	٩٢، ١٧١
٢—٤	٩٢
٥	٩٢، ١٥١
٦	١٧١، ٢٠٠
١٠	٩٣، ١٤٧، ١٧١، ٢٠٤
١١—١٤	٩٣، ١٧١
١٤	٢٣٢
الانفطار	
١و٢	١٧١
٢	١٩٩
٣—٥	١٧١
١١	٢٤، ٢٠٣
١٣	١٤٧
١٦	١١٤
١٩	١٧٢

الاية	الصفحة
المطففين	
٦	١٤٧، ١٧١
٧	١٤٧
١٤	٨، ١٧٨
١٥	٨، ١٢٨، ١٧٨
١٦	٨، ١٧٨
١٨	١٤٧
١٩	٢٠٦
الانشقاق	
١ــ٥	٩١، ١٧١
٦	٨٧
١٠	٢٠٣
البروج	
٢٢	١١٧
الطارق	
٩	١٧٢، ٢٠٠
١١	٩٤
١٥ــ١٧	٣١
الاعلى	
١	٢٣، ٤١، ٧٨
١٣	٢٣٠
١٨و١٩	١١
الفجر	
٢٣	٩
٢٧	٩٣، ١٥٣
٢٨	٩٣، ١٦٧
٢٩	١٦٧
٣٠	١٦٧

الاية	الصفحة
الشمس	
٧و٨	١٣١
الانشراح	
١	١١١
العلق	
١ــ٥	٥٣
٣ــ٥	١٢، ١١٧
٨	١٤٧
القدر	
٤	١٦٨
البينة	
٦و٧	١٤٤
الزلزال (الزلزله)	
١و٢	١٧١
٦	١٤٣، ١٥١
العاديات	
٩	١٧٢
١٠	١٧٢
التكاثر	
١و٢	١٠٧
الهمزة	
٧ــ٩	١١٤
الاخلاص	
١ــ٤	٣٣

4503

Iranian Academy of Philosophy

Publication No. 69

Ṣadr ad-dīn Shīrāzī
(Mullā Ṣadrā)

Asrār al-Āyāt

(The Mysteries of the Quranic Verses)

EDITED WITH PROLEGOMENA AND NOTES

By

Muḥammad Khājavī

Iranian Academy of Philosophy
Tehran 1981

Ṣadr ad-dīn Shīrāzī

(Mullā Ṣadrā)

Asrār al-Āyāt

(The Mysteries of the Quranic Verses)

EDITED WITH PROLEGOMENA AND NOTES

By

Muḥammad Khājavī

Iranian Academy of Philosophy

Tehran 1981

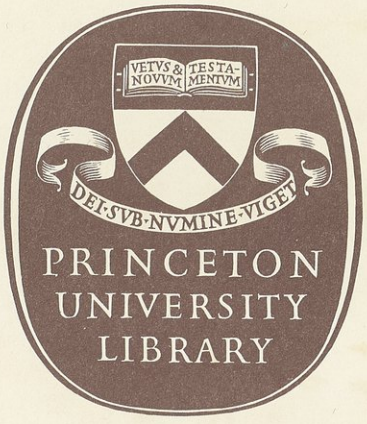

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
July—Aug. 1987
We're Quality Bound